كتاب

﴿ نشر الأسرار البشرية * من طوايا الاخلاق المحمدية ﴾

(للملحوظ برعاية عناية رب العالمين)

﴿ الجنبيهي المسكين ﴾

(محمد)

كتاب يسره الله تعالى لبيان حقيقة الانسانية التي هي محور السعادات
ى المقاصد والارادات فمن تفقه به في دينه فلا يضل ولا يشقى وان كان
ديا أو نصرانيا ولذلك أتينا بملخصة في هذه الابيات .

ا المرء لم يرزق من العدل مركبا * ينجيه في بحر الحياة من الغرق
حاطت به ريح الملاهي وموجها * وأصبح مقذوفا على النار واحترق
ما العدل الا الدين والزهد بابه * وعدل الفتى ان لايضيع لديه حق
لله بل والنفس والخلق كلهم * حقوق على الانسان مادام ذا رمق
ا كان فوز المرء في حفظ نفسه * من البغي والتفريط والحرص والشبق

مطبعة الشعب بشارع محمد علي بمصر

(سنة ١٣١٩ — هجرية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام علي سيدنا محمد ابن عبد الله وآله وصحبه ومن تابعة ووالاه

(واقول بقلب آسف ودمع واكف)

أنت بدر يضيء في الكون لكن * با لخطايا علا سناك الدخان
ياسراج الوجود ياخير دال * هل يحار الدليل ياانسان

(ياأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه) الانسان بحقيقته دال على موجده ساير اليه بنفسه لابنفسه اما من طريق السعادة واما من طريق الشقا محمولا على ما يسبق الريح من حيث لايشعر لأن تعاقب المساء والصباح أسبق من مسابقة الرياح (انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً) وقولنا بنفسه لأنه من حيث هو محل لظهور العمل خلقت فيه الأعمال ونسبت اليه وما ذلك الارحمة من الله بعباده اذ الانسان محل للجزع والاعتراض قال تعالى (ان الانسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً) الا من استثناهم الله في بقية الآية الشريفة وحضرة القهر وكبرياء العظمة لاتقبل لم ولا كيف وهما من نتائج الجزع والاعتراض فلذلك رحم الله عباده

بنسبة الاعمال اليهم لكيلا يكون الاعتراض منهم سبباً لوقوع المقت بهم كما
وقع لأبليس فمن فقه الامر اسلم وجهه وسلم ومن لم يفقه وقع في ذلك المصرع
وندم وبيان ذلك ان الله تبارك وتعالى في مبداء ظهور هذه المظاهر الكونية
وترتيب هذا النظام الابداعي المركب من العالم العلوي الذي تمدّح به في
مثل قوله (فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب
اليك البصر خاسئاً وهو حسير) ومن العالم السفلي الذي امتنّ به في مثل
قوله (ألم نجعل الارض مهاداً والجبال اوتاداً وخلقناكم ازواجاً) الى آخر
ماقال جعل سبحانه وتعالى لكل موجود منهما استعداداً خاصاً وقابلية لاتشابه
قابلية غيره من جميع الوجوه وجعل الكل مابين مؤثر ومؤثر فيه تأثيراً صوريا
مرتبطاً بمناسبات وارتباطات مهدها وهيأها المؤثر الحق الذي هو مع كل موجود
بمعية تناسب قابليته واستعداده وانما لم يكن التأثير منه الا بوسائط الاسباب
لقوله تعالى (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب او يرسل
رسولاً فيوحي بأذنه مايشاء) فكذلك التأثيرات الكونية لا تكون الا هكذا
ولانه ستر في الدنيا اسرار الحكمة للتاوين والبطون وسيبرز في الآخرة انوار
القدرة في التكوين والظهور فمن كشف الله عن بصيرته ظلمة الحجب النفسانية
شاهد المكوّن والتكوين في الكائنات ومن عميت بصيرته أخذ في مطالعة
الاقرب من المظاهر حتى اذا دهمه الامر من حيث لايشعر أخذه الجزع ووجّه
الاعتراض واللوم على من سمع انه هو المنفرد بالتأثير فيناديه لسان الحال الآن
وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) فلهذا نسب الله الاعمال الى العمال
ليطمئن كل فريق من الضالين والمهتدين الى مارسخ فيه علمه وساعده عليه استعداده

والحق سبحانه وتعالى جعل الاستعدادات مصادر الاعمال فلم يخلق في عامل عملا الا وبينه وبين استعداده مناسبة ليكون الجزاء مناسباً للأعمال والاستعدادات جزاء وفاقا قال تعالى (وما ربك بظلام للعبيد) ولذلك كان من الآداب الشرعية نسبة الحسنة الى الله لانه هو موجدها وخالقها ولو شاء ماخلقها ولا أوجدها حتى وان استدعاها الاستعداد لأنه قوي مختار لايجبر على شئ وأما السيئة فتنسب الى عاملها أو من اصابته لانها ما كانت الا مناسبة لاستعداده وقابليته ألا تفقه قوله تعالى لنبيه (ما أصابك من حسنة فمن الله) لأنه ان لم يوجدها ما كانت (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) لأنها ماأعدت الاّ لاستعدادك ولو لم تكن اهلاً لها مااصابتك وكان ذلك بعد قوله (قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا) اعلاما لنبيه بالآداب الالهية التي يقتضيها القيام بحقوق العبودية فكان ذلك ادبا شرعيا ذوقيا تأدّب به المخلصون من أهل طريق السعادة الذين يتبعون الرسول النبيّ الاميّ

فان قال قائل ايخلق الله العبثيات الصادرة من أهلها نقول ان الذي خلق في الانسان ما يستحي الكامل ممن يراه عند التلبس بعمله كالبول والغائط والريح المنتن الذي يضحك السفهاء خروجه مع شدة ضرورة لزومه لصحة الابدان هو الذي يخلق الجنون والمجون ونتائجهما في عاملها لحكمة يعلمها وربما أطلع عليها من أهل الأسرار من شاء ألا تفقه قوله تعالى (انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة) الى آخر ما قال ثم في آية أخرى يقول (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق) أليس هذا يشير إلى أن كل باطل من العبثيات والملاهي ماوجد الا عن مصدر حق لما يترتب عليه من مقتضيات

الحكمة الواسعة ولذلك ما وجه الله خطابه في كتابه العزيز فيما يماثل ذلك الا لأولي الالباب من الخلق فمن هذا تعلم ان الفاعل في كل مفعول هو الله ولكن نسبة الأعمال الى عمالها ماهيالا رحمة منه لعباده، كما سبق ذكره وقولنا لا بنفسه لقوله تعالى (وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) وهو قول رسول كريم؛ اذ لا قادرة للعاجز الذي لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا على مشقة هذا السفر الطويل الذي يحتاج فيه المسافر لما يدفع به المهلكات ويتقي به الموبقات وماوجد الانسان الا جاهلاً عاريًا عاجزًا قال تعالى والله أخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئًا) وقال لنبيه (قل لاأدري مايفعل بي ولا بكم وقال له (قل لاأملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا الا ماشاء الله) ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت مو الخير) وقال (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت) وهذا هو الحق المبين الا ترى ان أمهر الاطباء الذي اختص بمعالجة داء واشتهر بالمهارة فيه ربما لم يهلك الا بذلك الداء الا ترى ان أقوى قوي من الجبابرة اذا أراد الله تأديبه بأي مرض يجار ويستغيث بأشنع مما يستغيث به الصبي المذعور من قاتل أو عفريت هذه كلها دواع تستلزم عدم القدرة على هذا السفر الا ان يكون المسافر محمولاً ولا حامل للانسان بل وجميع الموجودات الاقيومة من قامت السموات والارضون بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه وكثيرًا ماذكر الله عباده بمنته عليهم في أصلاب أبائهم وبطون امهاتهم وفيما بعد ذلك وما قبله حتى قال (وان تعدو نعمة الله لا تحصوها) من النعم التي لازمتهم ملازمة الروح للجسد وكلما ذكروا بها تناسوها ولقد اغفلتهم الملاهي

عن تذكر مالا يحتاج الى تذكير وما ذلك الا لما حال بينهم وبين الذكرى من الموانع التي سنذكرها وقد صرح الله تبارك وتعالى بمعنى ماقلناه في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز ولكن أهل الشبه الذين يحرفون الكلم عن مواضعه صرفوها الى مايوافق مشاربهم من المقاصد التي يريدون ان يشيدوا قواعدها قال تعالى (كلاً نمد هؤلاء وهؤلاءِ من عطاء ربك) يشير بذلك الى أهل النعم في الدنيا والى أهل النعيم في الآخرة فعجل لفريق حظه وجعل له جهنم يصلاها مذؤماً مدحوراً واجل نعيم أخرين وشكر سعيهم وكل ميسر لما خلق له كما أخبر الصادق الأمين ومأخوذ بنواصيهم الى ماهم اليه صائرون كما ذكر رب العالمين منهم من هو ميسر لليسرى ومنهم من هو ميسر للعسرى (قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها) على حسب استعدادها في مبداء الخلق والتكوين مقادة كما يقاد الاعمى لاجلاسه في المكان الذي أعد له على حسب استعداده وقابليته لأنه لو لم يجلسه قائده مع العمي لخجل وضاق صدره ولو لم يقده القائد ما اهتدى الى مكانه (ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) بل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار) وهو خالق الداءِ والدواءِ ولولا هدايته للطبيب والعليل ما اهتدى أحدهما للمواصفة والآخر للتعاطي الا ترى جواب رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون عند ماسأله عن ربه (قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) يريد بقوله خلقه القوابل والاستعدادات ثم هدى الانسان الى مايناسبهما من الحركات والسكنات ببواعث الارادات (فانه بيده ملكوت كل شئ وهو الذي يقول للشئ كن فيكون) وما في الوجود من حركة ولا سكون الا وهو شئ ولذلك

قلنا لا بنفسه اذ الكل لقبضة قهره مقهرون وفي دائرة ارادته دائرون ماخرج
شيئ عن دائرة إرادته المحيطة بالكليات والجزئيات لااله الا هو رب
الأرضين والسموات الا يكتفي الانسان بقوله تعالى (قتل الانسان ما أكفره
من أي شئ خلقه من نطفة خلقه فقدّره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم
اذا شاء أنشره كلاّ لما يقض ما أمره) ثم أزاده تفهيما بقوله (فالينظر الانسان
الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حباً) الى آخر
السورة أليس هذا كله بحق أليس هذا كله يكون دليلاً على أن الانسان
مقاد الى ماهو صائر اليه حيث لم يكن مجبوراً لأن الجبر لا يكون الا على
المكروه وما يسر الانسان الا لما يلايم استعداده وقابليته ألا ترى القاتل يتشفي
من مقتوله بعد ما أوقع به هذا الأمر الشنيع الذي لم يكن له شبيه فى الفظاعة
وما ذلك الا لأن طبعه الاستعدادي يألف ذلك الشر هكذا حال جميع
السائرين كل مغان على ماتميل اليه فطرته غير أن السائر فى طريق الشقا يقال
له ضال لأنها غير مقصودة له بالذات اذ الكل لا يتمنون الا الفوز والنجاة
وحسن المآل فترى العاصي من أهل الأيمان يتمنى ان لو كان عاملاً مخلصاً
تائباً ويغبط أهل الأخلاص العاملين المتطهرين هذا اذا كان من الضالين
اما اذا كان من المغضوب عليهم الذين زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن
السبيل فهم لا يهتدون أولئك الذين طبع الله على قلوبهم فأصمهم وأعمى ابصارهم
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها
أولئك كالانعام بل هم أضل فهؤلاء قلوبهم كالحجارة أو اشد قسوة وان من
الحجارة لما يهبط من خشية الله ولكن السد محكم والقفل لا مفتاح له وأما

السالكون من طريق السعادة فقد وصفوا بالمهتدين لأن غايتها هي بغيتهم واليها توجهت آمالهم والسابقون منهم هم المشار اليهم بقوله تعالى للملائكته (اني جاعل في الارض خليفة ثم اسكتهم بقوله (اني أعلم مالا تعلمون) حينما قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك) ولقد أشار اليهم النبيّ صلى الله عليه وسلم بقوله كمل من الرجال كثيرون ومن النساء آسية ومريم وبقوله ربّ رجل أشعث أغبر ذي طمرين لايعبأ به لوأقسم على الله لأبرّه وبقوله اولياء الله الذين اذا رؤا ذكر الله وما قصدنا بقولنا الانسان بحقيقته دال على الله الا هؤلاء الكمل الذين اختصهم الله بمحبته وسلكت بهم العناية مسالك الفوز والسلامة وحفظوا من الزيغ والزلل ومتابعة الهوى، وتلقنوا السر الذي لقنه الله جبريل ولقنه جبريل محمداً صلى الله عليه وسلم وتلقنه الورثة منه وارثاً عن وارث وذلك السر فيهم كسر ذكر النخل في النخل لايكمل ايمان المسترشدين الا به حتى وان كان الايمان لايضيع بفقده كما أن فقد التلقيح لايذهب بثمر النخل ولكنه لا يربوا الا به فكذلك حال هؤلاء السعادة لايكمل ايمان من تابعهم الا اذا تلقن ذلك السر منهم فتصح له الدلالة على الله بنفسه وبغيره حيث لا تقطعه القواطع ولا تمنعه الموانع التي تسمي المدافع لها عن نفسه مجاهداً وكف النفس عنها جهاداً كما قال عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الأصغر الذي هو القتال وسماه الأصغر لأنه سهل التعاطي كبير الفائدة اذ الانسان متى دفع نفسه اليه بقلب سليم ونية صالحة يهون عليه الموت وادراك مايترتب عليه من الجنة وبلوغ درجة الشهادة الى الجهاد الأكبر وهو مجاهدة النفس بقطع علايقها الشهوانية ومواقفها الشيطانية

التي تقطع الانسان عما خلق لأجله قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) ليس المراد بالاحسان التصدق كما يسبق لفهم العامة فما كل متصدق يحسن صدقته ولكن المراد بالمحسنين الذين احسنوا معاملة الخلق والخالق وقوموا نفوسهم حتى استقامت بارشاد الله تعالى اذ آتاهم الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) وليست الحكمة هي تزيين الأقوال وزخرفتها كما يظن كثير من الخطباء في هذا الزمن ولكنها تحسين الأعمال والأحوال بالاتيان بها على الوجه المطلوب والحكمة المقصودة منها من طريق الاخلاص القلبي وكمال الأدب الشرعي بارشاد الله تعالى من غير نظر الى العمل والاغترار به مع تيقن العامل أن الفضل لله في خلق العمل فيه ونسبته اليه.ولو شاء لخلق فيه أقبح عمل هذا كله مع استحقار نفسه وعدم انتقاد الغير والأعتراض عليهم لأنه لو اطلع على اسرار الوجود لعلم أن كل شيء لا يصدر الا عن حكمة الهية وارادة صمدانية لا يعلمها الا الله تعالى ومن كاشفهم الله باسرار صنعته وغوامض حكمته فالحكيم الذي أوتي الحكمة هو الذي يبدأ باصلاح نفسه ألا وان اصلاح النفس ليستغرق الحياة ومن ترك نفسه والتفت لعيوب غيره فهو فاقد الحكمة وكان كمن ترك أهله يتشاجرون وذهب الي اصلاح زوجة جاره وهذا غلط في العلم وفساد في العمل وما الاحسان الا اتقان العمل كما قال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب أحدكم اذا عمل العمل أن يتقنه وكقوله الأحسان أن تعبد الله كأنك تراه وما قلنا بكمال الأدب الشرعي الا ليعلم المطلع أن ترك الصغير من الاحكام الشرعية ربما ادى الى الطرد والحرمان المؤبد وما قصدنا بالصغير الا السنة الغير المؤكدة

ألا ترى الصحابة في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما تعسر عليهم فتح مصر شكوا اليه ذلك أياساً وقنوطاً فقال لعلكم تركتم سنة من السنن فقالوا ما تركنا الا السواك لفقد شجر الأراك في تلك البقاع فأمرهم ان يستاكوا بالجريد ففعلوا فتسارع اليهم الفتح المبين وذلك لأن العبد لاينبغي له ان يحتقر شيئاً من أوامر سيده لما في ذلك من سوء الأدب ونسبة العبث اليه اذ الذي يفهم دقائق القرآن يعلم أن الله تعالى ما أمر بعض الأمم بأشياء يراها الناظر صغيرة لاتحتاج الى عقاب الا امتحاناً ليحتقرها أهل الدعوى والجدل فلا يأتمرون بها فتكون سبباً في هلاكهم واقامة الحجة عليهم لأن الذي لايطيع في الأمر الصغير الهين تكون مخالفته في العظائم أسبق وأعجل كما نهى قوم طالوت عن الشرب من النهر وغير ذلك وقد وقع في تلك المهوات الغالب من اهل هذا الزمن حيث احتقروا أمر العبادات من وضوء وصلاة وغير ذلك فكانوا كمن هوت به الريح في مكان سحيق لايسمع دعاء الداعين ولا يصغى لنصح الناصحين قيل أن نابليون الأول في بعض غزواته أمر قائد الجيش بأمر في مواقع من الحرب حيث كان يظن العدو لا يتحول عن مكانه فما وصل ذلك الأمر لقائد الجيش حتى تحول العدو لمكان آخر لو اتبع القائد فيه ذلك الأمر لهلكت الجنود فخالفه لعمل آخر كانت فيه النصرة فما كان من نابليون الا أجرى على القائد الادب القانوني حيث كان يحكم بالأعدام بمجرد المخالفة بقطع النظر عما اغتنمه من فرصة النصر على عدوه تأييداً لقواعد العدل فاذا كان هذا حال ملوك الدنيا الذين هم فى الاحتياج الى الله كأحقر حقير فكيف بذي القوة التي لا تقاوم والسلطان الذي لا يعارض ولا يعاند الفاعل

المختار الحكيم الخبير الذي كان بعباده خبيراً بصيراً أفبعد ماعلمك قليلاً من العلم تتفانى عليه بجعلي فكرك السقيم وعقلك الضال وفهمك القاصر أوسع من شريف حكمته المنزهة عن الخطاء والعبث انك لأسمج من كل سمج واقبح من كل قبيح ماضرك ياأيها الانسان لو اتبعت الرسل الذين ما شك انسان في نجاة من تابعهم وفعلت ما امرك به ربك وان احتقره عقلك الضائع مع انه ان لم ينفعك لايضرك عمله وربما ضرك تركه أهذا عمل العقلاء أليس العاقل هو الذي يأخذ بالاحوط أليس العاقل الحكيم هو الذي لا يحتقر أصغر صغير فضلاً عما استكبره الله كقوله في الصلاة (وإنها لكبيرة الاعلى الخاشعين) وما استكبرها الله سبحانه وتعالى الا لأنها موقف صدق في مقام شريف حيث كان الله في قبلة المصلي وهل في الوضوء الذي هو سلاح المؤمن بمعنى انه يدافع به الشيطان اذا انتدبه الى عمل سيئ ضرر (لا) والله ماهو الا صحة وطهارة وإنا ان شاء الله لواضعون للآداب الشرعية كتاباً خاصاً متى يسر الله الفتح الصمداني والعلم الرباني ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول ان درجة الاحسان لاتدرك الا بمتابعة الرسل ومتبعوا الرسل لا يستحسنون الا ما حسنه الشرع ولا يستقبحون الاماقبحه الشرع مع المحافظة على الموازين التي تدرك بها وجوه التحسين والتقبيح لارجماً بالغيب كما يفعل أهل الدعوى والاعتراض الذين استنتجت افكارهم من كتب الأخلاق شوارد سموها ديناً لظنهم ان الأديان ماشرعت شرائعها الا لاصلاح المعيشة الدنيوية وهذا من الغلط في العلم وفقد الموازين الشرعية فلذلك وقعوا في مهواة الاعتراض والانتقاد واستدرجهم الله من حيث لا يعلمون لتكون المؤاخذة على قدر الدعوى لانها

مغناطيس البلايا وما فطنو لما أمر الله به من تحسين الظنون وتجنب الاعتراض لأنه ربما ظهر عمل عامل بمظهر قبيح فيما يراه الرأي وكان مصدره الذي هو نية العامل صالحًا حسنًا فاذ ذاك لايكتسب المعترض المستقبح لذلك العمل الا مقتا بدخوله بين العبد وربه بالنميمة التي ماوقعت موقع الصدق ألا ترى أن بعض مشايخ الطرق المرشدين كانوا يتخذون الدفوف لأستجلاب قلوب العامة حتى اذا صادوهم بتلك المشابك علموهم الأدب واجتناب الملاهي وكانوا يتساهلون لهم في المبادى ويسمون ذلك التساهل مقام التوليف حتى اذا تمكنوا من قلوبهم شددوا عليهم ويسمون ذلك مقام التعنيف ولكن الذين ماعلموا سر النوايا أوسعوهم سبًا ومزقوا أعراضهم بألسنتهم وهذا امر لايكسب صاحبه الا سوء الخاتمة إن لم يتب ويقبله الله لما ورد فى الحديث القدسي من آذى وليالي فقد آذنته بالحرب وفي الحديث النبوي يامعشر من آمن بالله واليوم الاخر لاتغتابوا المؤمنين ولا تتبعوا عوراتهم فان من اتبع عورة اخيه المؤمن اتبع الله عورته ومن اتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته فمن لم يرزقه الله المحافظة على موازين التحسين والتقبيح الشرعية فقد ذبح نفسه من حيث لايشعر ولا وصول الى معرفة تلك الموازين وحفظها من الخطاء الا بطهارة النفوس من الموبقات التي تظلم القلوب وتكدر صفاء الارواح وتطفاء سراج الاسرار ولا عاصم من تلك الموبقات الا الوقوف في مواقف العبودية التي أمر الله بها نبيه بمثل قوله (واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) وقوله (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً) الى غير ذلك من الآيات وهذه هى الخدمة التي سبأ لها

العارف ابن عطاء الله في مناجاته حيث قال الهي ترددي في الآثار يوجب
بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني اليك أولئك الذين كتب الله لهم
الرحمة بقوله (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون) ثم زادهم
تعريفاً بقوله (الذين يتبعون الرسول النبيّ الاميّ) يريد في أقواله وأحواله
وأفعاله وما كتابة الرحمة الا وضعها في قلوبهم ليكونوا رحمة لعباده من طريق
الوراثة المحمدية فانه ما أرسل الا رحمة للعالمين ومن طريق تلك الرحمة التي
أخذت بمجامع قلوبهم أشاعوا عن الاستاذ الاكبر أنه قال بنجاة فرعون
لما عهده من ربه من الرحمة التي كانت اقابيسه مهاداً ووهاداً ألا ترى النبيّ
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليرحم رحمة يوم القيامة حتى يتطاول
لها عنق ابليس وهذا مشهد لا يشهده الا المقربون ولا يضر ذلك المشهد
بأهله بل كل مقرب يلزمه أن لا يذكر الله الا بالحنان والرحمة وذلك لأن
كل وعاء لا يفرغ الا منها أوعاه لهذا ترى أن أهل القسوة المطرودين من
الرحمة لا حظ لهم الا الاعتراض والانتقاد ووضع الخلائق في مواضع الانتقام
والهلاك بنشر عيوبهم وعدم التغاضي عن ذنوبهم وأولياء الله مطهرون من
هذه النقائص لأن الله تبارك وتعالى أمدهم بامدادات الارشاد والتوفيق
وأيدهم بنصره ولم يجعل للشيطان عليهم سبيلا ولقد حال بينهم وبين نزغات
الشيطان ووساوس النفوس فتنزهوا عن الغلط فى العلم والعمل فتراهم يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وهم على بينة من ربهم لانه اشترى منهم أنفسهم
واموالهم بأن لهم الجنة وباعوه ذلك بيعاً بتاً فصرفوا في محبته نفائس النفوس
والارواح وبذلوا في خدمته ودائع الحواس والاشباح حيث سبقت لهم عنايته

بالمحبة والاختصاص فأحبوه وتعرّف اليهم بأنواع التجليات الاحسانية فعرفوه لذلك صحت لهم الدلالة والارشاد وجعلهم الله بواسع فضله رحمة للعباد

واما من اكتفى من الاختبار بمواصفة ناقلي الأخبار والآثار فذلك الذي حار والشمس في رابعة النهار وتكون دلالة هذا بن دل بهم كدلالة الطفيلي الذي ظن ان دار الخلافة التي أعدت لفصل القضاء بين الناس منزلا أعد للولائم فدعى اليها احبائه وحشدهم في زمرة المتهمين فلما امر الخليفة بسجنهم سجنوا جميعاً وتعذر الخلاص عليهم تا الله لاتتساوى شهود العقد بالمتعاقدين عند الزفاف وما حجاب الملك في الأدب كاجلاف الارياف فمن أراد السلامة فعليه بمتابعة اهل الاستقامة عملاً واعتقاداً لان من هذب نفسه بما تهذبت به نفوس الأخيار تجمل حاله ومن تجمل حاله حسن ماله ولا تجمل الاحوال الا بالمحافظة على الآداب الشرعية وما شرعت تلك الآداب الا لنفي الشريك في الذات والصفات والافعال ولكن الأدب يقضي بنسبة الحسنات الى الله والسيئات الى العمال بالملاحظة التي سبق ذكرها وما حجب الناس عن هذه المدارك الذوقية الا الموانع والقواطع التي ما ترك اهل الطريق شيئاً منها الا وبينوه في مصنفاتهم وامهات تلك الموانع اربع عته ملازم او التباس بمشابهة الطرق المتشعبة او غلبة قطاع الطريق او الاصابة في النواظر القلبية

موانع اخفاها البصير عن الذى * قضا حكمه ان لا يكون بصيراً
فيعمى ولكن لا يرى ما هو العما * وقد فقدت منه الحواس شعوراً
ويزعم ان الخبر طي اختباره * ومن ضل سعيا لا يعد خبيراً

قصدنا بالخبر بخاء مضمومة وباء مجزومة ادراك الاشياء على حقائقها بمعنى

انه يزعم انه اختبر احوال السالكين ومقامات العارفين بالعقل والنقل فعلم ان الدين ماهو الا تصديق الرسل واعتقاد عظمة مرسلهم ومعاملة الناس بالصدق وهذا من الغلط في العلم لان الدين امر وراء ذلك بكثير اذ التصديق والاعتقاد بغير عمل ربما اهلك صاحبه لانه حجة عليه يوم يسئل الصادقون عن صدقهم واما معاملة الناس بالصدق والامانة وحسن الوفا فقد يكفي في الجزاء عليه اكتساب المدح والجاه وطيب الذكر أن لو تحصل الانسان على ذلك في الدنيا بحسن الاخلاق التي ربما وجدت في غالب الحيوانات من غير تكلف ولا تعليم معلم ولو كان الامر قاصرًا على ما تعقله هؤلاء الخاطئون لما بكت الرسل ولا خافت الملائكة ولا تفتتت اكباد العارفين حياء وخوفاً من الله ولو كانت المهارة فى اختراع الصنائع والزخارف الدنيوية مما يقرب الى الله لكان من الهمه الله تركيب الوابور والتلجراف اقرب الى الله من الانبياء الذين ما كانت مساعيهم الا لصيانة القلوب من هذه الشواغل لعلمهم ان الله جعل للدنيا اهلاً وجعل للآخرة اهلاً والهم كلا ما تحتاج اليه الدار التي يجب ان يشيدها بأعماله فكانت اعمال الانبياء ومن تابعهم للآخرة ليس الا وما التفتوا من الدنيا الا لما يسد الرمق الهاماً من الله وتوفيقاً والآخرون ماألهمهم الا الكد والعناء فتشعبت بهم الطرق المتشعبة واشغلتهم الشواغل المختلفة وساط عليهم الشهوة والامل فلا يملاء جوف من هذا حاله الا التراب ويتوب الله على من تاب

الانسان دائر في دائرة الوجود يتقلب في الاطوار كما ترى ولقد قسم ظهوره بهذا الوجود الصوري الدهر بالنسبة له الى ثلاثة اقسام وهمية الى أزل

وأبد وما بينهما اما الازل فوجوده فيه ثبوتي في علم موجده حيث لم يكن شيئاً مذكوراً واما الأبد فهو النشأة الأخروية واما ما بينهما فهو ظهوره بهذه النشأة الحاضرة فنهاية أزليته خروجه من صلب ابيه وترايب امه لقوله تعالى (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماءٍ دافق يخرج من بين الصلب والترائب) يريد الحق تبارك وتعالى وهو اعلم بمراده صلب أبيه وترائب امه لان الممكن من الحيوان متى تنقلت به القدرة العلية والارادة السنية من عالم الامر الى عالم الخلق لا تجد اجزاء مواده التي قدّرت لتركيب نشأته الدنيوية موطناً إلا العناصر الأربع فاذا آن اوان ظهوره اجتمعت في صلب ابيه وترائب امه ويؤلف الله بين الزوجين بحنان يفوق كل حنان وما ذلك الحنان الا حنو تلك المواد لبعضها فيفضي ذلك الحنان الى التقابل حتى اذا تقابلا وحصل الاحتكاك المعبر عنه بالجماع يحصل المقصود ويمتنع التقابل ويبطل الاحتكاك وتستقر تلك الاجزاء فى قرار مكين فى ظلمات الارحام تنتظر ما يفعل بها كانها عاشقين غائبين التقيا على محبة قوية وشوق شديد وما سمي ذلك الاحتكاك بالجماع الا لاجتماع تلك المواد بسببه فسبحان الحكيم المدبر الذي (يصوّركم فى الارحام كيف يشاء لااله الا هو العزيز الحكيم) ولقد ظن جهلاء الاطباء ان الانسان ما خلق الا من منيّ الرجل وزعموا ان المرأة لا منيّ لها وهذا جهل وعماء فوق كل عماء ثم وافقهم على ذلك النظر بعض السفهاء من حكماء الافرنج الذين لادين لهم وقليل من غفل القلوب من طلبة العلم وما دعا هؤلاء الطلبة الي موافقة أهل الزيغ الا انهم فهموا من قوله تعالى (خلق من ماءٍ دافق) ان الاندفاق لايكون الا من الرجل وهذا غلط لان كلا المائين مندفق غير ان

الفارق ان الحكمة اقتضت ان ماء المرأة يفترش لكيلا يتبدد اذا اندفق من
مكان ضيق فجعله الله دافقاً من مكان غير ضيق ليكون الافتراش حافظاً له
من التبدد اذ قوة الاندفاق من الرجل والمرأة واحدة لانه لا يكون الا عن
لذة الانتعاش التي هي عبارة عن عصر البدن لتجتمع تلك الاجزاء منه وتندفق
من المخارج التي اعدت لها وليس لها ممر الا اصلاب الرجل وترائب المرأة ومن
لا لذة له لا ماء له ولا تكون لذة بغير ماء مندفق ومن فهم غير ذلك فهو المجهول
ولكن الغبي ينكر وجود السماء ويدعي ان السماء بمعنى الفوق والفوق عماء
لا شئ فيه وأن هذا اللون الذي يراه الرائي لون الابخرة الارضية لا يبعد عليه
انكار امثال هذه الاشياء لان كل منقاد لعقله جهول والجهول جريء لذلك
أمر الحق سبحانه وتعالى نبيه مع تأييده له بالتوفيق والارشاد الالهي
بالاستشارة في الامر لكيلا يكون كمن استقل برايه وفكره فهل يجوز لمن
لم يعرف السماء من العما ان يكذب ربه اليس الله باعلم بما خلق وهو خالق كل
شئ وقد قال (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) وقال (والسماء وما بناها)
وقال (خلقهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها) من
كواكب وافلاك وغير ذلك مما لا يعلمه الا هو فسبحانه من اله يضل من يشاء
ويهدي من يشاء بآياته البينات حتى لا تتعطل القصور ولا تسغب جهنم وكل
من اهل الدارين فرح مسرور بما أوتي من البواعث راضياً بالاسباب مصراً
على ماهو عليه من الاعتقاد الا يدري منكر مني المرأة انها أشد من الرجل لذة
فمن اين تكون اللذة اذا لم يكن المني اليست تمزي كما يمزي الرجل عند الملاعبة
اليست تحن الى الجماع مع ما تتحمله من المشاق في الحمل والوضع والرضاع

اليس الحكيم الاكبر اعلم العلماء بالله الذي أوتي علوم الاوّلين والآخرين عليه افضل الصلاة وأتم التسليم قد أمر بأن ينتظر الرجل زوجته عند الجماع حتى تمني لان ذلك من تمام العدل في الزوجية الم يقل حتى يذوق عسيلتها وتذوق عسيلته اليس هو ادرى بجميع الاسرار الكونية خصوصاً اسرار النكاح التي هي اكبر سر دارت عليه رحى الوجود ولذلك كان يحب النساء فهل كان حبه في النساء عبثاً او مجرد اشتهاء (لا) لم يكن ذلك لانه مطهر مقدس كامل ظريف فوق كل ظريف لا يعبث في افعاله ولا اقواله ولا احواله كما شهد له الحق تبارك وتعالى في غير موضع من القرآن وشهد له اهل السماء والارض الا من حجبهم الله عن ادراك اسرار انواره وما كان حبه للنساء إلا لأنهنّ محل لظهور ذلك السر في النوع الانساني حيث يبرز المني لهنّ ومنهن عند التقابل متكوناً مستحيلاً في اسرع ما يكون تصديقاً لقوله تعالى (وما امرنا الاّ واحدة كلمح بالبصر او هو اقرب) كما يتجسد السحاب مجتمعاً من الابخرة في اقل من الدرجة فكان عليه الصلاة والسلام حينما يشهد هذه المشاهد الربانية في المظاهر الكونية يطرب لذلك الشهود طرب المحبين لما ينعش قلوبهم فكأنه اذ ذاك يتحقق بمعنى قول القائل

يا برق انت قريب العهد من سلم * قف بث لي خبراً حييت من آت

ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول وافتتاح ابديته يوم القيامة ويتحقق بأزليته مدة الحمل في بطن امه لان مجاور الشيء يعطى حكمه وبأبديته مدة حياته البرزخية لقوله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته حيث تنكشف له احوال مآله كما اشار الى ذلك عليه الصلاة والسلام بقوله الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا

وقوله ما من احد يموت الا ندم ان كان محسناً ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئاً ندم ان لا يكون نزع (بمعني تاب) فهذا دليل على ان للانسان فى البرزخ حياة تناسب ذلك الموطن لكنها تختلف باختلاف احوال الموتى مع ربهم وباختلاف استعداداتهم كاختلافهم فى الحياة الدنيا وكذلك فى الآخرة فاحياء القلوب في الدنيا هم احياء القلوب في البرزخ ويوم القيامة سعداء شهداء احياء عند ربهم يرزقون لانه لا معنى للشهادة الا ان يكون الانسان عند موته شاهداً حاضراً مع ربه وما خص مقتول المعركة بالذكر فى القرآن الا لظهوره بهذا المظهر الاسمى وبيعه نفسه لربه رغماً عن جميع الموانع من اهل ومال وولد ووطن فما مات هذا الا حاضراً شاهداً مع ربه فسمي شهيداً فكذلك شهداء المحبة هم حضور شهود عند الموت وما طلب النطق بالشهادتين عند الموت الا لنيل هذه الدرجة لان الميت يبعث على ما مات عليه لذلك كان الخوف والرجاء عند الموت منجيين لقوله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا نجا واموات القلوب في الدنيا هم اموات فيهما ولهم حياة تناسب استعدادهم وحالهم مع الله قال تعالى (انه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلاً ولا شك ان مبدا الآخرة الموت كما ذكرنا وما قصدنا بأحياء القلوب هنا الا اهل العلوم اللدنية الذين تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم من طريق الوراثة المحمدية هؤلاء هم الذين لا تكسف شموس اسرارهم ولا تطفأ مصابيح انوارهم بل حالهم مع الله في الدنيا هو حالهم في البرزخ وفي القيامه بل حالهم بعد الموت أرقى واكمل اذ لاشغل يشغلهم عن المشاهد القدسية ولا

تكدر صفاء ارواحهم المحزنات البشرية ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فسبحان باريء النسم ومحيي الامم الذي ألان الحديد لداوود عليه السلام وسخر الريح والجن لسليمان وجعل النار برداً وسلاما على ابراهيم واحيي الموتى لعيسى عليه السلام فكانت تخاطبه الجماجم والعظام النخرة وانطق الشجر والمدر لحبيبه الا كمل اليس ذلك بقادر على ان يحيي اصفيائه حياة طيبة اينما حلت ارواحهم (ان الانسان لكفور) فأنا للمجادل المنكر ان يثبت امام هذا القول الحق الذي حكم بصدقه اقتدار مولانا الحكيم وشهدت له آيات القرآن الكريم الا اذا عضدته غلظة السماجة ووقاحة المكابرة تالله لقد سمعنا من عجائب الحوادث الكونية أن امرأة من سكان بعض المدن في أوربا أعطاها الله خاصية استحضار الارواح حتى استحضرت لمن يثق السامع بصدق حديثه روح زوجته وهي مقبورة في مقابر المصريين وذكرته بأسرار كانت بينها وبينه قبل مفارقتها الدنيا لم يطلع عليها أحد غيره قبل وكم قد نقلت سطور الكتب المصنفة في طريق القوم أن أكابرهم كانوا يناجون أرواح الموتى في المقابر ولقد ورد في صحيح المنقول عن الاستاذ الاكبر صاحب الفتوحات المكية انه رأى في الطواف شخصاً يتخلل الناس من حيث لايشعرون فحبس بصره عليه لتيقنه انه روح متجسد وتبعه حتى اتم طوافه ثم قال له ناشدتك الله من انت فقال له انا السبتي قال انت اخوا هارون الرشيد قال نعم قال انت قطب زمانك قال نعم وسأله عن أشياء نقلت عنه اليه فأجابه بوقائعها ثم استأذنه في الانصراف فغاب عن بصره حيث لم يخط خطوة وهكذا كان غصن البان رضي الله تعالى عنه

يتشكل في حياته ويتجسد بعد مماته وورد ايضاً في مآثر الاخيار ان الامام الرفاعي المعروف بشيخ الأمة لما قدم الى المدينة المنوّرة على صاحبها افضل الصلاة واتم التسليم وقف تجاه القبر المشريفة واخذه مدهش الانس فتواجد وقال

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الارض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الاشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظو بها شفتي

فمد له المصطفى عليه الصلاة والسلام يده وقبلها وكان لذلك المشهد الشريف ضجة عظمى في ذلك اليوم،طاشت له عقول الحاضرين

ولما وقف القطب الاكمل سيدي احمد البدوي امام الروضة الشريفة عند زيارته صلى الله عليه وسلم نادى قائلاً

إن قيل زرتم بما رجعتم يا أكرم الرسل ماتقول

فأجابه عليه الصلاة والسلام بقوله

قولوا رجعنا بكل خير واجتمع الفرع والاصول

ومن يطالع كتب الصوفية يري فيها من الغرائب مايدهش العقول لان هؤلاء القوم هم الذين كاشفهم الله بأسرار خلقه واطلعهم على بدائع حكمته في جليل صنعته وهم الامناء الاحفياء الابرياء وماسمع عنهم السامعون ونقل عنهم الناقلون الا رشفة من لجج بحارهم ولمعة بارق من خلال استارهم هم الذين طابت نفوسهم احياءً وامواتاً واشرقت انوارهم وإن كانوا عظاماً رفاتا فزيارتهم في القبور انفع من زيارة الملوك في القصور اولئك يمدون الزائرين بمراحم الاسرار ومكارم الانوار وهؤلاء لا يكسبونك الا مآثم الاوزار ومغارم الآصار ثم أن

من الامور الذوقية التي يدركها من كان له إحساس أوذوق سليم مايبين للتأمل حقيقة الحال من ارتباط الحياة بالموجودات فلا ترى موجوداً الا وله حياة تناسبه لأنا نرى أن الاجسام والاجرام ماهي الا محامل لاسرار الحياة حيث لاتفنى الاسرار لفناء الاجسام والاجرام لانا نرى الاعشاب تفنى اذا طبخت ولاتفنى اسرارها بل نرى الاطباء يستنتجون منها الاسرار ويسمونها أرواحاً وماهي الا الخواص الحيوية التي كانت محمولة على اجرامها كذلك كل ماكول ومشروب لاتصل الى من يأكله خواصه إلا بفناء جرمه ألايرى المنكر الاعمى أن القذورات الخارجة من كل مأكول للآدمي أو أي حيوان مع كونها بقايا اجرام استحالت إلي حال مكروه يوجد فيها السر الذي به تنموا النباتات والاشجار اذا وضعت تلك القذورات في اصولها ويسميها الذارع سباخاً أليس هذا دليل علي ان سر الحياة لا يفارق الاجسام وان استحالت الى تراب فكيف اذاً يصوغ لمنكر ان ينكر حياة اولياء الله تعالى فى البرزخ حياة تناسب استعدادهم كما ذكرنا ام يظن الغبي تساوي الموتى فى المقابر (كلا) والله لايكون ذلك قال الله تعالى (ام نجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) وليس المسلم الا من اسلم وجهه لله وهو محسن ولقد بينا حقيقة الاحسان فيما سبق

وأعني بأموات القلوب القوم الذين عاقتهم عن مدارك السعداء الموانع والقواطع التي استجلبتها استعداداتهم وقوابلهم وامدهم الله بما من الاعمال والاحوال يناسبها قال الله تعالى (فى قلوبهم مرض) يريد سابقة الاستعداد (فزادهم الله مرضاً) بما امدهم به من الشواغل اولئك الذين نسو الله فأنساهم

انفسهم ويجيبهم يوم القيامة بما حكاه عنهم فى قوله (قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) فقوله وقد كنت بصيراً يعني عالمًا بالفنون والشؤون الدنيوية وذلك لان الله تبارك وتعالى يهب علم العالم الغير العامل يوم القيامة للمؤمن العامل الذي لم يكن عالماً وهذا معنى قوله تبارك وتعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وما ذلك العمي الذي ذكره فى قوله لم حشرتني اعمى الا موت القلب وليس لموت القلوب معنى في الآخرة إلا حجبها عن الله وأما في الدنيا فهو فقد الاذواق الادبية الشرعية والمشاهد الربانية التي بها لا يستطيع الانسان ان يأتي بأدنى مخالفة للرسل في جميع الاحوال قولاً وعملاً حيث تستنير القلوب فيرى من استنار قلبه نفسه على ماهي عليه من المذلة والافتقار والعجز وهي أوصاف ارتبطت بالممكنات ارتباط الارواح بالاجسام فمن الناس من يشعر بذلك الارتباط ومنهم من لا يشعر فمن فطنه الله لذلك الارتباط وبصره يتحقق بحقائق هذه الاوصاف الثلاث ويراها في كل مخلوق فيعلم حينذاك لمن يذل ولمن يفتقر كقول القائل

نظرت فلم أنظر سواك أحبه ☆ ولولاك ماطاب الهوى للذي يهوى

وأما الذي حكم عليه استعداده وقابليته فهو الذي خرج من احتياجه لأبيه وأمه قبل التمييز الى الاحتياج الى مايصادفه من الاسباب المعدة لأن يتناول منها لوازم ضروريات المعيشة الدنيوية فرسخت في قلبه وكانت نصب عينيه لايرى غيرها حيث لايشعر بمسبب الاسباب الذى هو من ورائهم محيط فكلما أمده الله بسبب من الأسباب هش اليه وألقى زمام قلبه بين يديه فكان

كالسنور تلاعبه بالحبل فيظن انه حيوان متحرك بنفسه فيغلب عليه حال الرجا لتناوله أو الخوف لينجو منه هذا حال الاعمى الذي لم ينقذه ربه من ظلمات بشريته الى نور الهداية والارشاد ذلك الذي يضحك منه القضا والقدر تضحك منه الاسباب التي يتناولها تضحك منه حفظته من الملائكة تسخر جوارحه من حواسه وحواسه من جوارحه فينادي بعضها بعضاً ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون هذا كله وهو اصم لا يسمع واعمى لا يبصر حتى وان كان اعلم اهل الارض بمجال دنياه و بفنون المعلومات القولية والعملية فهو الذي مثله الله بقوله كمثل الحمار يحمل اسفاراً وقوله (آتيناه آياتنا فانسلخ منها فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث) يريد انه دائم الكد والنصب والاشتغال فيما يظنه صالحاً ولكنه هو الفساد الاعم

وما اختلفت مسارب احياء القلوب وامواتها ومشاربهم في حال سفرهم الى ربهم الا لاختلاف الاستعدادات والقوابل في مبدأ النظام الكوني اذ الفضل والعدل هما حيطة دائرة الالوهية تدور بينهما المخلوقات لاسيما الجن والانس لانقسامهم الى فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير فكما ان الله تعالى خلق في الفريق الاول العمل ونسبه اليهم بحكم الفضل كذلك خلق في الفريق الثاني العمل ونسبه اليهم بحكم العدل على وفق ما حكمت به القوابل والاستعدادات وكما ان الارض التي هي كالام لكل موجود عليها حتى الانسان لقوله تعالى (والله انبتكم من الارض نباتاً) قد اختلفت معادنها ونباتاتها فكذلك اختلفت احوال ابنائها وقوابلهم فلو قال قائل لم لم يجعل الله معدن النحاس ذهباً او حديداً او غير ذلك لحكمنا عليه بالجنون فبالاولى من يقول لم لم يكن الشقي

سعيداً والسعيد شقياً أو الزبال مكان السلطان وبالعكس يكون أجن من المجنون ألا ترى قوله تبارك وتعالى (لا يسأل عما يفعل) لانه ما وضع شيئاً في غير موضعه الذي اقتضاه النظام الابداعي والاستعداد التكويني في ترتيب النشأة اذ لا لوم على المهندس فيما يقتضيه نظام الترتيب الهندسي وتستدعيه اللوازم الضرورية لما يريد ان يجعله سكنا إذ النظام يستدعي المطابخ وبيوت الخلا واسطبلات الحيوانات ومقاصير القينات ومنازل المسافرين وغير ذلك فاذا وضع المهندس كلا منها ذكرنا في موضعه فلا لوم عليه إذ الاستعداد ما حكم الا بذلك ولو شاء المهندس لقلب الوضع إذا خشي اللوم لكن اللوم لم يزل متوجها ممن شاء من أهل السماجة أن يلوم بعد قلب الوضع إذ لا مرجح لأحد النظامين إلا ارادة المهندس فلا معنى لقلب الوضع اذاً هكذا حال الموجودات مع موجدهم ولا سيما النوع الانساني الذي هو محط النظر في هذا الوجود الصوري فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولقد صدع الحق سبحانه وتعالى افئدة المنكرين بقوله (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) ولما كان المراد بقوله لا يسأل عما يفعل إقامة البرهان على انه ليس بظالم تمم الآية الشريفة بقوله (وهم يسألون) لتجاوزهم الحدود واسترسالهم فيما ليس لهم به علم بالمشاركة في التدبير والمنازعة في محكم القضاء وتمكن الاعتراض والدعوى من نفوسهم واغترارهم بمتابعة ضعفاء العقول لهم حتى شاركوا الحق في دعوى الالوهية من حيث لا يشعرون واستدرجهم من حيث لا يعلمون فقالوا اذا كان هو الفاعل في كل مفعول لم يعذب ولم يعاقب وما الحكمة في ارسال الرسل ولقد قلنا فيما

سبق ان الرسل ماجاؤا الا لارشاد المحبوبين وانذار المبغوضين والمحبوب هو الذي أنزله استعداده منازل الأخيار والمبغوض من جذبته سابقة قابليته الي الي مصارع الاشرار وحالت بينه وبين الالتحاق بمقابلة الموانع التي ذكرنا امهاتها وهذا بيانها

﴿ اما العتـة الملازم ﴾

فهو أحد الوصفين الموصوف بهما الانسان في قوله تعالي (انا عرضنا الامانة علي السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقت منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا) يريد قابلية واستعداداً لأنه من ماء وطين والماء حليف الطغيان والانطلاق مالم يتقيد بما يمنعه ولا معني للطغيان الا تعدي الحدود والطين كثيف مظلم والظلمة جهل وعماء فلهذا كان الانسان ظلوماً بدعواه القدرة مع العجز والغني مع الفقر والعز مع انه ذليل ولكن استعداده للأنطلاق في المخالفة والدعوي أداه الى للمنازعة فيما ليس له والى تحمل مالا يطيق حمله الا اذا أعين عليه وما ذلك الا لجهله فلقد وصفه الحق سبحانه وتعالى بما لم يصف به غيره من المخلوقات ونسب اليه من زميم الاخلاق مالا يتحمله إلا عريض القفا الذي لا يخجل اذا وبخ ولا يرتدع اذا زجر كقوله تعالى (قتل الانسان ما أكفره) وقوله (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقوله (ان الانسان خلق هلوعاً) وغير ذلك مما تفتت له أكباد أهل الاذواق السليمة الذين رفع الله عنهم حجاب البشرية المظلم المشار اليه في الآية الشريفة من قوله تعالى لنبيه (ووجدك ضالاً فهدي) يريد وجدك حائراً في ظلمة حجاب بشريتك فهداك بما حباك من النور الذي شرح به صدرك ولقد سأل تلك الهداية صاحب ورد السحر ربه بقوله اللهم رقق حجاب بشريتي

بلطائف اسعاف من عندك لأشهد مانطوت عليه من عجائب قدسك وسألها سيدي عبد القادر بقوله في ورد الغروب واجعل لنا مددا روحانيا تغسلنا به من الحماء المسنون الى غير واحد من أشياخ الطريق المرشدين بعبارات متشابهة المعاني مختلفة الالفاظ لعلمهم ان الانسان ظلوم مالم يقيد وجهول مالم يتعلم ولا نقصد بالقيد هنا الا النور الارشادي الذي متى احاط بعوالم الانسان صارت بمعزل عن ظلمات الجهالة فيمتزج بالارواح فتتخلص من كدورات الاشباح وبالافكار فتكون عقولاً تعقل الانسان لكيلا ينطلق الى مايؤذيه وبالنفوس فتتطهر من خبائث مايشتهي وذلك النور هو للذي ساله سيدي ابو الحسن الشاذلي بقوله واجعل لناظهيراً من عقولنا ومهيمنا من ارواحنا ومسخراً من انفسنا كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيراً وما أردنا بالتعلم الا التلقي عن الله تعالى المشار اليه في قوله (واتقوا الله ويعلمكم الله) ولقد فسر ذلك التعليم بقوله (ويجعل لكم نوراً تمشون به) لأن المسافر في هذه الأكوان والأطوار المظلمة بغير استضائة لايهتدي وما نصب الله هاتيك الأعلام التي أشار اليها بقوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) الا ليهتدي بها المسافرون فأما المسافر ببدنه فيهتدي هداية ظاهرية بمظاهرها الكونية وأما المسافر بقلبه وقالبه فيهتدي لما فيها من الحكم والأسرار بما بين يدي عوالمه من الأنوار (نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) وبذلك النور يفهم المسافر معنى قوله تعالى (والله من ورائهم محيط) وقوله (وهو معكم أينما كنتم) وقوله (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) إلى غير ذلك مما تعرف الله به لعباده المخلصين فعرفوه عرفانًا ذوقيا روحيا لا يأتي من طريق

الفكر والتجارب المعبر عنه بالمعقول ولا من المنقول ولكنه يكون من طريق العلم الرباني والفتح الصمداني كما سيأتي ايضاح ذلك وفاقد ذلك النور داخل في حيطة قوله تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) لأنه لو أشهدهم ما فيهن من العجائب القدسية شهودًا ذوقيًا وجدانيا لما ضلوا واتخذوا من دونه اولياء لايملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا فسماهم ظالمين بقوله (بئس للظالمين بدلاً) وهذا هو الجهل المهلك إذ لا جهل أضر من الجهل بالله ومن جهل الله ما عرف شيئًا لأن الله مع كل شئ إذ لو عرف المغتر بنفسه أو بغيره عجز ما هو مغرور به لما اغتر به ولكن الجهل عما والأعمى لايهتدي الا اذا أرشد ولا فرق في ذلك الجهل ما بين عابد الحجر المنحوت وبين متبع هواه المغتر بنفسه أو بأحد المظاهر لأنه كما تتنوع الأسباب والموت واحد كذلك تتنوع أسباب الشرك الخفي الذي هو موت القلوب والشرك واحد لأن نسبة النفس والشيطان والسلطان وجميع الشواغل للمغرور بها في الغرور نسبة واحدة لاتختلف ونسبة الجميع في العجز والذل والفقر الى الله نسبة واحدة لا تتفاوت وكذلك لافرق بين جهل أعلم عالم بجميع الفنون إذا فقد ذلك النور وبين جهل الذي لايعلم شيئًا اذ العالم الضال أقرب الى الجهل بالله من عامة الجهال وما كل علم منجي لأن العلم علمان علم بالعالِم بكسر اللام وعلم بالعالَم بفتحها والعلم بالعوالم ليس بمحجور عليه بل هو مبذول من خزائن التدبير الألهي من طريق الألهام لذوي الشؤن المعدة لترتيب النظام الابداعي تتسابق اليه الأفكار وتتطاول له أعناق النظار مخطئهم ومصيبهم كل يمد ويلهم بما تدعوه الى تعاطيه الحكمة الصمدانية من الشؤن

لتقويم قوائم المملكة الالهية في هذا الوجود الصورى ويستوي في ذلك العلم كل حيوان يحتاج ليدفع مضرة أو جلب منفعة رحمة من الله بخلقه وعطاء لا ينقطع مدده طرفة عين عن كل محتاج على اختلاف طبقات المحتاجين وتداول دولهم وتعاقب أزمانهم قال الله تعالى (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) ولا فرق بين إلهام النحل مايوحى اليها من اتخاذ البيوت وبين الهام كل مخترع لما يظهر في الكون من العجائب الصناعية (والله خلقكم وما تعملون) لأن الملهم الماسك بزمام الملك واحد وبيده ملكوت كل شئ ولكن اكثر الناس لا يفقهون. وأما العلم بالعالم الذى لا تخفى عليه خافية فذلك فضل مكنون وسر مخزون لا يناله الا أهل الأستعدادات النورانية بهداية الله تعالي وارشاده ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء كما فعل بأبراهيم عليه الصلاة والسلام وأعلمنا بذلك في قوله سبحانه وتعالى (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) الملك والملكوت كالروح والجسد الملك كتاب مسطور في رق منشور والملكوت معناه كأن الملك عالم الخلق والملكوت عالم الأمر قال تعالى (الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وما خرج موجود عنهما ولذلك قال تعالى (فسبحان الذي ملكوت كل شيء واليه ترجعون) في احوالكم وما لكم لأن المقاصد والارادات أينما توجهت وكيفما تحولت لا تجد غير الله لأنه مع كل شيء وورا كل شيء فالشهادة ملك والغيب ملكوت والله عالم الغيب والشهادة وأقرب مثل لهما جسم الانسان وروحه فالجسم من عالم الخلق والروح من عالم الامر وهو شهادة والروح غيبه وملكوته قال تعالى (ويسئلونك عن الروح

قل الله من أمر ربي وما أوتيتم من العالم الا قليلا) وقد يفهم صاحب الأشارات الذوقية من معنى هذه الآية أن ماترونه من المعلومات النظرية في عالم الشهادة قليل بالنسبة لما وراء ذلك من عالم الغيب الذي لايطلع الله عليه الا من ارتضى من رسول والتعبير فى الآية الشريفة بالملكوت دليل على أن الرؤية التي اراها الحق سبحانه وتعالي لخليله رؤية تكريم وتعرف وانها رؤية ذوقيه قلبية وجدانية لانظرية لأنها من طريق الارشاد والهداية كما تأخذ الملوك بأيدي أضيافهم ليطلعونهم على خبايا خزائن المملكة وما فيها من اللطائف المخزونة والغرائب المكنونة وهكذا فعل بحبيبه ليلة المعراج والاسرا وكذلك يتعرف لأصفيائه وأحبابه من طريق الاشارات الذوقية غير ان وجوه التعرف تتفاوت بتفاوت الاستعدادات والقوابل وتختلف باختلاف الدرجات والمنازل ومنها مايكون من تعطفات المحبة والجمال ومنها مايكون من طريق جذبات الجبروت والجلال وهو سبحانه وتعالى دائم التجلي فى كل شيء ومع كل شيء ولكن الخفاش لا يبصر ضوء الشمس كما قال قدوة العارفين سيدي علي وفا فى مناجاته وحجابنا بما منا عليه لا بما منك اليه وانت اذا شئت رفعت الحجاب وكشفت ماسترت وسهلت ماصعبت فاكشف ماسترت ويسر ماعسرت وقرب البعيد واطو مانشرت من طول مسافات السلوك ومهامة الأهوال الشاقة في شقة السير الي جناب قدسك العزيز المنيع ياقريب يامجيب يا الله آتنا من عندك رحمة وعلمنا من لدنك علما الى آخر ماقال وماقصد بمهامه الأهوال الا الموانع التي انتصبنا لبيان أمهاتها إذا الأدباء العلماء بالله ليس لهم هم الا تخليص نفوسهم من الشواغل التي هي كالأكنة للقلوب وجميع طلباتهم قاصرة على التماس

التعرف برفع الحجب وقطع الموانع اذا الحق سبحانه وتعالي يحتجب بكل شي ويتعرف في ادني شئ وكل ذرة في الوجود تغنى المستدل بها عليه وتوصله اليه متى شاء أن يتعرف له فيها وبغير تعرف لا تكون المعرفة إذ الأنوار الساطعة قد تكون هي الحجب المانعة وقديكون القرب الشديد هو البعد المديد كما لا يبصر المبصر بصره الا بمرأة فلا يصل الواصلون اليه الا بأنوار التعرف والارشاد ولا يتقرب المتقربون الا بجذبات العناية والامداد على أنه أقرب الى الأنسان من حبل الوريد وهو مع الملوك كما هو مع أرقاء العبيد وعلمه بما تحت أرضه كعلمه بما فوق عرشه ولقد قال معلم العلماء ومؤدب الأدباء الغريب في الوجود بوصفه الفريد الذي لم يساويه فيه أحد من العبيد صلى الله وسلم عليه إن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم وسأل جبريل عليه السلام بقوله هل رأيت ربك فانتفض وقال ان بيني وبينه سبعون حجابا من نور لودنوت من ادناها لأحترقت فأني اذا الأبن الماء والطين أن يعرف ربه الا اذا اصطفاه وصفاه وبجذبات الرحمة ولطايف الأنس وافاه وصافاه والدليل على عجزه عن السفر الا بمرشد قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به)

جرت سنة الله في كتابه المجيد أن كل خطاب يراد منه البيان والارشاد من طريق الفضل والأمتنان الاحسانية يأيه فيه بالذين أمنوا الذين ألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وما كان المراد منه البيان من طريق العدل والأنذار يقول يأيها النـاس او غير ذلك اذ القرآن ماجاء الا ليبين طريق الأستسلام للحق الفعال لما يريد وليعلم الأنسان آداب العبودية التي هى السبيل

الموصل الى خروجه من ظلمات الدعوى والشكوى الى أنوار المعرفة وفضاء الشهود حيث يرى نفسه علي ماهي عليه من العجز والضعف والمذلة للقادر القوي العزيز فيتخلق بالأخلاق التي بها يصلح لأن يسكن دار الكرامة التي لا انتقاد فيها ولا اعتراض ولا نزاع ولا جدل ولذلك قال تعالى (والله يدعوا الى دار السلام) برسله وكتبه (ويهدي من يشاء) من أحبابه وأصفيائه ومن تابعهم (الى صراط مستقيم) بالنور الذى جعله لعباده المؤمنين ليسيروا به اليه في حلل السكينة والوقار إذ آتاهم كفلين من رحمته كفلا يكفل الارواح من كدر الحمإ المسنون وكفلا يكفل النفوس من دنس الارجاس الشهوانية لأن البصائر اذا استنارت بذلك النور صار الفكر عقلا يعقل العوالم الانسانية عن الانطلاق فى اتباع الهوى قولاً وعملاً وحالاً ومن فقد ذلك النور كان كمن قال الله فيهم (إن هم الا كالانعام بل هم أضل) وما شبههم الله بالأنعام الا لأنها ترعي حيث تشتهي وان كان مضراً وكانوا أضل منها لأنها اذا أرشدت تهتدي والجهول يرشد ولا يهتدي ألا ترى بهيمة الانعام وقد سريت بها فى قطع الليل المظلم متى أطلقت صراحها عند الصباح لا ترجع الا من الطريق التي كان منه مسراها والانسان كم أمت به الرسل وقادته الأئمة المرشدون ورأي أعلام الدين الحق خافقة فيما بين الخافقين وانواره تسطع فى قلوب الخيار من الثقلين ومغاوز طريقه مهدتها أئمة اعلام وسارت على جادتهم اسلاف اكابر كرام ومضى على ذلك ثلاثمائة والف سنة وهو مرفوع العلم ومؤيد بقوايم العز والشرف بين الامم وقد جاء ذلك الجهول يتخبط فى عماية جهله مستلا ذلك الظلوم سيف زندقته الحاد منتصراً لعصبة المبشرين المسيحيين الذين اخذت

بحنق أفيدتهم النزغات الشيطانية وانتصبوا لاطفاء انوار ذلك الدين القويم ويأبي الله الا ان يتم نوره فلم يجد ذلك الظلوم الجهول من سفهاء الخطباء في هذا الزمن ما يتقرب به لهؤلاء الأشرار الا الاعتراض على مذاهب الأئمة والخوض في اعراض علماء الأمة أفلا يكون هذا وامثاله أضل من الانعام لفقده النور الذي ارشد الله به كثيراً من عامة المسلمين الذين لايحسنون النطق ان هذا لهو الجهل الذي ردّ به الانسان الى أسفل سافلين كما أقسم رب العزة حيث قال (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم إذ جعل له سمعاً يسمع الآيات وعقلاً يفهم الايمان وبصراً يرى آثار القدرة وفؤاداً يعرف العظمة وقلباً يعتقد التوحيد ليكون بهذا كله قابلا لتلقي مايلقي اليه من العلوم والاسرار وما يتهجج به في سلوكه الى ربه من المعارف والانوار فحكمت عليه سابقة استعداده فوقف على رأس الطريق منتقداً لأحوال السائرين وعائبا أعمال السالكين حيث امتطى مطية الظلم والجهل الموصوف بهما ولذلك قال تعالى ثم (رددناه أسفل سافلين) لأنه لم ينتقذه من ظلمات الحماء المسنون حيث حكمت عليه شهواته ومآربه الدنية وسابقة استعداده فصرف معالم تقويه الحسن الى أغراضه الهوائيـة وبواعث قوابله الشيطانية وتختلف تلك الاغراض والبواعث باختلاف مظاهر النفوس في مراتبها الوجودية وما اريد بها ومنها فمن الناس من لا ينبعث ميله الفطري الاستعدادي الطبيعي المعبر عنـه عند أهل السنة بالجزى الاختياري الا الى لذة الاكل والشرب والنكاح وغير ذلك منا لو أفنى عمره وما يمتلك أن لو كان أغنى الأغنياء في تحصيل نهايته لما أدركها إذ البطون لاتشبع والنفوس

الشرهة الشرودة لا تقنع ومن لم يرزق القناعة لا يملأ عينه إلا التراب هؤلاء هم الذين يأكلون التراث أكلاً لماً ويحبون المال حباً جماً ومنهم من لا تنبعث أفكاره الا إلى القواطع الشيطانية والموانع الهوائية كحب الجاه والرياسة والتعالي على الغير زهواً وإعجاباً بالنفس وازدراء للناس بدعوى الحكمة والمعرفة مع موانع الطيش والغرور الذين هما من مناشير شجرة الاخلاق الكريمة يستأصلانها من القلوب من حيث لا يشعر ذلك الطايش المغرور وهما ضدان للحكمة لا تجتمع معهما في قلب واحد إذ هما غرس الأصرار والعناد في الجدال الى غير ذلك من المذمومات التي يتفرسها من في قلبه ذرة من الايمان في سفهاء هذا الزمن الذين تجملوا بالشقشقة وتمنطقوا بالزندقة وكل ذلك لا يأتي الا من فاقد النور الذي امتن الله به على عباده المؤمنين لان هذه كلها أخلاق تستدعي استجلاب شوارد الهموم الدنيوية ومن تشعبت به همومه لا يبالي به الله في أي واد هلك ولقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم أمر الدنيا في قوله من بات آمناً في سربه معافاً في بدنه عنده قوت يومه فكأنما سيقت اليه الدنيا بحزافيرها ولله در القائل

ومهما أذاع المرؤ ضوضاً نفسه ✲ فما هي الا صيحة بين كيمان

ومن اغتر بدنياه أورثه الله ذلها اما لنفسه أو ورثته

ولقد طهر الله قلوب أصفيائه من خبائثها بما هذب به نفوسهم حيث نهاهم عنها وأمرهم بالاعراض عن عرضها الخسيس وبين لهم خستها بضرب الامثال في الآيات القرآنية وجملهم بما وهب لهم من الاعمال والأحوال فمن كان له أدنى نصيب من النور والحكمة لا تراه يطلبها الا من وراء قلبه حيث يستوي عنده

الوجدان والفقدان وإذ نير البصيرة لا يجعل قلبه عرضة لسهام تلك القواطع وان سفهاء هذا الزمن الذين أطلقوا ألسنتهم بسموم المواعظ التي اهلكت كثيراً من قلوب العامة ليعلمون ذلك علم اليقين ولكن العناد والاصرار وحب التظاهر الجأهم الى نسيان النصائح القرآنية وتحريف الكلم عن مواضعه وهذه الاخلاق الشيطانية هي التي أهلكت ابليس وطالما تعوذ منها أولياء الله أمثال القطب الشاذلي حيث قال فى حزب البر اللهم انا نسئلك توبة سابقة منك الينا لتكون توبتنا تابعة اليك منا وهب لنا التلقي منك كتلقي آدم منك الكلمات ليكون قدوة لولده فى التوبة والاعمال الصالحات وباعد بيننا وبين العناد والاصرار والشبه بابليس رأس الغواة الى آخر ما طلب منا لو تعقله المطلعون ووعاه السامعون وشهده القارئون بقلب سليم لاهتدوا به الى ما يصلح حالهم ويحسن مآلهم ولكن الامم الآن ما اهتدوا الا الى خزعبلات الجرائد وخرافات أهل البدع كما هي عادة النفوس الدنية لا تركن الا الى الملاهي فياويح من ضلوا وأضلوا (وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون) لفقد ذلك النور الذي به يميز الانسان الحق من الباطل (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) قال تعالى (أفمن جعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) ولذلك ترى كل من دخل في مخيلته قليل من التصورات الادراكية التي يستجلبها التجارب ومطالعات الصحف لايجد بدّا من أن يقوم خطيباً فلا يجد مايتكلم به الا ما انطبع في قلبه من الشبهات التي زينها له الشيطان وكلما اتسع له هذا المجال صال وجال وظنّ أنه تغول في ميادين الأبطال فكان كما قيل

واذا خلا الميدان من أسد ✲ رقص ابن عرس وتومس النمس

وتراه لاتسرح نكاته ولا تموج كلماته الا في تحسين ماقبحه الله لاستحكام الجهل في قلبه ظاناً أن الله تعالى ماخلق الأنسان الا ليفتخر بأصلاح الدنيا ومنافسة أهلها فيها وهؤلاء هم الذين أمر الله نبيه بالاعراض عنهم في قوله (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) وفي قوله يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) أيقاس هؤلاء بمن أفنوا عمرهم في ضبط الأقوال النبوية والأفعال الدينية والأحكام الشرعية حتى لم يفتهم فائت ولاغاب عنهم منها غائب واجتهدوا في بيان الرخص والعزائم فظن الجاهل ذلك اختلافاً في المذاهب وعابهم به لغلبة العتة عليه كلا (لا يستوي الأعمى والبصير) حكي ابوا شادوف أن عالماً دخل بلدة فوجد امامها جاهلاً فأراد تعليمه فما قبل لظهوره بمظهر العالمية في بلدته فسأله العالم عن الجلة التي هي روث البهائم أعرض هي أم جوهر فشنع به ذلك الجاهل بقوله أيها الناس هل تعلمون أن الجلة جوهر فما كان من أهل تلك القرية الا أن طردوا ذلك العالم لجهلهم فهكذا حال أهل هذا الزمن لم تكن أمة من الامم الماضية أجهل منهم بالدين ونسكه وشعائره فلذلك ركضت خيول تشنيعات اهل البدع في ميادين قلوبهم الخربة التي لم تعمر الا بأنواع الملاهي التي اودعها متقدموا الفلافسة علم التاريخ ظناً منهم أن من لم يكن خبيراً بشؤون الأمم واخبارها لايكون انساناً تالله لقد تقدم هذا القرن قروناً من نحو السبعة آلاف سنة فيما يقال من عهد آدم او نوح ونزلت في كل امة كتب او صحف سماوية وأرسلت لهم رسل وكان فيهم أنبياء كثيرون فما سمعنا من امتدح مشتغلاً بالدنيا ولا

دائماً لمن اشتغل بخدمة ربه الا سفهاء هذا الزمن أو فساق الأمم الماضية فهل تساوي كهنة المتقدمين أو سحرتهم أو ملوكهم أو اغنيائهم أو مهرتهم في الحرف والصنائع أو فلا سفتهم بأنبياء الله ورسله وعباده الصالحين (لا والله) ماسمعنا من قال رضي الله عن بسمارك ولا صلى الله على ابن سينا اذ الفرق بين اهل الدنيا وأهل الآخرة كالفرق الذى بين الزّهر بضم الزّاي والزهر بفتحها هذه انوار لا يطفأها تعاقب الملوان ولا يذهب بضوئها مديد الزمان وأما ذلك فشئ تذهب بريحه الرياح وما شهده منه المسـاء ربما لم يدركه الصباح (ان في ذلك لا ذكرى لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد) وهناك فارق آخر وهو أن المتنور بذلك النور لا يلحقه السهو عن مراقبة نفسه والحجر عليها في الـكلام الا فيما يعنية لقوله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقول النبيّ صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يصمت وقوله وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم فلا يتكلم المتنور الا ببرهان شرعي أعني بقصد حسن ونية صالحـة وكذلك يراقبها قبـل الشروع في الأعمال لقوله تعالى (ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه) وكذلك في خطرات الخواطر النفسانيـة لقوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبـل الوريد) ولا يقع في تلك المصارع الا الغافلة قلوبهم اذ لا تتحكم في قلب شهوة الا بعد تمكن سهوه وتختلف تلك الا فات باختلاف طوارق الشهوات ومن أراد ان يعلم آفات القلوب ودسائس النفوس فعليه بمؤلفات الصوفية والـكتب الدينية والمراد بالآفات هنا سيئآت الأعمال والاقوال

والمقاصد التي هي مقدمات الامراض القلبية وسببها الاعراض عن الله والتساهل بالآداب الشرعية فترى المتنور لاهم له الا المحافظة على قلبه من هذه المهلكات مشغولاً بنفسه كالساري في ظلمات الليل واوحال السيل أشغله خوف زلة القدم عن مطالعة شؤون السائرين ما لم يتيقن السلامة فيأخذ بيد غيره وليست السلامة تحت أحكام الاوهام والظنون ولا طوع جواذب الآمال ولكنها في طوايا المبشرات الالهيه كما قال الله تعالى (ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ولذلك لاتجد حسن الظن والرأفة بعباد الله وسكون الوقار والخشية حياء من الله الا عند هؤلاء الأخيار حتى كان بعضهم يمرّ بالاسواق ولا يشعر بمن فيها لشدة اشتغاله بنفسه وقد رأي الجنيد رضي الله عنه رجلاً يعانق امرأة وقد أخذ عن الطريق جانباً فقال لمن معه لعلهـا زوجته الى غير ذلك من الأخلاق التي تعرف من مطالعة أخبارهم وتفقد آثارهم التي ما تمكنوا من اكتساب محامدها الا بارشاد الله تعالى ومعونته حيث أيقظهم من نوم الغفلة وتيه السهوة فسهوة ساهيهم متبوعة بالتذكار قال الله تعالى (ان الذين اتقو اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون) وأما الذين فقدوا ذلك النور فهم أعلم الناس بعيوب الناس واجهل الناس بعيوب أنفسهم يختلقون المعائب اختلاقاً كيفما شاءت أهواؤهم لتعود ماهم عليه من السجايا على تبديل الحسنات بالسيئات فلا يروا العامل عملاً حسناً الا ماعملوه ولا قولاً مفيداً الا ماقالوه وتراهم يلتقطون الأخبار كما تلتقط الطيور أرزاقها رغبة في كشف الأستار وافتضاح الأخيار والمعيوب لا يتفقد الا العيوب وأرباب العاهات يتسابقون الى كشف

العورات ولا عاهة أضر من عاهة الجهل مع العلم فان الجاهل الذى لا علم عنده ربما لم يصل ضرره الا الى نفسه وأما العالم الجاهل فضرره عام شائع وفساده كثير ذائع والعالم الجاهل هو الذي لم يجعل الله له نوراً يتفقد به عيوب نفسه وأفات قلبه لكنه وصل من مطالعة الفنون المنطقية وما حوته التواريخ من الآثار والأخبار وتقلبات الحوادث والأطوار الى حد ظن عنده انه قرب من الله قرباً لم يسبقه اليه سابق ولا يلحقه فيه لاحق وتوهم بذلك أنه أسبق الى الخير ممن سواه فطاف به طائف الطيش والغرور فانطلق عليه لسانه كما تنطلق على المبطون بطنه فتراه يزدري العبّاد والعباد ويزعم انه الامام المقتدي به في اصلاح البلاد (اولئك الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً) وهذا هو العلم الذي أصبح الجهل خيراً منه فويل لمن أضله الله على علم ولذلك قال (العارف الجيلاني في ورد الغروب يسأل ربه بعد كلام ينعش الارواح وتهتز له الاشباح وقرّبنا اذا أبعدتنا واقرب منا اذا قربتنا وعلمنا اذا جهلنا وفهمنا اذ علمتنا فانظر الى احتراز هذا الخبير الذي لا يأمن مكر ربه فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وذلك لما يعلمه من شؤون الاقتدار الالهي الذي أشار اليه ابن عطاء الله في مناجاته بقوله الهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطا واليأس منك في بلا فلذلك استقال سيدي عبد القادر من العلم اذا لم يكن بتفهيم وارشاد الهي ومن القرب اذا لم تلحقه الوصلة اذ لا يفيد التقرب ان كان المقصود متباعداً كما قال القائل

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على أن قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع * إذا كان من تهواه ليس بذي ود

وكذلك العلم اذا لم يلحقه التفهيم الألهي لا يزيد صاحبه الا جهلاً حيث لا يجني من ثمرته الا ما يستحي الجاهل من تعاطيه كالغيبة والسب وانتقاد الأحوال وازدراء الناس ومزاحمة الحق سبحانه وتعالى بالمنازعة والأعتراض في شؤون خلقه والتشوف الى تبديل أحكام الأوقات التي اختص الله بتدبيرها واظهار مظاهرها وابراز شؤونها فانه بيده ملكوت كل شيء ولا يكون شيء الا اذا قال له كن قيل ان عالماً كان يفسر قوله تعالى كل يوم هو في شأن فسأله سائل ما شأن ربك اليوم فأفحمه وقام من مجلسه مكروباً فلما كان الليل رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول له ان السائل لك الخضر فأذا أتاك فقل له شؤون يبديها ولا يبتديها يرفع اقواماً ويخفض آخرين فقال له السائل صل على من علمك ولكن ذلك الجاهل لشدة طيشه وغروره يظن ان مالك الملك أغفل ملكه حتى يقوم المغرور بأصلاحه فكان مثله كمثل طائر يعرف عند العوام بأبي فسيه زعموا أنه ينام مستلقياً على ظهره مستقبلاً السماء برجليه مخافة سقوطها عليه حتى اذا سقطت اكتفى ضرها برجليه وماهو الا دون العصفور جرما هكذا حال من يزعم انه يسعى في اصلاح الأمم قال ابن عطاء الله في حكمه ماترك من الجهل شيئاً من اراد ان يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه وايته يريد أن يحدث اصلاحاً ولكنه يفسد ما أصلحه المصلحون وما ذلك الا لشدة حمقه حيث كان راضياً عن نفسه ساخطاً على غيره كما قال ذلك العارف صاحب الحكم اصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضاء عن النفس واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا عنها ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير

لك من أن تصحب عالمًا يرضى عن نفسه فأي علم لعالم يرضى عن نفسه واي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه فما أعرف هذا العارف بدسائس النفوس وآفاتها وما اجهل من لم يرشده عارف وان أدرك من المعلومات الكونية مالا تسعه صحائف التسطير اذا لعته الملازم داء عضال وما هو الا فقد الأنوار التى يجعلها لعباده الكريم المفضال

﴿ تنبيــه ﴾

النور الذي يشرح الله به الصدور ليس هو الزكاء والفهم وحدة الذهن اوغير ذلك من الفصاحة والبلاغة والحفظ وحسن التصور واتساع الفكر وسعة الأطلاع في الفنون إلى مالا يتناهي من الأوصاف التي استدعتها لوازم الحيوانات الضرورية ويجعلها المدبر الحكيم سبحانه وتعالى في بعض افراد النوع الأنساني أو أي حيوان لتقويته على القيام بأداء واجبات ما يراد به ومنه علي حسب ما تقتضيه رتبته الوجودية إذ هذه اشياء يعطيها الله لمن يحب ويبغض وتختلف في الحيوان باختلاف الدواعي فحنان الأنسان لزوجته يخالف حنانه لولده وحنانه لولده يخالف حنانه لقرابته وكذلك جميع الأخلاق تختلف في الانسان بأختلاف الدواعي والمناسبات لأن الله تبارك وتعالى ما جعلها في الحيوان الا أسبابًا للوصلة والتعارف لأرتباط المناسبات الكونية بعضها ببعض ولذلك كانت الوصلة بين العبد وربه لاتأتي من طريق تلك الاخلاق اذ لا مناسبة بين القديم والحادث فجعل الحق سبحانه وتعالى ذلك النور لعباده المؤمنين سببًا للوصلة والتعرف لانه نور الأنوار فلا يتم لعبد وصلة بينه وبين ربه الا بالنور ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل لي نورًا واجعلني نورًا ولا

يهب الله ذلك النور الا لمن يحب وهذا مصداق قوله عليه الصلات والسلام ان الله يعطي الدنيا لمن يحب ويبغض ولا يعطي الآخرة الا لمن يحب فأثروا ما يبقي على مايغني فلا ضرر على الأنسان اشد من فقد ذلك النور ولذلك ترى عابد الفيل او الصنم او النار او غير ذلك قد اجتمعت فيه تلك الاوصاف او غالبها وهو مع وفورها فيه يعتقد في معبوده الذي لايساوي شيئاً بالنسبة له أن له عليه حقوق الالوهية وأنه يجب عليه ان يقوم له بمذلة العبودية فلو قامت تلك الأوصاف مقام النور الألهي لما سلك هذا الأعمى ذلك المسلك الوخيم وترى الامي العامي الذي وهب الله له ولو خرم إبرة من ذلك النور مع جهله بالفنون والاخبار وفقد الفصاحة والزكاء قد استسلم الى ربه في جميع شؤونه واحب رسوله محبة تفضله عنده على اهله ونفسه لقوة ايمانه بما وهب له الله من ذلك النور الذي شرح الله به صدره للاسلام قال تعالى (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) وترى ذلك العامي سمح الاخلاق كريم السجايا من غير تصنع حتى انه يسمح بكل ماله في محبة اولياء الله تعالى وفيما يظن انه قربة تقربه الى ربه لما سمعه من قول النبي صلى الله عليه وسلم يحشر المرء مع من احب فلا فرق عنده بين الاموات والاحياء من الأولياء ومن كان هذا حاله كان حقاً على الله ان لا يضيع اعماله ولا يخيب آماله وترى العالم الفاقد لذلك النور يتهاون بالأوامر الدينية وربما نهي عنها وسخر بمن اتى بها ويستحقر ضعفاء المسلمين ويزدري ائمة الدين وربما ترك العبادة لزعمه ان الله غني عنها حيث لايشعر أن الأدب المفضي الى اتباع الأوامر

خير من العلم المؤدي الى التهاون بها وأن العالم الجريء على المخالفة في الصغائر أحق بالمؤاخذة والعقاب من الجاهل الفاسق وأن الجاهل الذي قوي ايمانه وجاء بما لم يؤمر به بنية القربة خير من العالم الذي يقول ما لا يفعل ويعلم مالا يعمل ويترك الأوامر اتباعاً لهواه وان بساط الرحمة والأحسان لا يضيق بجهلة العامة لا تساعه سعة لا تحيط بها الأفكار ولا تتخيلها الأوهام وأن العامي المنفق لماله في محبة الأولياء والصالحين يعدّ ممن يسر الله الخير لعباده الفقراء على ايديهم وانه هو المعتدي الأثيم بمقته له حيث لم يدرأ يهما المقبول عند ربه فسبحان من هو عند المنكسرة قلوبهم العزيز الحكيم الذي قضا قضائه العدل بفوز الأميّ الذي ربما تخيل ان الشمس تشرق من وراء جدار داره وبحرمان العالم الذي يزعم انه استكشف شموساً في السماء كثيرة وطاف البلاد واحاط بأنباء العباد

فأن قلت إن فحوى هذا الكلام تفيد انّ الله ماعرفه الا شرذمة قليلة من خلقه مع ان كل مخلوق لايجهل خالقه لاسيما عند احتياجه لما تشتد ضرورة فاقته اليه من اللوازم الضرورية اقول ليس المراد بالمعرفة هنا معرفة السماع اذ الاعمى الذي عنده خبر بوجود الشمس يعلم علم اليقين انها موجودة ولكن فقدها ووجودها عنده سيان لجهله بمالها من المنافع والتأثيرات الكونية فكذلك معرفة فاقد ذلك النور بربه معرفة سماع ولذلك تراه يعتقد عظمته ولكنه لا يخشاه لأنه لو وصل الى معرفته من طريق الشهود الوجداني لما دخل بينه وبين عبيده بالنميمة بعد ما سمع قوله تعالى (ولو شاء ربك ما فعلوه) ولا ازدري احداً من خلقه ولا رأى نفسه فوق احد اذ الرابطة التي بينه وبين ربه هي

الرابطة التي بين ربه وبين كل موجود ولكن الله سبحانه وتعالى يكسوا بعض المظاهر من النوع الانساني ملابس الجبروت ليفعل عندها ما يريد حتى اذا نزعها من أي مظهر تراه تساوي بغيره فترى الملوك وارباب المناصب تكون لهم الرهبة في قلوب الناس حتى اذا نزعت عنهم تلك الملابس الجبروتية صاروا كأفراد الرعايا فلو عرف احدهم ربه حق المعرفة لما تباهي بما لا يملك ولا اعجب بما لو شاء الله لخلعه على غيره في الحال ولو تفطن وادرك طرفاً من الحقائق الكونية لتحقق انه ما هو إلا محل لظهور ما يظهره الله على يديه ملهماً مسخراً ولكن الحكمة الالهية تقتضي التعمية لقوة نواميس العدل والفضل حيث لا يحكم احدهما على الآخر وهذا مجال واسع يحتاج الى بيان وايضاح ليس هذا محله فسبحان خالق النور وهو النور الذي ليس له حجاب الا النور ولا خفاؤه الا شدة الظهور نسأله الرشاد والارشاد والهدى والهداية انه على كل شيء قدير

حكي عن الأستاذ الجيلاني أنه رأي رجلاً مخموراً فلما أفاق أخذ في تعنيفه ووسع في ذلك فقال له اليك عني يا عبد القادر إنَّ الله الذي جعلك شيخاً كبيراً وصيرني مخموراً قادر على أن يبدّل الحال في الحال فأخذ الخوف بمجامع قلب ذلك الأستاذ حتى اصفرّ لونه وأغمي عليه لشدة يقينه بصدق القائل وقوة الفعال القدير وسرعة حلول المقادير

﴿ واما الألتباس بمشابهة الطرق ﴾

فهو طوارق الشكوك والريب جمع ريبة التي تفاجيء ضعفاء القلوب عند توارد الشبه العقلية التي تخترعها أهل الزيغ عليها ولذلك نهي النبي صلى الله

عليه وسلم عن مخالطتهم والاغترار بزخارف أقوالهم لأنهم شياطين الأنس وقد أمره الله بالتعوّذ منهم بقوله من الجنة والناس في سورة قل أعوذ برب الناس وما قصدنا بالطرق المتشعبة الا مشارب الأعتقادات المختلفة باختلاف الأهواء والبواعث التي مصادرها الأفكار المتضاربة وأساسها متابعة الهوى ومظاهرها الصحف المنتشرة في هذا الزمن التي صيرت قلوب غالب قرّائها بمعزل عن الدين حيث البست الامر عليهم فلم يفرّقوا بين علوم الدنيا والدين لتسمية الدين بالحضارة والتمدن الاسلامي وقد كنا نعلم أنّ الحضارة ماهي الا الرفاهية التي عليها سكان الحضر ونعومة العيش وضدها البداوة وأن التمدن ماهو الا سير الأمم على قانون سياسي تنتظم به أحوالهم الاجتماعيـة وضدهما التوحش والهمجية ومعناه عدم الانقياد الى نظام القانون السياسي وان كان في مخالفته صلاحاً لأحوال المتوحشين ولقد ثبت في اعتقاد العلماء المتدينين أن الدين وراء ذلك كله لعلمهم أن القانون السياسيّ خاص بأصلاح الاحوال الدنيوية بقطع النظر عن أنها تقرب العبد من ربه أم لا واما الدين فما هو الا الطريق التي توصل من سلكها الى ان يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر كما سيأتي ايضاح ذلك بالبيان الشافي فالتبس الامر على الناس بتسمية الدين بالحضارة والتمدن فتخيلوا أن الدين ما هو الا حسن المعاملة فيما بين النـاس والأجتهاد في سعة العيش وحسن التمتع بالدنيا وما زال بهم هذا التخيل حتى اتخذوه ديناً ونسوا الله فأنساهم انفسهم وتفننوا في تقويم قواعد ماتخيلوه واظهار شؤونه بأستعمال الأفكار الخاطئة التي سموها عقلاً وتسلطن عليهم الشيطان فزين لهم ازدراء الكتب الدينيـة من حيث لم يشعروا أنها نزغات شيطانية

ما أرادت بها شياطينهم الا ضياع الاساسات الدينية التي تعب في تقويمها السلف الصالح حتى دخلو تحت قوله تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وما تفطنوا لمعنى دقيق اشارة قوله صلى الله عليه وسلم ان الدين سيعود غريبا كما بدا وان العلم والقرآن سيرفعهما الله وهل لرفعهما معنى الا حجب القلوب المظلمة عن ادراك الغاية التي انزلها الله لاجلها اذ القرآن ما جاء الا لطهارة القلوب من الشواغل الدنيوية ومتى اطلق لفظ العلم لاينصرف الا الى معرفة الله تعالى ومقدماتها الموصلة اليها فلما تواردت الشبه والتبس الامر تجولت أفكار السفهاء في مهوات الضلال فحرفوا كلمات القرآن عن مواضعها وتصوروه بصورة قانون سياسي جاء لتأسيس قوائم الحضارة والتمدن جهلاً منهم بلفظ الدين ومعناه لانهم ليسو بأهله وانما يعرف الفضل ذووه وتصديقا لقوله تعالى (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) لان الله تبارك وتعالى من كمال اقتداره كما يعذب قوما بما يرحم به آخرين ويرحم آخرين بما يعذب به غيرهم كذلك يفتن قوما بما اهتدى به غيرهم ألا تراه أهلك فرعون بما جعل منه كل شيء حي ونجا ابراهيم من النار المهلكة لكل شيء فكذلك يفتن بالقرآن قوما ويهدي به آخرين كما صرف قلوب المفتونين عن معنى العلم الحقيقي المطلوب المقصود بالذات الى ما يحسن به الانسان منطقه اذا تكلم وجوابه اذا سئل عن البسيطة وما حوت لكي يتساوى بعلماء أوربا وتمكن ذلك الجهل من قلوبهم حتى اغتابوا العلماء المتقدمين وعابوهم بأنهم كانوا لايعلمون شؤون البلاد الاجنبية ولا مواقعها وانهم مااطلعوا على حوادث الامم الحديثة ولكنهم اكتفوا بما جاء في القرآن من الوقائع القديمة ثم نقلوا عن

بعضهم بطريق الغيبة والازدراء أنه كان يسئل عن بعض البلدان فلا يدريها لجهله بها وعابوا البعض بأنه كان يعتقد أن الأرض ثابتة وأن اكتساب ماء الآبار شيئاً من الحرارة في زمن الشتاء ما هو الا لطول مكث الشمس في مقابلة الارض فيما يلي التحت الى غير ذلك مما عابوا به اسلافهم المتقدمين كما تفعل اللقطاء بمن انتسبوا اليه من الآباء حيث لاحق لهم في ذلك لأن كل شيء يكون للتصور فيه حكم لايفضل فيه متصور عن متصور آخر ولا حرج فيه على المتصورين سواء أخطئوا أم أصابوا اذ لا يبعد أن يكون الذي حكمت الافكار بأصابته هو المخطي سيما اذا لم يكن هناك دليل قاطع من كلام الخالق أو رسله مع أن الآيات القرآنية تساعد أهل السنة فيما اعتقدوه كما وأنه لا فائدة في الوقوف على تلك الحقائق لأي إنسان في دينه اذ المقصود من ذلك ما هو الا اعتقاد تمام القدرة وهذا غرض حاصل على أي حال إذاً فلا حاجة لاعابة قوم أشغلتهم المحافظة على أمر دينهم والاعتناء بتعليم قواعده الاساسية للعوام مع ماتحملوه من مشاق الخدمة في تأدية الفرائض الدينية والقيام بالنوافل الليلية متابعة لرسولهم عن البحث فيما لافائدة في بحثه الا ان يقال هذا مطلع ماهر خبير بالفنون التي لاتغني من الله شيئاً إذ لا نجاة لمن يجهل نفسه وان أحاط بجميع المعلومات السماوية والارضية فأن العلم بغير عمل لانجاة به ولو صح ذلك لكان ابليس اول ناج ومن عرف نفسه لايفتر عن مراقبتها طرفة عين ولا يشتغل الا بما يعنيه هذا إن حكمنا بخطاء من هذا اعتقاده ولكنا نقول ان تصديق الخالق والايمان بما أنزله يجعل كيد الباحثين في نحورهم حيث (قال والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون والارض

فرشناها فنعم الماهدون) فكونها كالقبة التي اتسع أسفلها وضاق اعلاها لسهولة وصول الماء الى أطرافها لايوجب ان تكون كروية أو دائرة ولسنا من علماء هذا المجال الوهمي فلا معنى للكلام فيه ولكن الغيرة الاسلامية جذبتنا الى المدافعة عن السلف الصالح لعلمنا أن الله تعالى كما أشغل أهل كل حرفة عن التشاغل بغيرها قد أشغل العلماء بالدين عن الالتفات الى مالا يحتاج اليه الا رؤساء السفن البحرية وأهل السياحات البرية ومن جعل الله أكبرهمهم الدنيا وشؤونها ثم أشغل غيرهم بما هم مشغولون به من البحث في المظاهر الكونية وان قال القائل أولم يأمر الله عباده بالتفكر في مصنوعاته نقول انه ما أمر بالاشتغال عنه بالبحث فيما صنع الى حد يكون معه المشتغل كنجار اجتهد في أن يتعلم دقائق تلك الحرفة حتى أدركه الموت ولم يكتسب منها شيئاً الا علمه بها ولكنه أمر بالتفكر ليصل المتفكر من المعرفة بالصانع الى ما يكون به مستسلماً له في جميع حركاته وسكناته اذا صح له التفكر فتحقق به ان هذه المصنوعات مظاهر وان صانعها هو الذي قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده) ولا فرق في الامساك الذي هو ادارة حركة الافلاك وغيرها بين المصنوعات العلوية وبين الحركة التي في جوف البعوضة اذ المدبر للكل واحد لاشريك له هذه هي المعرفة التي كان الأمر بالتفكر لأجلها ولكن أهل النظر المفتونين ضلوا في أودية الاستقلال حيث سبحت بهم الأفكار في بحر لجي يغشاهم الموج ومن فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض كما ورد في القرآن المجيد التمثيل بذلك فلهذا اقتنع طلاب الآخرة بما به تكون نجاتهم لكيلا يدخلوا تحت حيطة قوله تعالى (ومن أظلم ممن افتري

على الله كذبا) فما اشتغلوا الا بتعليم العوام أمر دينهم بما يمكن دخوله في حافظة تصوراتهم وان لم يتجمل منطقهم بالبلاغة لأنهم ما أرادوا منهم جزاء ولا شكورا حيث استوى عندهم المادح والقادح هكذا كان حال السلف الصالح ثم وان احتج العائب لهم بقوله تعالى (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) نقول ان هذه الآية وما يشابهها من الآيات ماجاءت الا فى معرض التبكيت للمكذبين الضالين كما قال (فامشوا فى منا كبها وكلوا من رزقه واليه النشور) فظن الجاهل انها من قبيل الامر بالسعي فى طلب المعيشة وليس كذلك بل هو توعد كأنه يقول جل شأنه أنا جعلت لكم الأرض ذلولا وجعلت لكم فيها من النعم مافضل عن حوائجكم فامرحوا على ظهرها حيث شئتم ومتى رجعتم الينا حاسبناكم على الفتيل والنقير والقطمير الي غير ذلك من التوبيخ الذي لو أحس به الشرود لهلك حياء وخجلا ومخافة ولقد تبين مما جاءت به الرسل من الآيات والنصائح والوصايا ان الله سبحانه وتعالى يستوي عنده عمار الدنيا وخرابها اذا لم يكن على ظهرها من العبيد الأتقياء من يقوم بآداب العبودية وانها لاتزن عنده جناح بعوضة لولا وجود أصفيائه وأحبائه الذين الزمهم كلمة التقوى وما فطن هؤلاء السفهاء الى انه لو كان العلم بمواقع البلدان وأخبار أهلها مما يجب على كل فرد من افراد العلماء لكان الاولى بالوجوب معرفة العالم بكل أسماء أهل بلدته او مدينته واسماء ابنائهم وحدود منازلهم وجميع شؤونهم وحوادثهم اليومية والطيب منهم والخبيث لأنهم أقرب الناس اليه وأحوجهم الى احاطته بأحوال افرادهم ان كان هذا كله من الدين أعني من الفرائض الدينية التي يذم العالم بتركها (كلا) والله لم يكن ذلك من

الواجبات الدينية ولامن اللازم الضروري للعالم فان العالم هو الذي ينبغي ان يجهد الناس انفسهم فى الوصول الى معرفته للاقتداء به فيما يختص بأمر دينهم الذي يقربهم الى الله بحسن اليقين ونور المعرفة ولو أشغل نفسه بمعرفتهم لهلك كما هلك السفهاء الذين أشغلهم الله بالاشتغال بهذه الفنون المهلكة وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) ولكن لا لوم على أهل الزيغ الآن فأن المفتون لا يتناصح والهائم على وجهه لا يرده إلا الزجر العنيف وذلك لاسباب منها جريان سنة الله تعالى في خلقه بأنه اذا جاء إبان تحول أحوال أهل زمن من الازمان الى حال لم يكن عليه من قبلهم حول قلوبهم لما استعدت له استعداداتهم الأزلية وقوابلهم الاصلية ثم يبعث فيهم أو يسلط عليهم من يمهد لهم مناهج السبل التي أراد منهم سلوكها و يشرب في قلوبهم حبها ليطمأنوا بذلك الى تقليد المسلط عليهم أو متابعة المبعوث اليهم ليحدث الله ما شاء أن يحدثه فيهم من المنح والعطايا أو طوارق المحن والبلايا كما تراه الآن والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) يريد اظهار ما تقتضي ظهوره استعداداتهم وقوابلهم بعد ما كان مستوراً في طي متابعة من كان قبلهم وكثيراً مانبه القرآن الكريم على أن آيات الله تكون فتنة لقوم ورشاداً لآخرين لذلك ترى أن كل سالك طريقاً يستدل بالآيات القرآنية على صحة مقاصده وأعماله لان الله تبارك وتعالى من تمام قدرته وكمال حكمته يزين لكل عامل عمله ليجتهد في أداء ما هو مراد منه وهو معنى قوله (وكذلك زينا لكل امة عملهم) ومن الأسباب أيضاً أن أحكام العدل تقتضي بأن يتميز الخبيث من الطيب ولن يتميزا الا بالأعمال لقوله تعالى (الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات

والخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات) اشارة الى أن الأعمال تابعة لاستعداد العمال فلا يخلق في أي عامل عملاً من الاعمال الا ما يكون مناسباً لاستعداده وقابليته اذ لا تصلح طيبات الأعمال الا للطيبين من العمال ولا يصلح الطيبون من العمال الا لطيبات الأعمال وكذلك الخبائث لا تصلح الا لأهلها ولذلك صح تبديل سيئات الابرار حسنات لغلبة نور استعدادهم على ظلمتها وتبدل حسنات الأشقياء المحجوبين سيئات لما لحقها من سوء طوياتهم وخبث نياتهم ولقد أشار الى هذا المعنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة الى آخر الحديث المشهور لان لاحقة الاعمال تتبع سابقة الاستعداد كما ذكرنا غير مرة ولكن صدور السيئات من الأخيار والحسنات من الاشرار قليل اذ الاعمال تابعة للنوايا والله تعالى لا ينظر الى الصور ولكنه يطلع على القلوب ولذلك قيد النبي الكلام بقوله فيما يرى الناس فكم من ساع في خير لا يريد به وجه الله تعالى فلا يرفع ذلك العمل واذا رفع يقول الله تعالى اضربوا به وجهه كما ورد في الصلاة الغير المقبولة والنرجع الى مانحن بصدده فنقول أنه سبحانه أوقف الاسباب على مسبباتها وجوداً وظهوراً فلا توجد الأعمال التي بها تتغير الاحوال ويتميز الخبيث من الطيب الا عن سبب وهو أحد أمرين اما قوة سلطان الهداية والرشاد ببعث من يكون سبباً لهما من ورثة الانبياء وتأييده بما تأيدت به الأنبياء والمرسلون واما قوة شوكة الضلال والغواية بما تقوت به الشياطين ليكون لها على الانسان سلطاناً الا من عرفهم الله بقوله (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقوة سلطان الهداية تكون بتنوير القلوب بصدق الايمان وقوة اليقين واصلاح الأعمال بمتابعة الرسول

قدماً بقدم وطاعته فيما أمر به من الزهد والتقوى وبغض الجدل وأهله مع الاشتغال بعيوب النفس وصرف النيات في جميع ما يحتاج اليه الانسان وما أقامه الله فيه من الأعمال الدنيوية الى ما يرضي الله تعالى مع الاستعانة به في جميع الشؤون جليلها وحقيرها كما قال لموسى عليه السلام (يا موسى سلني ولو في شراك نعلك) الى غير ذلك من الأسرار التي لا تعرف الا من مطالعة آثار الاخيار الذين اصطفاهم الله لخدمته وأما قوة سلطان الشيطان فتأتي من متابعة الهوى والاشتغال بعيوب الناس والأعجاب بحسن المنطق والاغترار بما أمد الله به الانسان من القوى والميل الى ما ذهب اليه القائلون بأن النبوة مكتسبة لاستقلال الانسان في جميع تصرفاته الى غير ذلك مما يطول شرحه فتكون تلك القوة الشيطانية سبباً لتغير الأحوال كما تراه الان من انتشار الفتن واستحكام الغفلة في القلوب بتوجه الأفكار الى مطالعة الصحف للاطلاع على أحوال الامم التي لا يهم الانسان شؤونها الا من اصيب بالعته الذي عرفناه سابقاً بفقد النور الذي به يتبصر الانسان في عيوب نفسه وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذا كله في هذا الزمن سبباً لتغيير أحوال الامم الاسلامية ليتميز الخبيث من الطيب تصديقاً لقوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب) لاننا لو علمنا المغيبات لبطشنا بالفاجر الذي يتزيا بزي العلماء وذلك لا يوافق سر الربوبية الساري في الموجودات اذ لا يكون التمايز فى الاعمال الا بالافتتان ليسلك كل عامل مناهج استعداده وقابليته على رغبة منه وشوق حتى يعامل بما عمل ويؤآخذ بما أخذ كما قال الله تعالى في آية أخرى (فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً

فيجعله في جهنم) ومن هذه العبارة تعلم كثرة الأشقياء لقوله تبارك وتعالى
وقليل من عبادي الشكور ولذلك ترى أن غالب أهل هذا الزمن استولى على
قلوبهم الركون الى الدنيا والتهاون بأمر الآخرة وطالت ألسنتهم بالاقوال
وقصرت هممهم في الأعمال وصارت أرباح تجارات أعمالهم الجدل والمحاورات
وأدعى كل منهم أنه أعلم أهل عصره وازدرى علماء القرون الماضية الذي لا
يتساوى بنعالهم ولقد سرت سموم الافتتان في قلوبهم بما ثبت فيها من زخارف
الزيغ وخرافات الصحف التى أدعى أهلها أنهم بثوا في الناس حياة ترقى بهم الى
أعلى درجات التمدن (كلا) والله ما أوردوا القلوب الا موارد المرض المهلك
والموت الأبدي لذي تشتاق جهنم الى أهله فكانوا كفرعون اذ أورد قومه
النار وبئس الورد المورود وبيان ذلك أن مثل الامم مع أنبيائهم
ورسلهم كمثل قوم دعاهم الداعي من قبل الملك الى مغانم لاتدرك الا بالمشاق
ومكابدة الاهوال ومفارقة الاهل والوطن ووعدهم بعطاء جزيل من الملك وأنه
سيبدلهم أرضاً خيراً من ارضهم وديارًا خيرًا من ديارهم متى آثروا مراده على
مرادهم ثم وبين لهم ذلك الداعي ما يلزم لتلك الدعوة من صدق النيات وتحسين
الظنون وما تستدعيه الشؤون من التحفظات وتوجهات الهمم وأوضح لهم الآداب
التى بها يكون الملك راضياً عنهم اذا دأبوا عليها وأراهم أنهم لن يصلحوا لمقابلة
ملكهم حتى وان فازوا بأدراك الغنائم الا اذا تمرنوا على تلك الآداب بالعمل
ثم جند الجنود وجعل فيهم قوادًا وأمرهم بتبليغ تلك الدعوة لكل من قدروا
على توصيلها اليه ثم تركهم وانصرف الى مليكه ينتظر مايؤول اليه أمرهم بعد ما
أكمل وتمم ماأمر بتبليغه لهم من التعليمات من تحذير وتبشير وعرفهم ان لا

يتعدوا حدود ما بينه لهم وأن يتابعوه قدماً بقدم وقال لهم لاتتبعوا أهوائكم فأني أعلم منكم بعواقب ما امرتكم به لاني ما جئتكم الا وأنا على بينة بن الملك وتعليات لاينبغي الانحراف عنها ولا التهاون بها وانصرف وهم عنه راضون ولجليل صنعه شاكرون فلما أخذت الازمان في التداول وقرب انقراض أهل القرن الذي جند فيه ذلك الداعي الجنود تخوف القوم من ضياع تلك الروابط المأسسة فأخذوا في حفظها بتداولها بينهم وتناولها من أفواه المحدثين وأعمال العاملين وقام منهم الصادقون في العزم وحسن الطويات بضبطها ضبطاً دقيقاً واجتهدوا في أن يكون الناس راضون مبتهجون بالمحافظة على تلك الاساسات القانونية والادبية فوسع بعضهم النطاق لمن تبعه فيما لايضر بما هو المقصود من تلك الدعوة خوف الملل وضيق في أشياء خوف الميل والانحراف ثم شدد الآخرون وما زال أمر ذلك الداعي مطاعاً ودعوته منتشرة ظاهرة الاسرار بادية الانوار حتى تقادم العهد وطال الزمن فحدث في القوم أحداث تفرقوا الى فرق لتفرق الاهواء بهم واختلاف الدواعي الصارفة لهم عن متابعة القوم فمنهم من قال أنا متبع مصدق ولكنه اشتغل عن المتابعة بما ينافيها ومنهم من قال انا من أتباع هذا الداعي أسير وراء هؤلاء القواد آخذاً بأقوالهم واعمالهم غير أني أسلك في محبة الملك وتعظيمه طريقاً غير الطريق التي وصفوها لمن تابعهم ومنهم من قال ان هذا الداعي ماهو الا رجل اكتسب قيامه بتلك الدعوة بما كان عليه من الاخلاق الحميدة والسجايا الكريمة والحذق والمهارة فساد الناس بفصاحته وأمانته وعفته وهذا حال كل رجل يريد ان يسود قومه وانا ان لم اكن مساوياً له في الاخلاق فأنا قريب منه والملك لايريد الا

الاصلاح وها أنا المصلح الذي يأتي البيوت من ابوابها اذ مصالح القرون تختلف باختلاف احوالهم فلا بد من قيامي بهذا الامر ومتى وجهت الهمة اليه ارتفع شأني وانتشر ذكري ولي أن آخذ منما قرره ذلك الداعي بما يوافق فكري وأترك ما أراه لايصلح لمعاملة اهل زمني اذ العقل احق بالتصرف في الاحوال الشخصية ولي الخيار فيما امر به ايضاً من الآداب المطلوبة لمقابلة الملك عملت بها او لم اعمل اذ لاحرج عليّ في تركها مادام الملك يعلم مني صدق المحبة وكمال التعظيم والاحترام ولا بد لي من دعوة الناس الى ماذهبت اليه حتى تنصلح احوالهم وتحيي قلوبهم وتطيب لهم المعيشة في هذا الموطن حيث لايباع العاجل بالآجل اذ لاحظ للملك في هجران المواطن وتحمل المشاق ثم قام على قارعة الطريق ينادي في الناس الى ما ذهب اليه فكره حيث لايشعر هل هو مخطيء ام مصيب حتى اوقع في نفوس المتبعين الشكوك وزحزحهم عن معتقداتهم الدينية بتقبيح اعمالهم وانتقاد احوالهم وتزيين الانحراف لهم بأدلة المشبه القوية ومشارب المناهج العقليـة ومنهم من جحد امر ذلك الداعي لمتابعته للداعي الذي اتى قبله وقام ينهي الناس عن اتباعه ومنهم من لم يصدق دعوة كل داع ولم يدخل تحت طاعة الملك لموانع منعته عن ذلك هذا هو مثل الامم مع الانبياء وانه وان كان لايحتاج الى تفصيل لكن ربما خفيت الاشارات في زوايا مجملات العبارات فلذلك وجب علينا التفصيل والله يقول الحق ويهدى السبيل

﴿ أما الداعي ﴾

فما قصدنا به الا من ارسله الله رحمة للعالمين وافاض عليه علوم الاولين والآخرين فأما ارساله رحمة للعالمين فلانه بعث بالسيف حتى يكون التأديب

به حاجزا بين الجاحدين وبين ما وقع لمن قبلهم من الخسف والمسخ والطوفان والصواعق وغير ذلك كما يؤدب الوالد اولاده ولما جاء به من الدلالة على الله بالطريق التي استكملت جميع الآداب التي بها صلح الانسان لان يكون جليس ربه ومحبا ومحبوبا له واما علمه علم الاولين والآخرين فقد أقام على ذلك البراهين القاطعة بما اخبر به من المغيبات التي ظهرت بعد هذا الزمن الطويل مما نشاهده الآن كانه كان معنا اللهم ارنا وجهه الشريف يقظة ومناما في الدنيا والآخرة وأمتنا على سنته واحشرنا في زمرته برحمتك يا ارحم الراحمين (وكان ذلك على الله يسيرا)

وأما الجنود والقواد فهم الصحابة والخلفاء الراشدون بعده وأما الحافظون لآداب الدعوة وحدود قانونها فهم الأئمة المجتهدون واما اتباعهم فهم السلف الصالح ومن تابعهم على ممر الأعوام والقرون وان لم يحسنوا العمل فان من سار الى المعركة ولو بحجر يعد مضاربا متى صدق عزمه وحسنت نيته واما الذين قالوا نحن متبعون ولم يأتوا من المتابعة بشيء فهم المقلدون الذين ماعرفوا من الدين شيئا الا انهم ادعوا انهم مسلمون اذ الفارق بين المقلد والمتابع ان المتابع علم ماهو متوجه اليه فتوجه وان لم يكن مالكا عدة الجهاد كالعامة الذين شرح الله صدورهم للأسلام فجاؤا بما يعتقدون انه قربة فهم متبعون لا مقلدون لأن السبب الذي دعاهم للأسلام قوي وهو النور الذي عرفناه سابقا واما المقلد فهو الذي يقول انا مسلم ولكن الله جعل صدره ضيقا حرجا فلا يستطيع أن يأتي بشيء من قواعد الدين واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم لفقده ذلك النور ولا فرق فى ذلك التقليد بين من يقيم على حدوث الفلك سبعين

برهاناً وبين العامي الذي لايدري ما هو الطحلب اذا كان فاسقاً جحوداً لاميل له الى اداء الطاعات المفروضة ومتابعة الرسل اذ لا تغني سعة الفكر والاطلاع وجودة المنطق من الله شيئاً كما بينا سابقاً وأما الذين جحدوا أمر ذلك الداعي لمتابعتهم من كان قبله من الدعاة فهم أتباع الرسل الذين تدينوا ببعض ماجاؤا به وتركوا بعضه وأشار الى ذلك الكتاب المجيد في قوله تعالى (افتأمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) هؤلاء الذين لو عقلوا عن الله شيئاً من أمر دينهم لأدركوا سبيل النجاة اذ الاديان لافرق فيها بين الداعين ولا منازعة بين المدعوين لأن الكل عبيد لمالك واحد وما امروا الا بالاستسلام له والقيام بآداب العبودية من طريق واحد وهي الاعتراف له بالوحدانية وتطهير القلوب لمواصلاته وتنزلاته التي سيأتي بيانها فقام السفهاء يتنازعون الاديان ويتنافسون في الطغيان من حيث ماذاقوا لأديانهم طعماً ولا شموا لها رائحة فكان مثلهم كمثل سفهاء القرى اذ يتنازعون في الرغبة لمن يكون عليهم ذا سلطة فتختلف الرغبات وتطول المنازعات والمناوشات ولاحظ لهم في ذلك الا سفاهة الأغراض النفسانية ما دامت السلطة للحاكم الأكبر والقانون نافذ على يد أي عامل متسلط وما اكتفى البعض من هؤلاء السفهاء بما هم فيه من الغفلة المحكمة والحرمان المؤبد حتى انتصبوا لمحاربة أتباع الرسول وصدهم عن الطريق القويم الذي لا شك في نجاة من سلكه ويزعمون أنهم المبشرون من قبل المسيح تالله لقد أوقعوا أنفسهم ومن تابعهم في مهواة الهوان والعذاب الأليم واليهم الاشارة بقوله تعالى (يحملون أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم ألا ساء ما يزرون) وسنجعل لهم كتاباً خاصاً متى سهل الله الطريق اليه وأما الذين نبذوا طاعة

« »

الملك والداعي وراء ظهورهم فهم عبدة الاوثان والفيلة والطبيعيون من الفلاسفة الى ما لا نعلمه من الملل والنحل وأما الذين وقفوا على قارعة الطريق لرد المتبعين عن اقتفاء آثار الأخيار فهم الدخلاء الذين سلطهم الله على أبناء هذا الزمن ووجهائه بما أمدهم به من طلاقة اللسان والجولان فى مهامه فيافي الشبهات المبتدعة والخوض في لجج القواطع المهلكة قاصدين أن يبدلوا دين الله بما أملى على قلوبهم الشيطان وقادتهم اليه أهواؤهم من الاعتقادات التي زينوها بزخارف بقوالهم حتى غرسوا في قلوب القوم شجرة الزيغ الخبيثة التي أشار الله تعالى اليها بقوله (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار) بعد ما قال (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تأتي أكلها كل حين باذن ربها) لأن هذه الآية الشريفة تشير الى أن الأحوال تكسوا الأقوال مما أحرزت مصادرها لقوله صلى الله عليه وسلم من أسر سريرة البسه الله رداءها وما أردنا بمصادر الأحوال الا بواعث المقاصد التي هي نتائج القوابل والاستعدادات اذ الكلمة الطيبة لا تصدر الا من صدر طاهر الاستعداد والقابلية والكلمة الخبيثة لا تنقذفها الا القلوب التي اخترمها المرض وأعني بالمرض خبث الاستعداد ولا مفهوم للكلمة الطيبة في الآية الا القول الذي يرضاه الله تعالى وان لم يكن مزخرفاً وكذلك كل طيب ورد في القرآن ذكره ولا يرضي الحق تبارك وتعالى الا بما تحسنه الموازين الشرعية لا بما يوافق الأهواء والمآرب الدنية والكلمة الخبيثة هي ماعدا ذلك من الأقوال وإن تزخرفت بأنواع الزخارف المنطقيه التي كانت الأساس المتين لفساد أحوال سفهاء هذا الزمن حيث كانت هي الجيش العرمرم لابليس اذ أركبها متون الصحف المنتشرة

المشحونة بالمحاورات الفكرية والشبهات العقلية فسحر بها الأفئدة وملك بها القلوب حيث يشترونها بأموالهم فكانت مصداقاً لقوله تعالى له (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأمول والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غروراً) ولقد زينت لهم تلك الصحف أن السعادة وراء لامعات البوارق من ظلمات المخارج المنطقية القاذفة بها طوال الألسنة الحداد وأن الفنون الرياضية هي سلاسل صواعق المحاورات والمناظرات لمن اراد ان يرهب لزلاقة لسانه وسوء جدله فتاقت نفوسهم الأمارة وقوابلهم المشوءمة الي معانقة ابكار تلك الأماني حيث لم يشعروا بأنها منايا الحرمان الأبدي والحجاب السرمدي فوردوا مصادرها ولهين والى التجرع من مدسوس سمها صادين متلهفين وما علموا أن اللسانة مغناطيس الجدل الذي وصف عاقبته النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اذا أراد الله بقوم سوءاً سلط عليهم الجدل وانه لمن المعائب التي وردت في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى (وكان الانسان أكثر شيء جدلاً) فلا تري اليوم متكلماً الا وهو متيقظ الأحساس والحواس لتحسين ما يتكلم به حيث لا مبالاة برضاء ربه وسخطه لقوة تحكم شهوة الكلام في قلبه حتى تحول بين مسمعه وبين نصح الناصحين وتقوده الى سلوك سبيل المكابرة والمغالبة ليؤيد ماذهبت اليه افكاره الضالة من الاباطيل التي زينها له شيطانه واستصوبها عقله بتمويهات الادلة والبراهين العقلية المخترعة التي هي من زخارف السفسطة حتى يزهق أمامه الحق ويتقوّى به الباطل فيبوء بغضب من الله وقد زحزحتهم تلك الشواغل الشيطانية عن مراكز الاستقامة الدّينية وصار الأنحراف والزيغ دينهم وديدنهم ودبت في مجامع تصوراتهم مسكرات التلاهي

عن وصايا الحق سبحانه وتعالى التي وصى بها أنبيائه ورسله لايضاح سبيل النجاة للسالكين فاستبدلوها بتمويهات الضالين وشبه الملحدين حتى اشتروا الدنيا بالآخرة وصار المسلم الذي نظن أنه القابض على دينه لايتذكر شيئاً من الفرائض الدينية الا اذا ذكره مذكر ولا يذكر ربه الا عند الشدائد هذا حال الفقراء واما أرباب الوجاهة فقد اتخذوا دينهم سخرياً إلا قليلاً منهم واستنكفوا ان يعبدوا الله أو يذكروه في الخلا والملا غائبين عن قوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وما كان لهذه الغفلة من سبب الا التباس الأعمال الدينية بالدنيوية بتوارد الشبه على العقول لهجر القوم الكتب التي توقف الانسان مطالعتها على حدود دينه وحظوتهم بمعانقة تلك الصحف التي ملأت ضلالات وبدع وسيناولونها بشمائلهم يوم لاتنفع الظالمين معذرتهم ولقد اصبحت جميع أعمالهم واقوالهم مشوبة بالريا والتباهي ثم ثبت في اعتقادهم مما تجرعوه من سموم الأوهام الظنية أن الله تبارك وتعالى لايرضيه الا السعي في منافع العباد على اختلاف طبقاتهم وان العبادات البدنية المفروضة لاتساوي شيئاً في جانب ذلك السعي وأوسعوا المتجردين عن الأسباب الذين اصطفاهم الله لخدمته سباً حيث لم يشعروا بأن مفني الدهور والآباد أقام العباد فيما أراد وأنه كما قررنا سابقاً جعل الاختلاف من القواعد الأساسية لهذا الوجود الصوري كاختلاف الليل والنهار واختلاف الاقوات على حسب اختلاف الأوقات واختلاف الحوادث والاحوال لتكون سبباً لطوارق الأماني والأوجال واختلاف الألوان والألسن واختلاف المشارب والمآرب واختلاف المراتب الوجودية بين اتباع وقادة وخدام وسادة ورعايا وملوك وأمير وصعلوك

وسعداء وأشقياء وعصاة وأولياء وكذلك جعل للعصاة طرقاً مختلفة ومذاهب ومشارب لاتتشابه ومآرب وما ذلك الا لسعة نطاق حكمته وكمال تدبيره وتعاظم قدرته فلهذا تنوعت مشارب الواصلين اليه واختلفت شؤون الوافدين عليه فمنهم الخائف المرعوب ومنهم المسرور المجذوب ومنهم من أجهد نفسه في انواع المجاهدات ومنهم من اختطفته على غفلة جذبات العنايات ومنهم المنقطع بخدمته عن الأسباب ومنهم من أوقف معرفته بنفسه على مذلة الوقوف على الأبواب كل ذلك بتدبيره وإلهامه وإنه لهو الرحيم الودود ذوا العرش المجيد الفعال لما يريد رغم أنف أهل الوقاحة من سفهاء العبيد وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وما مقت القوم الخيار من العمال وسلكوا سبيل السفهاء من الجهال الا تقليداً لذوي اللسانة من الاشرار الذين تظاهروا بالاسلام وما هم الا كالكفرة الفجار ولذلك ترى أي عامل انبعثت أفكاره الي أن يعمل خيراً سابقه اليه الريا والتباهي فيبخل بأقل من الدرهم على جاره المضطر ويعبس في وجه ضيفه من أبناء السبيل ويجود بالكثير من المال على مثل مدرسة صناعية ما أسست الا لتعليم الاطفال فنون الحرف والمصانع واللغات الأجنبية لينشاء الطفل معتنقاً دنياه ومتكالباً عليها حيث لم يعرف لأبويه ديناً ولايدري ماهو الدين فكأنه نبات غرس فى أودية جهنم ليربوا الى أن يجيء إبّان حصاده فيكون لها وقوداً أو كأن الخلق ماخلقوا الا ليعمل عاملهم فيأكل ويأكل آكلهم فيعمل وتري الواحد من ذوي الوجاهة والجاه ربما ترك الفرائض الدينيـة مغرماً بالسعي لأفراد من الناس في الوصلة بينهم وبين مايطيب به عيشهم من حيث لايدري مايؤول اليه حالهم إلى طغيان مهلك فيصل اليه من

شرورهم نصيب إذ لم يتخير لصدقته موضعاً كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أم الى صلاح منجي فلا يصل اليه من حسناتهم شيء لأنه لم تتوجه الى ذلك نيته ولا شك ان النوايا مطايا الهبات والعطايا وقد اعتقد ذلك المفتون بزخارف الزايغين أن ذلك السعي يغني العبد عن أداء ما فرضه ربه عليه وأنه لاحاجة له بالصلاة والصوم مادام ذا سعي خيري لجهله بأن الله تبارك تعالى مع سمو عظمته وكبريائه مافرض الصلاة الا تشريفاً للانسان وتطهيراً لقلبه ليقتبس من انوار المواجهة الاحسانية مايجعله من المقربين وكذلك انواع العبادات لها أسرار خص بها النوع الانساني ولا يكون ذلك الا لمن اختصهم الله سبحانه وتعالى لخدمته فلم يشعر ذلك الزايغ من أي طريق أتاه الحرمان والطرد المؤبد فتشابه هو ومن زعم انه ساع في اصلاح الامم في ظلمة الجهل وفساد الاعتقاد وقد ضرب العوام لمدعي الاصلاح مثلاً يصدعون به فؤآد كل ضعيف زعم ان يعمل عمل الاقوياء أو ينازع قوياً في عمله بقولهم أبعرة وتقاوي تياراً وما هي الا واحدة مايلقي البعير من دبره وما شبهوه بها الا لخفتها ولأن استعدادها للطيش لا للرثوب وهو مثل صادف محله لأن الأقدار الإلهية كتيار الامواج المتطاردة والناس محمولون عليها فهى ترفع اقواماً وتخفض آخرين وهي لاتقاوم ولا تعارض وصنعها بأعظم أمة كصنعها بالفرد الواحد من المخلوقات كما يشر الى ذلك قوله تعالى (ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) فمن رام ان يسعى بضد ماسرت به الاقدار كان كالبعرة التي يقذف بها الهوى الى مايقابل الموج المتطارد ويأبي الموج الا ان تكون طوع تطارده وما تابعت الهوى الا لخفتها وطيشها هذا مثل من اتبع هواه وسعى في منازعة المقادير وما مثل الآخر الا

كمثل عاملة المطابخ حيث كانت أمة سودا ذات فكر ضائع وقلب غليظ الجاهل
الطيش وخسة الطبع وحب الرياسة الى اطعام الخدم والحاشية لذيذ ما طبخت
مع حرمان أبناء سيدها لزعمها انهم أحق بالطعام لاحتياجهم اليه وقد تجهد
نفسها في مرضات من لايحب سيدها ارضائه بما أرضته به حتى اذا دعاها مع
حقارتها وعلو منزلته العظمى الي القيام بأداء خدمته الخصوصية لتنال حظا من
التقرب اليه تغافلت وتكاسلت لظنها انها قامت بما فوق الواجب عليها مما
تستحق عليه العطاء الجزيل وما فقهت تلك المشؤمة ان طاعة السيد في كل
مايشير اليه وانتظار اشارته في جميع الاحوال أليق بالخدم كما لم تفقه ان الطعام
طعامه وان الخدّام خدّامه وأنها أسيرة أعمال وواحدة عمال وأن عمل ساعة
منها يقربها اليه خير لها من عمل الف سنة فى مرضات خدمه فوقعت في مهواة
المخالفة وسوء الأدب وزلّت بها القدم من حيث لاتشعر هكذا حال من زعموا
أنهم عملوا عملاً صالحًا بفتح المدارس والسعي فى مصالح العباد الدنيوية مع
التغاضي عن الأعمال الدينية من الفرائض والنوافل لأن الله تبارك وتعالي
جعل في جميع الأعمال التي توصل العبد لمعرفته فعلية كانت او قولية فرائض
ونوافل ثم قال ماتقرب الي ّعبدي بشيء أحب الى ّ من أداء ماافترضته عليه وقد
افترض عليه الصلاة والصوم والزكاة والحج والشهادتين فما كان من السفهاء إلا
أنهم زعموا ان هذا كله يكفي الأتيان به ولو في العمر مرة فما أدرى الى أي
مستند استندوا في ذلك مع ان هذه أعمال جعلها الله كالقوت للقلوب متي انقطع
عنها ماتت كما تموت الاجسام إذا ما فقدت أغذيتها وجعلها شهوات الارواح
لاتنتعش الا عند بلوغ ما تدركه من ملاذّها وهي مصابيح البصائر التى بنورها

تبصر الحقائق وقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل عمل من تلك المفروضات ونوافلها تأثيراً خاصاً فى هذه العوالم التي هى القلوب والارواح والبصائر لا يقوم مقامه فيه عمل أخر كما جعل لكل غذاء فى الجسم تأثيراً خاصاً ولكن لا يحيط بعلوم تلك التأثيرات الأطباء الأجسام فكذلك لا يقف علي حقائق هذه التأثيرات الباطنية الا أطباء القلوب أهل الانوار الإلهية وقليل ماهم والانسان فى كل وقت يحتاج الي إمدادات تمنع عنه مهلكاته البدنية كذلك هو في كل نفس يحتاج لما يدفع به المهلكات القلبية لسرعة تقلب القلوب وتبدل الشؤون ولا شيء أنفع له مما وصفه له الحكيم الاكبر على لسان رسله فانه شخص الداء ووصف الدواء ولكنكم قوم تجهلون الا ترى قوله صلي الله عليه وسلم لأصحابه أرأيتم ان كان بباب أحدكم نهر وانغمس فيه في اليوم والليلة خمس مرات هل يكون عليه من ضرن قالوا لا يارسول الله قال هكذا الصلاة ومن أحب ان يطلع على أسرار العبادة وتأثيراتها فعليه بكتب الصوفية فالله سبحانه وتعالى ما جاءت حكمته بعبث قط ولكن كثيراً من الناس عن آيات ربهم وأسرار حكمته لغافلون ثم من تمام الحديث القدسي قوله وما زال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه الى آخر الحديث المشهور فالحق سبحانه وتعالى لا يحب من عبده شيئاً من أعمال القرب اكثر من أداء الفرائض ويحب عبده إذا وافاه بالنوافل ولا يسمى العمل نفلاً الا اذا كان تابعاً لعمل مفروض من جنسه فالآداب الشرعية والذوقية تقضي على الانسان أن يهتم أولاً بأداء الفرائض ثم بنوافلها اذا احب ان الله يحبه ثم بعد ذلك يأتي بما شاء من أنواع البر التي لا تحصي هذا هو الأدب الذوقي الذي به يتحقق الانسان

بوصف العبودية وما جاءت الشرائع الا هكذا ومن فهم غيره فهو من الضالين ولكن السفهاء جعلوا صدقاتهم طوع شهواتهم تابعين لاهل الزيغ اذ يقولون لهم أن أحب الناس الى الله أنفعهم لعباده نعم هكذا ورد وانها لنصيحة ولكنها كنصيحة ابليس لآدم حيث قال ما حكاه الله عنه بقوله تعالى (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فما قصد ابليس بتلك النصيحة الا اخراجه من الجنة فكانت هي شجرة الخلد ولكنه خلد نعيم لأقوام وخلد شقاء لآخرين فالتحكم الغرور منه في آدم تناسي ما عهده اليه ربه اذ المؤمن غرّ وهكذا هي نصيحة هؤلاء الأشرار لا يدري دسائسها إلا أهل الاذواق الأدبية والآداب الشرعية اذ قد تحققوا ان منافع الدنيا في جانب مصالح الآخرة لا تساوي شيئاً وعلموا أن أنفع الناس لعباد الله هو الذي يزحزحهم عن النار بأرشاده واما المفتون فيظن ان المنافع قاصرة على اصلاح امر الدنيا فمثله كمثل من يطعم ضيفاً اعمى حتى اذا اصبح سرحه حيث لا قائد ولا دليل في ارض مسبعة او على شفا جرف هار هذا إذا حسن القصد وكانت نصيحة مؤمن غير متيقظ اما اذا كان القصد سيئاً فلا يكون له مثل الا ابليس مع آدم كما ذكرنا هكذا هي احوال الناصحين والمتناصحين المتكالبين على الدنيا الان يكرهون ما يحبه الله ويحبون ما يبغضه الله ويأتون ببعض النوافل ويتركون جميع الفرائض وهذا من علامات النفاق كما ذكر ابن عطاء الله في حكمه بقوله من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات وما اشرنا في ضرب المثل بعاملة المطابخ بحرمان ابناء سيدها الا الى الفقراء الذين وردت الاحاديث القدسية والنبوية بأنهم عيال الله وهم المتجردون لخدمته الذين

انقطعوا عن الأسباب ووصلوا الى ربهم من طريق التوكل حيثما أمروا ففازوا بمزايا القبول ونفحات القرب والوصول وان مقتهم المحجوبون وخاض في دمائهم الخائضون من المتدينين بالدين الجديد وسيأتي الكلام على ذلك الموضوع في موضعه هذا هو مثل العمال الآن الذين صارت أعمالهم كخضراء الدّمن التي حذر النبيّ صلىّ الله عليه وسلم اصحابه منها بقوله إيّاكم وخضراء الدّمن قالوا يارسول الله وما خضراء الدّمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء وما اشرنا بالمرأة الحسناء الا الى اعمالهم وبالمنبت السوء الا الى مقاصد نياتهم والدّمن جمع دمنة وهي مواضع احياء الظاعنين من سكان البادية يذرون بها آثاراً منها يقتاتون به فيسقيه الغيث فتنبت الدّمن زرعاً يعجبك نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً لا فائدة فيه هكذا اعمال العاملين في هذا الزمن تكون عليهم حسرات يوم القيامة لعدم موافقتها الآداب الشرعية اذ الحق سبحانه وتعالى لم يفرض الزكاة ولم يأمر بالصدقات الا ليتعهد بها اهلها المحتاجين اليها الذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وكم لله من فقير منقطع لطلب علم او اشتغال بعبادة او لضعف قوة قد اغفله اغنياء هذا الزمن بل تعمدوا حرمانه لما سمعوه من ذم المنقطعين عن الأسباب ومقت المتوكلين إلى غير ذلك من الشبهات التي ما قصد بها سفهاء الوقت الا تباعد القلوب عن الله من كل جهة يمكن التوجه اليه منها لأن الله تبارك وتعالى كما أعطي ابليس قوة الأغواء بما امده به من فنون الخداع والأحتيال كذلك يمد شياطين الأنس بما به يكون لهم الأقتدار على فساد الأحوال في أي زمن يريد انقلاب احوال ابنائه فتراهم الآن يأتون الى صد الناس عن الآداب الدينية

من ابوابها شيئاً فشيئاً بدعوى النصيحة فيغترّ من لاعقل له فلا يشعر الا وقد
مرق من الدين كما مرقوا ولهذا الخطر الذي هو من البلايا العامة نهي النبي
صلى الله عليه وسلم عن مصاحبة الأشرار وشر الاشرار هم الذين تزينت
أقوالهم وتشينت أحوالهم فضلوا وأضلوا وبفاسدات آرائهم استقلوا وما كان
لذلك من سبب الا لؤم الطبع الذي هو منشاء الغرور والطغيان لأن الله تعالى
خلق الخلق قسمين وفرقهم فريقين فريق جعل كتابه في عليين وهم الابرار
والمقربون وقسم جعل كتابه فى سجين وهم الفجار المحجوبون ووصف الله كل فريق
بأوصاف مذكورة في كتابه العزيز فكان الطغيان والغرور من أوصاف الفريق
الأسفل قال تعالى (كلا ان الانسان ليطغي ان رآه استغنى) يريد رأي
نفسه غنيا عنما يحتاج اليه غيره وتلك الرؤية من الغلط في العلم ونتيجة العته الذى
سبق تقريره ولا فرق بين الطغيان بالمال وبينه بالجاه والعلم والقوة والملك وكلما
يظن المغرور انه فاق فيه أقرانه حتى ان المغنية او الراقصة او نافخ المزمار ليطغي
الممتاز منهم عن قرنائه غرورا اذا الغرور والطغيان ملازمان لأهل هذا
الفريق كالظلم والجهالة بالمعنى التي سبق ايضاحها ولو تجسد الطغيان لكان
التكبر روحاله ولذلك قال الله تعالى (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) والتكبر
في الأنسان ماهو الا مجرد الدعوى لاغير اذ الكبرياء والعظمة لله وحده وليس
لغيره في حقيقة الكبرياء حقّ ولكن الأنسان يدعي ذلك ظلماً لطغيانه وجهله
متى رزقه الله بسطة فيما أراد أن يهلكه به وعلى قدر ماتكبر به يلحقه المقت الالهي
أو التأديب إن لم يكن من الممقوتين ولكن صادفته هفوة سهوة قيل ان نوحاً
عليه السلام لم يكن اسمه نوحاً ولكنه رآى كلباً أجرب فأعرض عنه بوجهه

فأنطق الله الكلب تأديباً له وقال يا عبد الغفار أعبتني إم عبت الخالق ففطن لذلك عليه السلام وبكي من خشية الله زمناً طويلاً حتى صار يعرف بنوح فأذا كان هذا حال حبيب ازدري كلباً فكيف بمطرود لم يكن راضياً عن جميع أمة محمد صلي الله عليه وسلم من زبالهم الى سُلطانهم سلفهم وخلفهم وهي الأمة التي قالَ الله فيها (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وما زالت هذه الأعمال هي التي عليها السلف والخلف الى الآن اذ النهي عن المنكر والأمر بالمعروف هو الذي يدرس في الكتب الدينية في جميع المدن حتى اليوم فانظر الى اهل هذا الفريق الضال كيف مقتوا هذه الامة بأسرها عامة وأئمة وسادة وقادة فألق سمعك الي ايها الصاغي إن كنت حياً أرأيت ان واجهك علي وجه الصدفة رجل واخذ يحادثك بحال أمة مضى عليها ألف سنة وثلثمائة وهي كثيرة العدد طويلة المدد تصوم وتصلي وتأتي بجميع مافرض الله عليها وبالكثير من النوافل التي ورد الترغيب فيها لموافقتها لحكمة دينها وتصلي على نبيها ابتغاء شفاعته وتذكر ربها ابتغاء مرضاته فقام ذلك الرجل يقبح لك اعمالها وينكر عليها فضائلها بشنيع الأقوال وفظيع الأحوال ويعيب سلفها وخلفها ويشد النكارة علي ملوكها المسلمين ويفضل من لادين لهم عليهم ويشوقك الى ان تجاريهم فيما هم عليه من التكالب على الدنيا وترك التدين الى غير ذلك مما عليه الناصحون الآن فما ذا يكون جوابك له وماذا يكون اعتقادك فيه أو ظنك به تالله انك ان لم تواجهه بالغضب انك اذاً لمن الضالين لأن حال هذا المفتون فوق حال المجنون وما ذلك الا لأن الله حال بينه وبين قلبه بما أعماه به فأعجبته نفسه وتغول في

الظلم والجهالة وأخذ بمجنقه الغرور والطغيان فأبي الا ان يكون قدوة للمتكبرين وفتنة للقوم الظالمين وتمت كلمة ربك عليه بدخوله في حيطة قوله تعالى (ولكن حق القول مني لأملأنّ جهنم من الجنة والناس اجمعين) وأما أهل الفريق الثاني الذين اصطفاهم الله لخدمته فقد وصفهم الله في القرآن بما يقابل تلك الأوصاف المذمومة من كل وصف محمود كالصدق والصبر والصلاة والخشية والخوف والسكينة وحفظ الحدود والمحافظة على الصلاة والصوم والانابة والتبتل والتوكل والخشوع وغير ذلك من دواعي الاستسلام الذي لو تجسد لما كان له روح الا التواضع ولقد جعل الله لأهل هذا الفريق في مقابلته الرفعة الى اعلى عليين وجعل في مقابلة التكبر لأهل ذلك الفريق الخفض والردّ الى اسفل سافلين الذي هو سجين وقد أشار الى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله من تواضع لله رفعه ومن تكبر خفضه ولا معنى للخفض والرفع الا ما ذكرناه فلو تفطن المسيحي الذي يقال له هانوتوا وكان من الذين ادركوا طرفا من رقايق اشارات الكتب السماوية لما ازعج القلوب الغافلة بمسئلته التي لم تصادف محلاً اذا الخافض الرافع للإنسان هو الله لا المسيحيون ولا المسلمون لأنه هو الذي جعل عيسى ربانيا يقول للشيء كن فيكون مع اعترافه له بالعبودية في قوله فيما حكي الله عنه بقوله (اني عبد الله آتاني الكتاب الى آخر الآية) وقد أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم باتخاذ هذا الخضوع والأستسلام دينًا ليرقى بهم الى هذه الدرجة ثم ردّ اهل الدعوى الى أسفل سافلين فلو أن ذلك الرجل الحائر سئل عارفًا لأرشده بما يرشد به العارفون من وافاهم ولكنه استرشد الصحف المنتشرة فأجيب بما ألقاه من إسائة الظن بالمسلمين على خطر عظيم

ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول أما الدين فواضح البيان متين البنيان بصحيح الأحاديث وبينات القرآن واما اهل الدين فلاسبيل الى معرفتهم الا بظاهر اعمالهم ولا يتبين اعمال الدين الا من يطالع كتب الفقهاء والمحدثين والصوفية حيث توطن الدين ومن طلبه من غير موطنه فقد أصيب بعقله ومن علم موطنه ولم يطلبه فقد افتتن بجهله ومن طلبه ولم يجده فهو الذى في هذه أعمى وفي الأخرة أعمي وأضل سبيلا ومن وجده وحالت بينه وبينه الشبه فهو من الضالين ولا تحول الشبه بين طالب العلم وبين دينه الا اذا كان ممن ليسوا بأهله وهم الذين نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن تعليمهم العلم بقوله لا تعلموا ابناء السفلة العلم وما كانت الحكمة في ذلك الأ علمه صلى الله عليه وسلم بأن الطبع غالب التطبع كما وقع لابليس لعنه الله حيث تعلم العلم بين الملائكة ولم يكن اهلاً له فأعجب بنفسه وخالطه الغرور والزهوّ فعرف بطاووس الملائكة لأ ن شأن الطاووس الاعجاب وقد عمل العلم به مالا يعلم الجهل بالجاهل فما أصاب بعلمه الا الجهل المطبق لعدم قابلية استعداده لمزايا العلم ولذلك لما قيل له هلا رجعت إلى ربك وسجدت لقبر آدم قال

ان الحسام الذي قد ربّما ضربت به ٭ مازال في قبضة السياف مسلولاً

يريد سابقة الاستعداد الازلي التي غلبت عليه بالشقاء وهكذا كل من حكمت عليه سابقة استعداده لاينتفع بعلمه الا في دنياه وان أحاط بجميع فنون المعلومات لغلبة طبعه على تطبعه قال صاحبُ الذئب للذئب الذي رباه على ثدى نعجته فلما كبر افترسها

غذيت بثديها وربيت فينا ٭ فمن أنباك أن أباك ذيب

اذا كان الطباع طباع سوء ☆ فلا أدب يفيد ولا أديب

ولنا في هذا المعنى

اذا ما لئيم الطبع يزهوا بنفسه ☆ فدعوى المزايا منه زرور وزندقة

وكل دنيئ الأصل حلة فضله ☆ يراها ابو العينيني سودا ممزقة

ولقد جئنا بما في الطاقة من الايضاح لتستبين طريق النجاة لذوي الفوز واهل الفلاح اللهم سم بنا ومن تابعنا على مناهج التحقيق واهدنا بأرشادك الى أقوم طريق امين بجاه الحبيب الامين.

﴿ تنبيه ﴾

شنع المرجفون من طلاب الفنون الرياضية بالازهر الشريف اليوم بأن الدين أمر هين يمكن المتعلم ان يحيط بعلمه في اقل من اسبوع وقالوا لا حاجة لما دوّنه المتقدمون من طوال المدوّنات وادّعوا ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه لأصحابه في مدة يسيرة الى آخر ما نقل عنهم فواعجبا لجاهل يدعي العلم من حيث لا يعلم وكلما علم ابي ان يتعلم أفوق هذا سفه (كلا) ان من الجنون لفنون إليّ إليّ أيها الأستاذ الكبير وألق سمعك فلا ينبئك مثل خبير إنّ أشبه شيء بالدين الانسان تراه العامة روحا في جسد والروح لا يعلم كنهها الا الحق تبارك وتعالى حتى اذا وافيت طبيب العيون شرح لك فيها من بديع الصنع ما لا يسعه التسطير وهكذا كل حاسّة لها طبيب خاص يعلم منها ما لا يعلمه طبيب الحاسة الاخرى وأما علماء التشريح فلا سبيل الى تصور ما اكتشفوه من ذلك الجسم الصغير في رأيا العين الا مسطرًا في المجلدات ولقد مضى الزمن المديد على قدماء الاطباء ومن أعقبهم جيلاً بعد جيل وما

وقفوا على نهاية ما قصدوا من حصر امراض ذلك الجسد وعلاجاتها وادويتها حتى أنها لتحدث فيه حوادث أمراض الآن تلجيهم الحيرة فيها الى ان يكلوها الى الأعمال السماوية كل ذلك وما بحثوا في شيء من المغيبات القلبية من الروحية والروحانية ولكن العامّة لاتصل افكارهم الى شيء من ذلك بل يرون ان ذلك الجسد أحقر من أن تدوّن فيه الكتب وان أمراضه قد تزول برقية أو كية نار هكذا حال من لم يعرف الدين اذ الدين يراه الجاهل به هيناً وهو عند الله عظيم لانه هو الحاوي لجميع المنافع للأنسان دنيوية كانت او أخروية والمزيل عنه جميع المضار البدنية والقلبية ظاهرية كانت او باطنية ألا ترى النبي صلى الله عليه وسلم لما أهدى له الطبيب ردّه وقال نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وان أكلنا لانشبع وعلماء الدين كالاطباء لكنهم تفاوتوا في ادراك مزاياه وتحصيلها فمنهم من حفظ قواعده وروابطه التي هي كالقانون الاساسي له من العبادات والمعاملات المدوّنة في كتب الفقه بضبط الفقهاء والمحدثين من طريق النقل والتحامي عن مضارها وتناول منافعها وقام يشخص الامراض وهي المحرمات من الكبائر والمكروهات من الصغائر ويصف الدواء بذكر الأحاديث النبوية والآيات القرآنية والأحكام الشرعية لمن جاءه مسترشداً وهؤلاء هم علماء الفقه والمحدثون ويقال لهم عند الصوفية علماء النقوش بمعنى انهم يتناولون العلم من منقوش السطور عمن قبلهم وينقشونه على صفحات الأوراق لمن بعدهم وبهم حفظ الله سبحانه وتعالى جوارح الدين التي هي قواعده وروابطه الأساسية من الضياع ومنهم الراسخون في العلم الذين قال الله فيهم (انما يخشى الله من عباده العلماء) واخبر النبي انهم ورثة الانبيا

وهم الذين في مقابلة المشرحين من الاطبا لأنهم اكتشفوا حقائق الدين وبواطن أحكامه حيث تحققوا انه مركب من ثلاثة أشياء من نقص أحدها نقص دينه ومن نقص دينه تضغضع يقينه ومن تضعضع يقينه خلط عملاً صالحاً وأخر سيئاً وكان من المرجون لأمر الله إما أن يعذبهم واما أن يتوب عليهم والثلاثة أشياء ماهي الا شريعة وطريقة وحقيقة فالشريعة أقوال الله ورسوله والطريقة العمل بها والحقيقة تحقق حال العامل بأسرارها فمن جمعها فقد كمل دينه وكان من الناجين ومن نقص شيئاً منها فقد تحيز الى طوائف الهالكين فلذلك أجهد القوم نفوسهم في استكشاف غوامض الآداب الشرعية والاسرار القرآنية والعمل بها والتحقق بأسرار الحكم التى شرعت لأجلها بكل تحقيق وتدقيق حتى الى المعارف وصلوا وبمعارج الانوار اتصلوا فتلقوا عن الله ماحتاجوا اليه في سلوكهم من الآداب عند ما لازموا الاعتاب وقرعوا الأبواب وما هي الا سويعات الأسحار وسكون الصمت وتملقات المناجات وجلسات الأذكار هؤلاء أطباء الارواح والقلوب ومصادر الأسرار القرآنية ومكاشفات الغيوب اللاهوتية وماجاء القرآن الا لمداوات العلل والامراض القلبية وقطع العلائق بين الأصفياء وبين كدورات الموانع البشرية والقرآن هو الدين وما كمل التخلق به الا لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي شهد له الله تعالي بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشه رضي الله تعالى عنها كان خلقه القرآن وما امتن الله سبحانه وتعالى على محمد وصحابته وعباده المؤمنين بكمال الدين واتمام النعمة الا في حجة الوداع التى قبر النبي صلي الله عليه وسلم في عامها حيث قال عز من قائل (أليوم

« »

أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً والدين كمالات والكمالات لاتتناهى وما أحاط منها بما يمكن الاحاطة به لبشر الا من أنزل عليه القرآن اذاً فالتهاون بالدين والقول بأنه يمكن الأحاطة بمعلوماته في اسبوع ماهو الا للجهل بأسراره أو لجحود الشرائع الدينية اذ هو آداب علمها الحق سبحانه وتعالى لمن اصطفاه من خلقه وما هى الا آداب كمالات والكمالات لاتتناهي كما أن النقائص لاتتناهى مادامت السموات والارض هكذا والكمالات في مقابلة النقائص والانسان مظهر الكمال والنقص ومعانق الكمالات راق الى أعلى عليين وحليف النقائص مردود الى أسفل سافلين ولا قرار لأحدهما إلاّ حيث يعلم مقره ومصيره والقلوب سريعة الانقلاب والله سبحانه وتعالى مقلب القلوب والابصار ولا تطمين القلوب الا بتوارد المبشرات الالهية بقرب الوصول وعلامات بشائر الفوز والقبول فلهذا نفتت اكباد العارفين وتشققت مرائر السالكين وقال النبي صلي الله عليه وسلم بشر المؤمن في وجهه وحزنه في قلبه وقال المؤمن مصاب لأنه دائم الحزن والخوف إذ أخوف الناس من الله أقربهم اليه كما وردت بذلك الأحاديث النبوية فالمتهاون بالدين جاهل مهان لأنه ما تهاون الا بالقرآن ولكن القوم الآن لا يكادون يفقهون حديثاً غرتهم الدنيا وزينتها وزين لهم الشيطان أعمالهم فثقلت عليهم الروابط الدينية والشعائر الاسلامية ومناسك السنة المحمدية فما أصبرهم على النار وقد اشتغل غالبهم بمطالعة الروايات التي هى كأضغاث الأحلام وأما طلاب العلم فقد اشتغلوا بالفنون الرياضية وهجروا العلوم الدينية حتي صار البعد عنهم أرجى للرحمة من التقرب اليهم فرحم الله أمراً كان بينه وبين ربه رابطة

مودة وتضرع اليه ان يرزقهم العلم بغير حساب وان لا يعجل لهم المكافئة في الدنيا ليصرف قلوبهم عن معرفته ومحبته وان لايجعلهم كعير الحي كثير الطواق والوتد حذو أذنه فقد هجروا الجنان وما فيها بمعرفة افريقيا ومبانيها انها والله لاسوء حال وما مآلها الا الى النكال والوبال نسأل الله ان يحوّل عن هذه الشواغل قلوبهم وأن يجعل وجهه الكريم بغيتهم ومطلوبهم انه على مايشاء قدير

﴿ تتمة ايضاح ﴾

عجبت لمن يدعي اليوم انه من أهل الايمان حتي اذا حضر مجتمعاً من حفلات المجامع الليلية لا يسمع من سفهاء الناصحين إلا مايقوي قوايم الكفر ويؤسس قواعد الفجور ويضعف الدين ويسرع الى أبواب جهنم بالسامعين وهو مع هذا كله راقد الحواس نايم الاحساس لايذب عن دينه ولا يخشي تمرض ايمانه ويقينه يسمع الناصح يقول ان أوربا حازت من التمدن والرفاهية ما صدكم عنه قصر الهمم حتى ضرتم مثلة بين الأمم فهل هذه نصيحة إيمان أم ورد لمماثل ذلك في الحديث والقرآن * القرآن جاء بالوعد والوعيد وآيات التعطف والتهديد ليترك الناس التشاغل بدنياهم ويعملوا لأخرتهم كما علمهم النبي وأراهم وأهل أوربا مقتوا الأديان ومالوا الى البغي والطغيان فواجهت الأمم بعضها للأغتيال مواجهة الآساد عند الفريسة وسيسري ذلك الطغيان في أفراد الأمم وما ذلك الا لهجرهم روابط الدين وعدم متابعة أئمة المسلمين والاعراض عن التخلق بأخلاق النبيين فسحقا لناصح لم يتبع في نصحه أساليب القرآن والويل لمن صغى له ولم يزجره من أهل الايمان ولنرجع الى بيان مابقي من امهات الموانع فنقول

﴿ واما غلبة قطاع الطريق ﴾

فما هى الا تحكم النفس الأمارة التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله أعدي عدوك نفسك التى بين جنبيك وتحكم الشيطان في الانسان وصدهما له عن طريق الرشاد لأن الله سبحانه وتعالى لما كان الأنسان مرمى سهام قضائه وقدره ومهبط رحماته ومحل تنزلاته جعل له في سفره طريقين وجعل لكل طريق منهما أهلاً بدليل قوله تعالي (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس) وقوله (ففريق في الجنة وفريق في السعير) كما سبق ايضاح ذلك ثم جعل علي رأس كل طريق دعاة يدعون الناس اليها وسمي الداعي الى طريق النجاة والفوز هادياً مرشداً والآخر مضلاً غاوياً وأمد كلاً منهما بما يتقوى به علي تأييد دعوته وجعل استعدادات أفراد الانسان وقوابلهم محلاً لقبول احدي الدعوتين حيث لاتجمع قابلية أحد أفراده بين الطريقين قبولاً واعمالاً اذ طريق السعادة في مقابلة طريق الشقا وبقدر مايتدانى السائر من احداهما يتباعد من الاخرى كما تراه في أحوال الخلق الآن إذ المفتون لو اكرهته على دخول المساجد لتشوش فكره وتكدر خاطره وكان كأنه يساق الى الموت فما ساوى أصحاب الكنائس والتقي المتنور لو قيل له إن الجنة وراء جدار القهوة ماعبرها ولقد جعل الله الجنة هي غاية احدى الطريقين والنار في نهاية الثانية وهما على طرفي نقيض فالانبياء ومن تابعهم هم دعاة طريق السعادة وجبريل قائدهم ومعلمهم وأهل الزيغ والجدل دعاة طريق الشقا والشيطان إمامهم وقد أمد الله دعاة الهدى بالآيات البينات وواضح الدلالات وقواهم بصدق الايمان وحسن اليقين وجعل لهم الانوار يمشون بهاوامد دعاة الأغواء بأن سلط عليهم

الجدل وقوّاهم على تحسين التقبيح وتقبيح الحسن كما تراه من خطباء الزائفين الذين قاموا يقبحون الأعمال الدينية لعمالها ويحسنون الغرور والافتتان بالدنيا لمن سلطهم الله عليهم اذ الشيطان لا يأتي الانسان جهاراً ولكنه يغوي أقواماً على فساد آخرين ليقطعوا عليهم طرق الكمالات ومناسك العبادات ولذلك حذرنا الله منه بما حكي عنه في قوله (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) وقوله (ولأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ومن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) فقال له الحق تبارك وتعالى في مقابلة ذلك (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) وأقبح ما يطيع فيه الانسان هؤلاء القواطع الزيغ في الاعتقادات الدينية عن طريق الاستسلام والتصديق كما سبق بيانه في الالتباس بمشابهة الطرق فيزينون له التهاون بأمر الآخرة وقطع الرغبات في طلب الجنة التي هي دار الكرامة والانصراف عن مخافة النار التي هى دار الهوان فكأنهم يكذبون الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ويحسنون لهم الاستهزاء باعمال الدين من صوم وصلاة وحج واعتقاد الشفاعة ويصدونهم عن ذكر الله وعن الصلاة على نبيه حتى تتلهى قلوبهم عن ذلك وتشتغل السنتهم باللغو والخرافات الباطلة والمرؤ بأصغريه قلبه ولسانه فمتى اشتغل قلبه بدنياه عن آخرته وبشهواته عن رغباته الدينية . وأهمل أمر ربه ولم يكن ذا قلب شاكر ولا لسان ذاكر تجاذبته الأهواء واستهوته الشياطين وتمكنت منه النفس الامّارة فألبسته رداء الدعوى المطرز بزينة الغرور والافتتان وقلدته مهندات اللسانة والجدل فأصبح من الظالمين هكذ حال فتيان هذا الزمن الذي انتشرت شروره وتطاولت فتنه وغروره

ومن القواطع ارتكاب المحرمات لا سيما السبع الموبقات التي وافق عددها عدد أبواب جهنم ليدخل كل عامل من الباب الذي بينه وبين عمله مناسبة قال الله تعالى (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزؤ مقسوم) ومنها ترك المفروضات التي هي الطريق الموصل الى الجنة فان من الغلط في العلم أن يفهم السامع القول بأن دخول الجنة برحمة الله لا بالأعمال على غير المعنى الحقيقي إذ هو قول حق ولكن المعنى أن فضل الله ورحمته هما يقودان الانسان الى العمل المقبول قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فاليفرحوا هو خير مما يجمعون) فما أراد بالفضل والرحمة هنا الا التوفيق للعبادات التي هي الاعمال الصالحة المقبولة وجعلها خيراً من الدنيا وما فيها والا فكم من عمل في وجه عامله مردود وكم من نصح ناصح على صاحبه من السيئات معدود والقواطع كثيرة منها ما ذكرناه سابقاً ومنها ما يعلم من كتب الصوفية لمن أراد أن يسلك سبيل النجاة والله لا يهدي القوم الظالمين ورحمة الله قريب من المحسنين

﴿ وكزة بمجول لباهت مفقود الحراك ﴾

انما مثل الدين القويم الآن مع من لا دين لهم كمثل شيخ هرم ذي سكينة ووقار يحاول تربية قينات حديثات السن عاهرات استمالهن شاب امرد فاسق الضمير والنظر شأنه الخديعة والمكر وديدنه الملاعبة والمداعبة يدعوهن الى ملاعب الفجور والفسق ولذلك الشاب قوّاد كقوّاد المومسات يستميلون القلوب لمن ينفق عليهم من سعته فأني اذاً لذلك الشيخ أن يقاوم هذا الشاب مع مهارة قوّاده وافتتان القينات به اذ لا ثبات بعارضه وقد وافق حاله قوابل هاتيك الفتيات حيث كان جده هزلاً وكماله نقصاً وأنسه عاجلاً وغمه آجلاً

والملاهي تعضده وغروز الافتتان يؤيده فهل يتمكن ذلك الشيخ من قلوب القينات مع وجود هذه العواوض والموانع وفقد النصير وانقطاع مدد التيسير هذا لا يكون الا برحمة ربانية ونظرة احسانية تجعل الشقى سعيدا وترد الآبقين عبيداً وما الشاب الامرد الذي لا نبات بعارضيه الا الدين الجديد الذي اعتنقه سفهاء هذا الزمن ومعنى انه لا نبات بعارضيه انه فقد اسباب الوقار وقد مالت اليه النفوس الدنية الأمارة لأنها لا تميل الا لما يتركها وشأنها في شهواتها وسهواتها وما قوّاده الا سفهاء الخطباء الذين زينوا للناس التشبه بالغافلين وتقليد المفترّين وقد يغفر الله سبحانه وتعالى للزاني والزانية واما الديوث (فلا)

﴿ نظرة سقيم في صنع مدبر حكيم ﴾

واعجبا لقدرة الله تبارك وتعالى في سرعة تقلب القلوب وتبدّل الشؤن وتداول الايام وسلب ذوي العقول عقولهم عند تحكم القضاء المبرم فلقد كنا في زمن قريب نرى الغالب الكثير من الامم متمسكين بالدين متقين عابدين طائعين لرب العالمين فما هي الا برهة من الزمن وقد غلب النسيان على القلوب وتزاحمت بالافتتان الكروب وانطلقت الألسن بدين جديد واصبحت قلوب الأمم اقسى من الحديد كأنه لا جنة ولا نار وكأن الله لم يكن هو المنتقم الجبار تالله ماتهاون الناس بالدين لطروؤ عيب شانه ولا لناسخ اوهي قواه وهدم أركانه ولكنما الى هذا الخطب العام الاشارة بقوله تبارك وتعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأنّ جهنم من الجنة والناس اجمعين) وقد قرب ردّ الأمانات المعارة وانقضاء مدة الأجارة وما وقود

جهنم الا الناس والحجارة (فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) قال هذا مولانا أصدق القائلين وأسرع الحاسبين وهو الذي أشار الى بعض اوصاف عباده المؤمنين بقوله حكاية عنهم انهم هم الذين يقولون (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) والغالب من سفهاء هذا الزمن ليسوا كذلك فلا إيمان لهم الا من ثبته الله واودع قلبه محبة دينه واخوانه المؤمنين رغبة في الصالح ورحمة للطالح ومستغفراً لاسلافه ومواليهم جميل شكره واعترافه فانهم نقلوا له قواعد الدين ولولاهم ما كان من المسلمين اللهم انا نسألك الرحمة والمتاب والعاقبة وحسن المآب انك أنت التواب الرحيم

﴿ وأما الاصابة في النواظر ﴾

فلم نرد بها الا انطماس البصيرة بما سماه الله سداً في مواضع من القرآن وطبعاً في مواضع أخر وقفلا ورينا وغير ذلك مما وسم الله به عباده المغضوب عليهم ومعني المغضوب عليهم الذين خلقوا أشراراً ليكونوا موقعاً للانتقام إذ الأمر دائر بين خير وشر ونعيم وعذاب ولا بد لكل من المضدين من اهل كما حكم بذلك ترتيب النظام الوجودي قال تعالى (لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالاً فهي الى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) كأنه سبحانه وتعالى وهو اعلم بمراده يشير بالأغلال الى ما يتولد من الاستعدادات والقوابل من الاخلاق المذمومة كالطمع والحرص والشح وغرور الأمل والطيش والطغيان وغير ذلك مما هو بمنزلة الاغلال التي يسحب

بها المجرم الى مواقع الجزاء وعلامة ذلك ان صاحب هذه الاخلاق تكون روحه كالمسجونة ويكون ضيق الصدر حيث لا كروب ولا داعية هموم غير انها أغلال في عنقه لا تترك له صدراً رحباً الا عند الملاهي والملاهي هي كما لا ينفع الانسان في مآله حتى وان كان علماً لا يعمل به متعلمه لأخرته وترى هاتيك الأرواح المسجونة لاتهش الا إلى تعاطي المخدرات لتتضاحك فكأنها تزيل الهم بالهم اذ الضحك يميت القلب وتتعاطي المسكرات لتفرح حيث لا شعور بما هو السرور وتهش للعب لتتسلي وهي لا تدري عن أي شئ تتسلي وما تسلت الا بما يجعل السجن مؤبداً عن النعيم المقيم أو الى مطالعة رواية واذا سئل ذلك المطالع يقول ماهو الا تضييع وقت وما ضيع الا نفسه بمعانقة ما هو كخرافات الأطفال وعجايز الجهلة من النساء التي يسمونها حدوته الى غير ذلك من الأعمال التي تظلم القلوب حتى اذا دعوت من هذا حاله الى عمل خيري وقبول نصيحة أو آداء فرض أو تعلم علم ينفعه في دينه مما تستنير به القلوب نفر كما ينفر الطائر فيكون مثله كمثل الأعشي اذا واجهته بالنور او الأرمد لا يطيق الصبر على الضوء وربما فر إلي المكان المظلم او ناشدك الله أن تتولى عنه بنورك هكذا حال المصاب في نواظر قلبه وفي مقابلته البصير الذي اذا صادف ظلمة لا يطيقها بل يتفقد المصابيح كذلك نير البصيرة تثقل عليه الملاهي والخرافات ويفر من المخدرات بالدّال المفتوحة المشددة والمخدرات من المسكرات وجميع الفواحش التي تظلم القلب ولا يركن الي مجامع اللهو ولا يصغى الي اللغو من الحديث ولا الى الهزل والمزاح ولا تهش روحه الا الي الوحدة والانفراد لانها في اطلاق ما دام في عزلة عن اهل المجون واللهو والافتتان كما سئل

ذلك الاستاذ الشيخ الدمياطي في منظومته لأسماء الله الحسنى بقوله

ويا خالق اجعل لي عن الخلق معزلا * وأصغر وضع ذا الكبر يا متكبر

وقال سيدي ابو الحسن الشاذلي اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على طاعتك وعن معصيتك وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك وهب لنا حقيقة الايمان بك حتى لانخاف غيرك ولا نرجوا غيرك ولا نحب غيرك ولا نعبد شيئاً سواك الى آخر ماطلب وما لهذا السؤال معنى الا الاشتغال بالحق عن الخلق فان عبادة الهوى ماهي الا الاشتغال بما ذكرناه من الملاهي التي يزينها الشيطان لمن سلط عليهم وماهي إلا نتائج الاستعدادات والقوابل التي هي كالاغلال في الاعناق تقود صاحبها الى جهنم وبئس المصير الا ترى قول ابليس لجنوده فيما حكاه الله اذ يقول لهم يوم القيامة (وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم) لأن قوابل الاستعدادات هي التي قادتهم الى اتباعه وفي مقابلتهم الآخرون الذين قال الله فيهم (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) ثم قد يفهم المتبصر أن الحق تبارك وتعالى أشار بالسد الذي بين أيديهم الى زهرة الدنيا التي تكالبو على تناولها مع علمهم بأنها متاع قليل زايل وقد قادهم غرور الأمل وشره النفس واستحكام الطمع الى اللهف عليها حلالا كانت أو حراماً حيث لاقرار ولا اصطبار فيقضي المنهوم أيامه في عناء واتعاب ولياليه في مضاجعة أفكار وحساب وأشار بالسد الذي من خلفهم الى الحرص والاغترار بما جمعوه منها فأنساهم التكالب على مابين أيديهم من زخارفها سكرات الموت وما بعده من الشدائد والاهوال التي أشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله إن بين العبد وربه لسبع عقبات

أي اللهوف على الدنيا

اهونها الموت واصعبها الوقوف بين يدي الله عز وجل اذا تعلق المظلومون بالظالمين ومن هو الذي لا يعد ظالماً اليس مشترى الدخان بنفقة عياله ظالماً اليس الفاقد لعقله عند السكر ظالماً اليس البايع له في مرضات النساء بتعاطى المخدرات من افيون وحشيش ومعجون ظالماً كما قال القائل

قل لمن يشرب الحشيشة جهلاً * يا خبيثا قد عشت شر معيشه

دية العقل بدرة فلما ذا * ياخسيسا قد بعتها بحشيشه

اليس المعرض عن زوجته بمصافات غيرها من الزانيات ظالماً اليس المسترسل في شهواته الناسي لمماته ظالماً أليس الضاحك حيث لايدري إلى الجنة ام الى النار مصيره ظالماً أليس المزدري لمن هو خلق مثله حيث لم يتحقق أيهما أحب الى الله ظالمًا أليس المتكبر على من هو دونه ظالماً اليس المعجب بنفسه وما علم اراض عنه ربه أم ساخط ظالماً اليس السفيه الأحمق ظالماً اليس كذا أليس كذا حتى لايكون ليس ولا حيث والله لايهدي القوم الظالمين ومن أظلم ممن اشتغل بما نهي الله عنه وأهمل ماهو مأمور به ومن أظلم ممن يعلم أن الله أرسل له رسولاً ولم يجهد نفسه في الاحاطة بما جاء به ذلك الرسول علمًا وعملاً رغم كل شاغل ليستريح بذلك في دنياه واخرته لان من عرف ربه استراح ومن سار على حادّة الطريق أمن ومن تابع رسوله سلم وكيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر ثم قد أنساهم السدّ الذي من خلفهم وهو الغرور بما جمعوه من الدنيا مبدأ وجودهم والاطوار التي تنقلت بهم من حيث لم يكن الانسان شيئًا مذكوراً الي نطفة مذرة لا شعور لها الى جنين في ظلمات الارحام الى

مخرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً الى طفل محمول كالحلس البالي الي غلام يتعلم عند التميز الي مراهق يتشوف الي الاقتران الي فتى اوتي مالا وولدا الي رجل يتصرف فيما ملك الى كهل كل ذلك كأنه لم يكن ومتى غفل الإنسان عن مبدإ وجوده ومنتهى حياته وما هو صائر اليه كان كالأعمى الذي لا يبصر ماخلفه ولا ماأمامه ولذلك قال تبارك وتعالى (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) فيكون من هذا حاله كالمصاب بنواظره يتلمس بيديه ما يحتاج اليه حيث لايدري أأبيض هو أم أسود هكذا حال من كانت الأغلال في أعناقهم لاهم لهم إلا تحصيل ما أملوه ولا حرص إلا على ماجمعوه ولو أن الله تعالى بصر أحدهم بعواقب فتونه وغروره لرأى حاله أسوأ حال حيث يبني مالا يسكن ويؤمل مالا يدرك ويجمع مالا ينتفع به حتى اذا أدركه الموت ترك ماله منهوباً وخرج منها عريانا لم ينل الا شيئاً من القطن في دبره وربما آل ماله وما جمع الى عدو له أو إلى من لا يذكره بخير أو يذهب به الشيطان أدراج الرياح على يد ولده الطائش المفتون اذ المال الحرام يذهب حيث أتى وهو المحاسب وهو المعاقب فبئس الحال و بئس المآل هذا هو معنى الإصابة في النواظر القلبية اذ العمى ما هو الا فقد النور وما أضاع النور الا الغشاوة التي عبر الله عنها بالسد وما هو الا سجن الأرواح بمآرب الأشباح حيث لم تسبق لها عناية أزلية قال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) وليست الظلمات الا الشهوات الهوائية والشبهات العقلية التي سبق الكلام عليها غير مرة وما نسب الحق تبارك وتعالى الاخراج من النور الى

الظلمات للطاغوت الا من باب التعمية ونسبة العمل الى من أجراه الله على يديه ليلتبس الأمر على من لم يرد الله بهم خيراً وهكذا سنة الله في خلقه ألا ترى قوله تعالى حكاية عن بعض رسله (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) وذلك لأن الآيات التي تأتي بها الرسل بينات والدلالات واضحات البراهين فلولا التعمية ماخفيت على أحد ولكن الله تعالى يحكم القوابل والاستعدادات فيمن حقت عليهم كلمة العذاب فيتخيلون ذلك سحراً أو كذباً أو تعليمات بشرية الى غير ذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ولذلك نسب الاخراج من النور الى الظلمات الى الطاغوت ليتوهم عبادها أنها فعالة فيكون كل حزب بما لديهم فرحون كما أخبر بذلك في كتابه العزيز والا فما للحجر المنحوت أو الصليب المصنوع قدرة على تحول القلوب التي أزمتها بيد مقلبها بارىء النسم ومغني الامم ومحيي الرمم سيما وقد قال في غير موضع من القرآن أن الالهة المعبودة لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً وضرب لهم المثل بقوله (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) وما فرق في الأولياء الذين اتخذوهم من دونه بين الحجارة والصليب والنار والآدميين وغيرهم لأن كل مخلوق سوى الله أضعف من الذباب كما قال في آية اخرى (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) أليس هذا كله دليل على أن الفعال فى جميع الأفعال هو الله تبارك وتعالى ومعنى الاخراج من النور الى الظلمات ومن

الظلمات الى النور قد يسترشد اليه المتبصر من طريق الاشارة في قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) وقول ابن عطاء الله الكون كله ظلمة وإنما أناره وجود الحق فيه فجميع العوالم الكونية باطنها نور وظاهرها ظلمة لأنها غيب وشهادة وما في الغيوب الا الله وحده وللانسان وجهتان وجهة الى الحق من طريق النور الذي عرفناه سابقا ووجهة الى الخلق من طريق الفكر والخيال فمن أقبل بوجهه على الحق وأعرض عن الخلق ورأى الأشياء على حقائقها قائمة بقيومية موجدها الحى القيوم الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه فقد خرج من الظلمات الى النور وأعنى بوجهه في اعراضه واقباله توجهات مقاصده القلبية وانبعاثات ارادته الفطرية الملائمة لاستعداده وقابليته كما قررنا غير مرة فمن كشف الله عن بصيرته الغطأ ونور قلبه سلك مسالك الناجين واهتدى الى الصراط المستقيم ومن انكسفت أنواره وانطمست أسراره واستحكمت على بصره غشاوته وتمكنت من مخنقه كالأغلال شهوته فهذا هو الذي لايدرك نجاحه ولا يرجي اصلاحه قال تعالى (أفأنت تسمع الصم الدعاء ولو كانوا لا يبصرون) اذ الأصم اذا لم يكن بصيراً لا سبيل الى ارشاده لا بالعبارة ولا من طريق الاشارة فاذا رأيت من أخذت الدنيا بمجامع قلبه فاسترسل في شهواته أو أى شهوة كانت من شهوات البطن أو الفرج أو اللسان أو أى حاسة كانت واشتغل بذلك عن اصلاح حاله مع ربه والنظر الى مآله فاعلم أنه هو المصاب بنواظره القلبية وان أعجبك منطقه لقوله تعالى (ومنهم من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) ولقد بينا امهات الموانع التي تمنع السالكين عن سلوك طريق السعادة بما أملاه علينا

الالهام الرباني بواضح البيان وعرفنا بعض ما يتولد منها من الأخلاق الزميمة ولكن التقصير قد حال بين المذاد وبين مجاري التسطير فمن أراد ان يفوز بطهارة الأخلاق وتهذيب النفس الأماره ويكتفي شر شيطانه فعليه بواضح التبيان من مؤلفات اهل العرفان فانها هي الطريق القويم لأرشاد المريدين وفيها الوقاية المنيعة لذوي الأذواق من العارفين ومن فقد كتبهم فقد فقد حياته الأبدية وسعادته السرمدية ومن اتعظ بها تهذب ومن عمل بها الى الله تقرب اللهم مدنا بمددهم ونورنا بمتابعتهم واجعلنا من المحسوبين عليهم المنسوبين اليهم في الدنيا والآخرة يا رب العالمين

﴿ ياهذا من كثر لفظه كثر غلطه ﴾

ألا ترى ان من الغلطات والمغالطات التي قذف بها الغلط في العلم من قلوب الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وقامت عندهم الشبهة العقليه مقام الآداب الدينية أولئك أهل الشذوذ من الأزهريين وأرباب الصحف المسودّة الذين زحزحهم الشقاء وشؤم الاستعدادات والقوابل عن مهابط الرحمات وموارد السعادات أن قالوا أن الكلمات القرآنية التي يتلفظ بها القاريء ويسمعها السامع والحروف التي بين دفتي المصحف لا ينبغى أن يقال أنها كلام الله لأنها من عمل التالين ونقوش الكاتبين فلا معنى للحكم عليها بأنها كلام الله القديم اذ هي حادثة التلاوة والكتابة والقارئ لا يقرأ الا بحروف وأصوات والكاتب لا يكتب الا بمداد وآلات وكلام الله منزه عن ذلك كله الى آخر ما قالوا ثم رجعوا الى الاوراد والأحزاب والأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف الصالح فقالوا أنها لا فائدة في الدعاء بها للداعين لأنها

بمعني أنها إما أن تنسب الى مصادرها الابتدائية أو الى المتلفظين بها فان قلنا
أنها تنسب الى منشها حيث لا يكون للمتلفظ بها رابطة علاقة تجعل بينه
وبينها نسبة بوجه من الوجوه اذاً فلا حق لهم في الانكار على من يقول أن
القرآن الذي نسمعه ونقراه هو كلام الله وكذلك تكون الأوراد لأهلها ليس
للداعى بها فائدة ولا علاقة نسبة الا مجرد التلفظ واما أن تكون من عمل
المتلفظين ومنسوبة اليهم قرآناً أو ادعية فيكون للمحافظ على الاوراد نصيباً
منها وتكون قربة يتقرب بها المناجي والداعي كما تقرب بها منشئوها ولا حق
لمن يصدهم عن الاشتغال بها فبهذا التناقض يعلم المتبصر ان هذه المغالطات
ماهى الا ضرب من ضروب الزيغ وفرع من فروع السفسطة التي انتشرت
الآن لتقوى شوكه أدعياء التبشير من المسيحيين الذين انتصبوا لأطفاء النور
المحمدي ويأبي الله الا أن يتم نوره الى يوم القيامة كما ذكرنا سابقاً والذي
علمناه من أبناء الأمة في هذا المعتقد منا وصلنا اليه من أحوالهم أنهم اتخذوا
للتحفظ من تلك الشبهة المهلكة وجهتان وجهة من طريق المتابعة وصدق
الايمان وسلامة القلب من شكوك الزيغ والجدل بالتسليم لأهل الكشف
الرباني أصفياء الله واحبائه الذين تجردوا عن الدنيا واشتغلوا بالخدمة الدينية
واستقبال النفحات الرحموتية فاستنارت قلوبهم وكشف الله لهم عن تجليات
أحدية ذاته بالعلم النوري وأراهم تحول صور أسمائه وصفاته في هـذا الوجود
الصوري وفتح اسماعهم وأبصارهم فسمعوا عنه من كل شئ ورأوه في كل شيء
بالشهود الوجدانى والذوق العرفانى من طريق قوله تعالى (سنريهم اياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق اولم يكف بربك أنه علي كل شئ

ليست من عملهم بل هي أعمال قوم مضوا أنشأتها أحوالهم واقوالهم فكيف ينتفع بها غيرهم وكيف تكون قربة لمن اراد ان يتقرب بها الى ربه داعيا كان او مناجيا الى غير ذلك مما جعلوه برهانا على ازدراء السلف من الأئمة المتقدمين الذين سلكوا مناهج الدين الشرعية فالعجب المتعجبون من ظلمة هذا الجهل التي جاءت بهذا التناقض البين حيث كان السفيه المغرم بنشر التمويهات الزيغية ليلبس الحق بالباطل لا يلتفت الى ما وراءه ولا ما يلحقه من مقت الماقتين وسخط رب العالمين فيتمادى به الطغيان حتى يخوض فيما لا يعنيه ويغوص لجج البحر الذى ربما هلك فيه عناد او اصرار وعتو واستكباراً عن متابعة الناجين وسلوك طريق المهتدين ولا يجد المتأمل لعمل من هذا حاله حكمة تدعوه الى ذلك التجاري الا أن يقال أنه لاقصد له الا ايقاع الشبه في قلوب من اتبعه من ضعفاء الايمان السفهاء لتميل بهم تلك الشبه إلى مذاهب الطبيعيين الذين ذهبوا الى إفساد قلوب المتمسكين بالديانات بزعمهم أن النبوة مكتسبة ليتخيل المتدين بأي دين أن الدين ماهو إلا احكام عقلية وأقوال صادرة عن حكمة بشرية وأحوال كمالية حيث لا رسول ولا مرسل ولا ملك ولا شيطان ولا محاسب ولا ديان وهذا هو المقام الذي تجاوز في البغي مقام ابليس ولا يسلكه الا كل شقي تعيس وهكذا هي مقاصدهم في تقبيح محاسن الأعمال الدينية وصرف القلوب عنها الى تناول الزخارف الدنيوية كما سبقت الاشارة الى ذلك غير مرة وبيان ذلك التناقض الذى تبيناه من أقولهم أن كلا من القرآن والأوراد والأدعية ما نراه الا الفاظاً يتلفظ بها الداعي او القارئ بحروف وأصوات فالحكم على بعضها بشيء لابدّ من سريانه على الكل

شهيد) فتحققوا إن كل مافي الوجود كلمات الله ثم رأووا القرآن وسمعوه بعين وأذن ما رآه بها الراؤن ولا سمعه بها السامعون (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) فكانت أقل درجة للسامع له منهم البكاء اتباعاً لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن فابكو فان لم تبكوا فتباكوا ووصل الأمر ببعضهم الى الاغماء وبالبعض للموت قيل ان شابا كان يقوم الليل بالقرآن كله فقال له شيخه إذا قمت للصلاة في الليلة المقبلة فاستحضر أنك تقرأ القرآن في مجلس اصحاب رسول الله وما قصد بذلك الا تصحيح حاله اذ التلاوة بغير حضور قلب لا يرقي بها التالي معارج الأنوار القدسية فلما كان الليل ووقف ذلك الشاب للصلاة استحضر مقالة شيخه فمضي الليل وما قرأ الا نصف القرآن وأخبره في الصباح بذلك فقال له استحضر الليلة أنك تتلوه بين يدي المصطفى عليه الصلاة والسلام فما قرأ الا قليلاً منه إذ كلما تلا آية زجر ووعيد بكي وانتحب واذا تلا آية ترغيب تحسر على ضياع ما مضى من عمره فلما أخبر شيخه بذلك قال له اذا كان الليل فاستحضر انك تتلوا ما قرأت بين يدى ذى العظمة والجلال فلما قام الشاب للصلاة وقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين تحقق ان الله سبحانه وتعالى سيسئله عن عبادته يوم يسأل الصادقون عن صدقهم وعلم من نفسه انه لا قدرة له على القيام بآداب العبودية فخجل أن يقول اياك نعبد وبكي فلما أخذ به البكاء مأخذه عاد للصلاة فعاوده الخوف والخجل وصار كلما ازداد خوفاً ازداد قرباً وكلما ازداد قرباً ازداد حياء حتى مطلع الفجر فرحم الله ذلك المربي ورضي الله عن ذلك الشاب وقيل ان أبا يزيد البسطامي كان جالساً لانتظار الصلاة يوم الجمعة

فسمع القاريء يقول (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) فاشتد به الخوف وغلا دمه حتى خرج من عينيه والتحق بثوب من كان في الصف أمامه وبعضهم عند ذكر آيات التهديد خر ميتاً كما يعلم ذلك من مطالعة آثارهم هؤلاء هم أهل القرآن وهم أعلم بالقرآن وكلهم اجمعوا على أنه كلام الله أياما قرأه القارئون وتلاه التالون وكتبه الكاتبون وما منهم من ولي" عارف أو صديق او مربي" مرشد الا شهده كلام رب العالمين وكان احترامهم للمصحف والأدب معه كأدبهم وقت الصلاة بين يدي الله تعالى وعلى هذا الاعتقاد تبعتهم علماء الامة وعوامها وأما الوجهة الثانية فهي ان نبهاء الامة تحققوا ان الحروف للمعاني كالاجسام للارواح وأن الاصوات لها كالاعلام بمعنى الاسماء التي تتميز بها الاشخاص ليجيب المنادي باسمه من يناديه به فيتميز زيد عن عمر باسمه وكذلك الأصوات التي هي عبارة عن الهوى المتقطع بالمخارج التي وضعها الله تعالى تتميز بها الحروف بعضها عن بعض فهي كالاسماء لها فبذلك علموا ان الكلام اشبه شيء بالانسان اذ كما تتنور الاجسام بالارواح كذلك تتنور الحروف بمعانيها وكما ان الاسم دال على مجموع الروح والجسد فكذلك الصوت المقطع جعله الله علماً على المعاني وحروفها فلحوق المعاني بالحروف كلحوق الارواح باجسامها سواء بسواء فكما ان زيداً الذي سماه ابوه زيداً هو زيد وهو طفل وغلام وفتى ورجل وكهل وميت وبعد الموت ويوم القيامة لا تزخره عن اسمه تنقلات الحوادث والاطوار فمن باب أولى النور الذي سرت انواره وبدت على تداول الايام أسراره قيل

ان امرأة من الصالحين اتخذت فاتحة الكتاب وردها حتى أظهر الله على يديها عجايب الأسرار وكانت كلما احتاجت الى أمر تعسر عليها أو توسل بها متوسل في مهم تقول يافاتحة الكتاب أريد كذا فيقضي الله حاجتها حيث أوكل بها من يطيعها مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم من أطاع الله في كل شيء أطاع الله له كل شيء وان للحروف لأسرار يعمل بها الناطق صاحب الهمة ما لا يعمل الشجاع بسيفه كما يشير اليه حديث يس لما قرأت له فلما تحقق نبهأ الأمة أن الحروف لاتنفصل عن معانيها بوجه من الوجوه ثبت اعتقادهم من طريق العلم اليقيني لا الظني أن هذا الكلام كلام الله مهما تداولته الألسن وتنقلت به الصحف وأخرجوا أنفسهم من ظلمات الشبه والشكوك الى أنوار التسليم والتفويض فواعجبا لجاهل يوقع نفسه حبا للجدل واللسانة في أعظم شبهة تهوى بصاحبها من جهنم في مكان سحيق ألا يكل هذا الأحمق الكلام فيما يماثل ذلك الى أهل الأسرار وأصحاب الأنوار الذين كاشفهم الله بمكنون سره وهم الذين تدينو بالدين علما وعملا وحالا ألا يعلم ذلك الجهول ان الذي يدعى الدين والعلم بمجرد القول حيث لاعمل ولا حال يكون مثله كمثل من طالع شيئا من مؤلفات الاطبا وقام يدعي المهارة في هذا الفن حيث لم يكابد من اعمالهم ما به يكون له الاقتدار على تشخيص الامراض الخفية مع ان السماع والاطلاع لايفيد ان من اشتغل بهذا الفن شيئا بغير مكابدة الاعمال والتمرن عليها ومن شك في هذا فاليسأل الاطبا وكذلك المعتقدات الدينيه لاتصح الا لاهل العمل فيكون من لاعمل له كرجل رأي طبيبا ماهرا في فن الطب وتفسير الاحلام ربح في ذلك العمل ربحا كثيرا حيث كانت الملوك تدعوه والرعايا تقصده لتعبير احلامهم ومعالجة امراضهم

فظن ذلك الاحمق انه يرتقي الى تلك المنزلة متى وقف على مايقول هذا الطبيب لمريض او صاحب رأيا مرة واحدة فتوجه اليه ليتفقد أعماله فوجد عنده رجلا يقص عليه انه رآى فيما يرى النائم كأنه أوتي مفتاحا فقال له الطبيب سيولد لك ولد وجاء آخر يشكوا ألماً في مقعر رجله فوصف له الحناضماداً فقام ذلك الاحمق فرحا بما اوتي وظن انه سينال حظا وافراً متى أعلن انه هو الطبيب ومفسر الاحلام ثم نشر ذلك في صحف منتشرة وكتب اسمه وحرفته على باب داره كما يفعل الازكياء من ارباب الحرف وعلى رأس الطريق المارة ببابه فلسوء حظه وشؤم طالعه مرض خصي من حجاب المقاصير الملوكية وقد كان رآي مناما ازعجه واقلق باله فاستدعى ذلك الطبيب ليريحه مما اهمه فلما شخص له المغص الذى في جوفه لم يجد في مخيلته الا ما وصف ذلك الطبيب لمشتكي الم قدميه فعجب المريض لجهل الطبيب لكنه اراد ان يستكشف حاله فاخبره بما راى في منامه من الاهوال المزعجة فقال له سيولد لك ولد فغضب ذلك الخصي الذي لاذكر له ولاخصيتني وامر بايجاعه ضربا وايداعه في السجن ليعاقب بما يعاقب به المحتالون وهكذا تكون حال مدعى العلم بغير عمل ولا حال يسأل يوم القيامة عن كشف حقايق ما كان يدعيه افتراء على الله حتي اذا لم يتمكن من الجواب السديد يسحب الى جهنم وبئس المصير لاسيما مدعي العلوم الذوقية التي لا يصل اليها اهلها الا من الطريق التي وصفها الحق تبارك وتعالى بقوله (واتقوا الله ويعلمكم الله) وان من التقوى لترك مايريب الى مالا يريب كما اوصى بذلك الصادق الامين بقوله دع مايريبك لما لا يريبك وانها لوصية مفيدة جامعة تمسك بها السلف الصالح الا ترى مالك ابن انس

رضي الله تعالى عنه لما سئل عن خنزير البحر قال لا يأكل فقيل له اليس من صيد البحر قال نعم ولكنكم سميتموه خنزيراً ولقد سمعنا ان بعض السفهاء من اهل هذا الزمن الذين تزيوا بزي الفضلاء ليشربون الخمر مستحلين له لزعمهم انه لا يغيب عقولهم وانه ليس بحرام مالم يسكر فما مثل هؤلاء الا كمثل عبد جريئ نهاه سيده ان يحوم حول مقاصير القينات فتوهم ذلك الأحمق ان النهي ماهو الا لخوف النكاح فكان يطوف حولها ليتمتع بالنظر والملاعبة غافلا عن حرمة النهى واحترام الآداب فأمر به سيده ان يخصى ويلحق باصطبل الدواب لجرئته على ارتكاب المخالفة هكذا حال من انتهك حرمة الشرائع وتعدي الحدود التي قال الله تعالى فيها (تلك حدود الله فلا تقربوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون) اليس ذلك هو اتباع الهوى الذي نهي الله عنه في كثير من الآيات القرآنية يا هذا ان فاتك العلم فلا يفوتنك الادب الم ترى ان الله تبارك وتعالى قال لنبيه (وان احد من المشركين استجارك فأجره حتي يسمع كلام الله) وما عنى بذلك الا القرآن الذي نزل علي محمد وطالما اعلن في الآيات وعلى السنة الرسل أن الكتب المنزلة كلامه ومانزلها الا ليتعرّف بها لعباده ليهتدوا بها الى طريق معرفته ومحبته حتي يكونوا لعظيم عزته مذعنين ولجلال ربوبيته طائعين ومن سطوة هيبته خائفين فلا تكن كالمحتضر الذي دهش لسكرات الموت فكلما ناداه صاحبه بقوله انا فلان فكلمني يقول له اين فلان لغيبوبيته عن معرفة الحاضرين اليس من الادب موافقة ربك وترك ماارابك لما لايريبك لانك لو ثبتت عقيدتك على انه كلام الله لاضرر عليك لموافقة ربك وان قلت انه ليس بكلام الله فما اتبعت الا

هواك وفكرك الذي هو محتمل للخطا والصواب بل هو الى الخطاء اقرب لأنك لست على بينة من ربك فويل يومئذ للمكذبين اللهم اجعلنا على مرادك ومراد رسولك وكما تحب وترضى اللهم انا عاجزون قاصرون برآء اليك من الزيغ والزلل مطيعون لما أمرت به من قول وفعل وعمل فتعالى الله الملك الحق الذي لا إله الا هو رب العرش الكريم نادى موسى من الشجرة المباركة وتجلى له في النار التي كانت حاجته حيث وضعت زوجته واحتاج لها قبسا وتجلى ليلة المعراج في شبه الياقوت لمحمد صلي الله عليه وسلم فسجد جبريل وعرف النبي ذلك التجلي من سجود جبريل فسبحانه من اله يتجلى بما شاء على من شاء لا يلحق الحدوث كلامه القديم بحدوث التنزل او التلاوة والكتابة بل هو النور المرشد للواعظ والموعوظ والقرآن المجيد في اللوح المحفوظ ولو لم يكن هو كلامه القديم لما جعل الله في جهنم وادتستجير اهل جهنم من نتن ريحه اعده للقراء المرائين وما ذلك الا لانهم تلاعبوا بكلامه القديم فطوبي لمن سلم فسلم والويل لمن تمادى في بغيه حتى ادركه الموت فندم واما الاوراد والاحزاب فما هى الا ادعية كاملة الآداب واوعية حاوية لمجموع مطالب الطلاب ومعارج انوار وضعها المرشدون ليرتقي عليها السالك الى المقامات الاحسانية ويهتدي بها الي التخلق بالآداب الالهية ليتهيأ بها لمصافات ربه حيث لا جفاء ولا إعراض ولا تلون ولا أغراض وما هى الا تجهيزات لمقاصير قلوب الوافدين علي ربهم كما تجهز حجاب الملوك الداخلين عليهم ليعلموا كيف تواجه الملوك وبما ذا يحييهم الداخل عليهم وما هى المطالب التي ينبغي طلبها اذا حصلت الخلوة بهم واى حال يناسب حضرة القرب والا يتناس اذ لا يحيط بذلك علما الا

حجاب الملوك الذين أقاموهم بابوابهم لهذا الشأن فكذلك المرشدون الذين جعلهم الله ورثة الانبياء ليثبتوا من اختارهم الله من خلقه على الصراط المستقيم ما وضعوا اورادهم الا لتجهيز القلوب المقبلة على ربها حتي اذا انتقل المربي المرشد الى دار البقا قام ورده مقامه اذا لاوراد ماهي الا سلاسل انوار متصلة بمعارج اعتاب الرحمات ومطارق اسرار يستفتح بها الطارق ابواب الفتح من كنوز أسرار التجليات ولا يكون ورد الا عن وارد إلهي كما ذكرنا سابقا لانه لايبعث الانسان للنطق او العمل الا باعث غيبي حتى وان كان عابثا فلو تاملت الخلق بعين المطلع البصير لوجدت ما الفرق بين العمال بين فشتات بين محب ومحبوب وبين من هو الى جهنم بالاغلال التى في عنقه مسحوب وشتان بين من فتح الله ابواب القبول في وجوههم وبين من جعل من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً وشتات بين من انطلق في شهواته حتى استهوته الشياطين فلا تراه الا هائما ولا تسمعه الا مغرما يقول ياليلي ياعيني حيث لاليل ولا عين ولا يشعر ما هو الليل والعين وبين من لا ينطق الا ذاكراً او داعياً او مناجياً وشتات بين مشتغل بمطالعة الروايات والصحف او الفنون الرياضية وبين من لايشتغله ربه الا في تفقد آثار الصوفيه واعمال الامة المحمديه وشتات بين عالم اخذ يعلم الناس حتي اذا نودى للصلاة فر هاربا وبين حمال او زبال اذا أذن المؤذن اسرع الى ربه راغباً وشتات بين من يقضي جميع اوقاته في المزاح والغيبة وانواع الهفوات وبين من يراقب مظاهر الاعمال والاقوال باصلاح بواطن السرائر والنيات وشتات بين من أحاطت به خطيئته فغرق في لجة تقصيره وذنبه وبين من هو قانت اناء الليل يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قال الله تعالى

(قل هو يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال (لا يستوى الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ولا يستوي الأحياء ولا الاموات) وقال (افمن جعلنا له نوراً نمشي به في الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) الى غير ذلك من الآيات التي ذاقت قلوب العارفين لذة حلاوة معانيها وشهذوا أنوار اسرارها وصرفها الغافلون الى مايطابق احوالهم وما انطوت عليه خبايا مقاصدهم فظنوا ان القلوب الحية هى التي توجهت قوالبها الى اصلاح الدنيا ومقاصدها الى اختراع زخارفها وألسنتها الى تحسين الكلمات وتزيين البدع والهفوات وهذه هى الافات والعاهات التي فر منها اولياء الله وهربوا اليه فادخلهم وراء نبيهم في حصن لا أله الا الله ووضعوا الأوراد والادعية معالم يهتدى بها المسترشد الى مكانهم من القرب ومكانتهم في المحبة لانهم علموا ان مراد الله سبحانه وتعالى من فرض الفرائض البدنية ما هوالا تقييد النفوس وتذكيرها وتطهيرها كما عرفنا ذلك سابقا فاثقلوا قيودها بتلك الاوراد والادعية كيلا تنطلق الى ماذكرناه من دواعي الغفلات والسهوات قال البوصيري رضي الله عنه

والنفس كالطفل ان تهمله شب على ☆ حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

ولذلك قال اهل الطريق من لازم اورادنا فله ما لنا وعليه ما علينا اذاً فلا يكون القاطع لتلك الاوراد الا كعاق والديه أو اللقيط الذي لا أب له اذ هي الوصلة الرابطة ما بين السلف والخلف سيما في هذا الزمن الذي انقطع فيه عن غالب بنيه مدد الارشاد والهداية واستدت في وجوههم طرق الاسعاد والعناية واجلب عليهم بخيله ورجله الشيطان كما امره ربه فغلبت عليهم

شقوتهم واستحبوا العمى على الهدى واستبدلوا العذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار فلو أنهم واصلوا سلفهم الصالح بالمتابعة على السنن والشعاير التي كانوا عليها ولازموا اورادهم والأدعية المأثورة عنهم لما ضلوا ولكنهم ماوردوا الا موارد الاغراض الهوائية حيث يكون الشيطان آخذا بازمة قلوبهم وحبب اليهم الفسوق والعصيان وزين ذلك في قلوبهم وستر الله عنهم اوليائه كما تحجب العروس الا عن محرمها وصرف قلوبهم عن تفقد آثارهم ومطالع انوارهم وخبايا أسرارهم التي هي مألفاتهم المسطرة فى كتبهم الى التخلق بأخلاق من لا خلاق لهم فلو أنك ناصحت إحدهم بقولك اتق الله الذي بيده الهداية والرشاد لقال لك لو شاء لهداني يقول ذلك بقلب مطمئن وجاش ساكن كما تقول لاحد المتخاصمين أصلح أخاك فيجيبك بقوله إن كان له بغية في الصلح فليأتني وما ذلك الا لسوء الأدب وغلظ الطبع واشتغال القلب بما يوجب القسوة وهذا هو التوحش الذى لا وحشة فوقه فلا ترى قلبا ميالا الا الى تحسين الملابس والمساكن ورفاهية العيش ولا تجد ساعيا مهموما الا الي مجامع اللهو والاشتغال بما لا فائدة فيه الا في اصلاح دنياه ولا لسانا منطلقا الا بكل مانهي الله عنه من هزل ومجون وسخرياء وغيبة وازدراء وخرافات الاحاديث القديمة واوصاف الامم واخلاقهم فواعجبا لمن لم يصلح اخلاقه ولا يعرف نفسه هو على أي خلق ثم يتشوف لمعرفة اخلاق غيره زاعما ان هذا هو العلم الموصل للسعادة فلا يستفيد ذلك الاعمى من تلك المعرفة الى التخلق بأخلاق من لا خلاق لهم حتى كاد الغالب من الناس الآن ان لا يحسن النطق بالشهادتين حيث لا يدري ما هو الوضوء ولا كيف تكون الصلاة بل ربما استحيي أن يقول انا مسلم لما جبل

عليه من التحبب لمن هجروا الاديان كما ذكرنا سابقا كأنّ ابويه لم يكونا مسلمين او كأن امه اختلسته من الاجانب والعرق دساس وما اخفى الله اوليائه عن أمثال هؤلاء الا غيرة منه على أحبائه وأصفيائه كيلا تدنسهم مخالطة الدواب الملوثة بأرواثها حيث لا تحاشي النجاسات اذ الادمي الملوث بأوزاره ومعاصيه لا فرق بينه وبين البهيم الملوث ببوله ولا فرق بين من يتناول المحرمات على اختلاف انواعها وبين الخنزير الذي لا يتغذى الا بما تلقيه البغال والخيل من ادبارها فان الله تبارك وتعالى مانهي عن شيء الا وهو يعلم انه لا ينبغي لمن احب أن يتقرب اليه ان يتعاطاه ولو تبصر العاصي في المعاصي لوجدها اشنع من من الخبائث التى هي بمعنى القذورات حالا ومآلا اذ القذورات ربما زالت بالغسل والتطهير واما الأوزار فباقية الى يوم القيامة لا يتطهر متعاطيها الا بالنار إن لم يكن ممن أحاطت بهم الخطايا وان قلت انها تزول بالتوبة النصوح أقول ان لها اثر يبقى وهو الخجل والحياء من الله فقد ورد ان الله تبارك وتعالى يرسل لعبده التائب من المعاصي بعد مروره على الصراط قبل دخول الجنة بطاقة فاذا اطلع عليها خجل لما يراه من التذكير بمعصية لم تكن سطرت في صحيفته وهذه احوال لا يلاحظها في سلوكه الا اهل الفوز والعناية واما الهائم على وجهه في شهواته ولذاته الزائلة وأغراضه الباطلة فهو مفقود الشعور والتمييز يصول على ماليس له ويتعاطى مالا يحل تعاطيه ويتكلم بغير ميزان ويفعل مالا يتجارى على فعله الشيطان فلذلك حجب الله اوليائه عن هؤلاء الاشرار حتى اذا رأو اصالحًا ازدروه واذا جاورهم تقي مقتوه فلم ينالوا نصيبًا من الدنيا الا مخالطة السفهاء من اهل الزندقة واللسانة وما اكتسبوا الا اعمالاً صارت

لهم كالمطايا الجموحة فهى تجمح بهم في اودية الافتتان والغرور التى لا نهاية لها الا جهنم وما لهؤلاء من علامة يعرفون بها الا الانكار على اولياء الله أحوالهم والخوض في اعراض اهل النسك والشعائر الدينية أحياء وامواتا موافقة لقوابلهم واستعداداتهم اذ العدو لا يكون حبيبًا قط كما ان الحبيب لا يكون عدوًّا وان زحزحت أيهما بعض العوارض عن فطرته لان حكم الاستعداد الذي يعبر عنه بالطبع لا بد ان يغلب التطبع ولذلك ورد أحبب حبيبك هونًا ما عسى ان يكون بغيضك يومًا ما وابغض بغيضك هونًا ماعسى أن يكون حبيبك يومًا ما وما ذلك الا مراعاة لحكم الاستعدادات والقوابل التي ربما غلبت مغيباتها مظاهر العوارض التي تنافيها فتتبدل العداوة محبة وبالعكس ولا معنى للعداوة هنا الا التنافر الذي يكون بين الضدين لفقد المناسبة التي توجب الملائمة والارتباط ولا معنى للمحبة الا الألفة التى اساسها التناسب والملائمة ولا ريب فى أن الظلمة ضد للنور والنور ضد الظلمة وقد انقسم الناس الى قسمين لا ثالث لهما قسم اخرج من الظلمة الى النور وقسم أخرج من النور الى الظلمة كما سبق بيانه فالقسم الذي غلب على استعداده الصفاء الذي هو وصف لأحد الاصلين وهما الماء والطين هو الذي يقبل النور الذي جعله الله لعباده المؤمنين ليهتدوا به الى طرق الرشاد وما هي الا محبته ومعرفته والقسم الذي غلبت عليه كدورات الثاني من الاصلين وهو الطين هو الذي لا يقبل النور بل يكون ميله الي اطفاء ذلك النور من قلوب أهله لانه لايميل الا الى الظلمة ولا معنى للظلمة الا الحجب الهوائية النفسانية والخطوات الشيطانية ولا معنى للتنافر بين هذين القسمين المتباغضين الا عدم

ميل كل منهما الى الأعمال التي لا تناسب قابليته فيقوم في وجه عاملها باللوم والتباعد والنفور اذ لا يميل فريق الى ما عليه الآخر هذا هو معنى العداوة هنا بل وكل عداوة ورد بها الذكر الحكيم بين الله وعباده وبين الرسل ومن عاداهم وبين احباب الله ومن يبغضهم أو ينكر عليهم احوالهم وما أوتوه من المزايا فكل استعداد لا يقبل نور الايمان الذي هو بمعنى العلم اليقيني الذي هو التصديق المؤدي لمتابعة الرسل في الكليات والجزئيات فهو عدوّ لهم لأ نه فقد النسبة التي تقتضي الملائمة والارتباط كما ذكرنا وكل استعداد قبل ذلك النور ومال الى متابعتهم مهلا لا يتركه هائما في اودية الجدل والزيغ وقابل ما يلقى اليه منهم ببشاشة القبول وانشراح الصدر فذلك الحبيب ثم تتفاوت المحبة التى هي بمعنى الملائمة والارتباط بتفاوت احوال المحبين في الصفا وقبول الأنوار كل على حسب استعداده وكذلك تتفاوت عداوة المعادين بتفاوت ظلمة قلوبهم وكدر استعدادهم ولقد قررنا سابقا أن هذا الاختلاف هو من القواعد الأساسية لهذا الوجود الصوري ولو شاء ربك ما اختلفوا ولكنه لذلك خلقهم لينفذ فيهم أحكام العدل والفضل كما تقرر قبل اذ لا تتصف القدرة بالتمام الا اذا كانت صالحة لان تخلق الاضداد وتعطي كلاً منها ما يثبت به أمام الآخر حتى يتم مراد الله فيزهق الباطل هكذا هي كل المراتب الوجودية متضادة كما تراها فكم من اضداد في طوايا جسمك وانت لا تشعر وهي لا تتلايم وهكذا هي الناس فمن كان له نور تابع أهل الانوار في ادعيتهم بل وجميع اعمالهم واقوالهم ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ولكن له قوة تأتيه من قبل الفكر والتصور يظنها عقلا لتقويه على مقاومة ضده حتى يقوي على الاصرار والانكار

ذلك تقدير العزيز العليم نسألك اللهم أن تحملنا على سفينة النجاة وان لا تقاطع بيننا وبين عبادك الصالحين بقواطع الانحراف والزيغ وتابع بيننا وبينهم بالخيرات والبركات واهدنا صراطهم المستقيم وخذ بنواصينا الى ما وردوه من الموارد الاحسانية بمتابعة اورادهم واقتفاء آثارهم ولا تكلنا الى انفسنا طرفة عين فتخطفنا جذبات الاهواء الى مضال الافكار ومضار الاصرار حيث هلك أهل الزيغ والجدل اللهم اجعلنا نحبهم لمحبتك ونعادي من عاداهم ابتغاء مرضاتك اللهم باعد بيننا وبين من عاداهم كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم لا تجعلنا ممن قادتهم افكارهم الضاله الى موارد الفتون والاغترار ولا تسلك بنا يامولانا مسالك اهل الجدل والانكار اللهم اجعل السنتنا لاهية بذكرك ونفوسنا مطيعة لأمرك وقلوبنا مملوئة بمعرفتك وأرواحنا مكرمة بمشاهدتك واسرارنا منعمة بقربك وارزقنا زهداً في دنياك ومزيداً لديك انك على كل شيء قدير اللهم انا نسئلك بجلال كمال وجهك الكريم وبضياء سناء نورك العظيم وبتدقيق تحقيق علمك يا عليم أن تنزل على قلوبنا من نور الذكر والحكمة ما نجد بالحس والمشاهدة برده حتى لاننساك ولا نعصيك أبداً اللهم بحق محمد وآل محمد أيقظنا من نوم الغفلة ونبهنا بنباهة الهداية والتوفيق من سكر الشهوة وتيه السهوة واستعملنا بصالح عمل التوبة النصوح وأجلسنا على بساط الصدق وتوجنا بتاج الاخلاص وثبتنا على الاستقامة مع دوام المراقبة لك والحياء منك والأدب معك ومع شريعة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم زين نياتنا واقوالنا واحوالنا وافعالنا واصبغنا اللهم بهذه الصبغة المحمدية والبسنا خلعتك النورانية التي تمحق كل ظلام ونقص في المقام والرحيل ياجليل ياجميل ياكريم يارحيم اللهم

إنك تعلم مانخفى وما نعلن وما يخفي علي الله من شئ في الارض ولا في السماء
اللهم ان الدنيا هى الغارة المدبرة والاخرة هى القارة المقبلة وما اغتنمنا شيأ من
التي ولت وفرت ولا تهيأنا لاستقبال المقبلة اذا قرت وليس لنا بغير عفوك وسعة
كرمك ورحمتك اعتصام ولا انيس لنا في وحشة هذه القطيعة الاسابق لطفك
بنا في ظلمات الارحام اللهم جنبنا بخفي لطفك موارد الاشقيا واسلك بنا يامولانا
مناهج العبيد الأتقيا اللهم امسك السنتنا عن اللغط فيما لا يرضيك وحل بقوتك
ونور ارشادك بين قلوبنا وبين مناهيك اللهم اوقفنا مواقف العز بصدق مذلة
العبودية بين يديك واجعلنا مصادر مما يبرز من محاسن الاقوال منك واليك
اللهم لا تشغلنا بدنيانا عن آخرتنا ولاتلق بنا حيث مصرع مضارنا وافاتنا اللهم
لاتفتنا بما فتنت به كثيرا من عبادك واكتبنا اللهم في سجل احبابك وعبادك
اللهم ان الخير كله بيدك وانت موهبه ومعطيه وعلمه مغيب عن العبد لايدري
من اين يأتيه وطريقه عليه مبهم مجهول لولا انت دليله وقائده ومهديه الهنا
فخذ بنواصينا الي ما احسنه واتمه وخصنا منك بما هو اوسعه واخصه وانماه
واعمه فان الاكف لاتبسط الا للغني الكريم ولا تطلب الرحمة الا من الغفور
الرحيم وانت المقصد الذي لا يتعداه مراد والكنز الذي لاحد له ولا
نفاد إلهنا ألبسنا ملابس لطفك واقبل علينا بحنانك وعطفك وأخرجنا
من التدبير معك وعليك واهدنا بنورك اليك وأقمنا بصدق العبودية بين يديك
واخرج ظلمات التدبير من قلوبنا وانشر نور التفويض في أسرارنا وأشهدنا
حسن اختيارك لنا حتى يكون ما تقتضيه فينا وتختاره لنا أحب الينا من اختيارنا
لأنفسنا واهدنا للحق المبين وعلمنا من علم اليقين ياعلي ياعظيم ياغني ياكريم

ياغفور ياحليم يارحمن يارحيم اللهم يامن لايبرمه الحاح الملحين ولاتعجزه مطالب السائلين ها قد دعوناك ببعض مادعاك به عبادك الصالحون الذين أمرتنا ان نتخذهم أولياء بقولك (المؤمنون بعضهم أولياء بعض) وما تابعناهم الا لنفوز كفوزهم ونعز كعزهم فلا تخيب رجائنا ولا ترد مسئلتنا وتولنا يامولانا فأنت بنا منا أولى رب لاتشمت بي الأعدآء ولا تجعلني مع القوم الظالمين وكان ذلك على الله يسيرا

يا هـذا

أرأيت ان كنت ذا ملك وسلطان موصوفاً بسعة الحكمة وحسن التدبير ودوام التيقظ لإصلاح مملكتك على نظام وترتيب اخترعته بحكمتك ولطف تدبيرك بحيث لايختل ذلك النظام لغرض من الأغراض لانفرادك بالتصرف بلا وزير ولامشير وقد أحطت علماً بجزئيات ملكك وكلياته لاتغفل عن شيء منه طرفة عين وكان لك عبدين من العبيد أحدهما دائم الانقياد لكل مايصله من الأوامر على ألسنة المقربين لديك مبادرا الى مايدعي اليه من الأعمال بطيب نفس وانشراح صدر لايأتي بعمل الا اذا علم فيه مرضاتك متخلقا بأخلاق العبيد الضعفاء في جميع أحواله يتناول مايلتقي الى سمعه من الأوامر تناول القضايا المسلمة بلا بحث ولاتدقيق لايقول لم ولا كيف مشتغلاً بنفسه عن غيره من العبيد ان رأى عملاً حسناً من أي عامل قابله بحسن الظن وسلامة الطوية وتمني القدرة على الاتيان به وان شاهد قبيحاً التمس لعامله عذراً ونصحه نصح المحبين ووقف بينك و بينه في مقام الشفاعة والاعتذار وطلب الصفح والمسامحة لايفوته الحقير ولا الجليل مما أمرته به أوما تحب اتيانه وكلما اختبرته

في حال وجدته عاملاً على مرادك ومراد حجابك لا يهمه الا ما يرضيك تاركا أمر تدبير المعيشة الى احاطة علمك وكمال قدرتك وشمول لطفك الذي عهده منك قبل التمييز قائما حيث أقمته يستكثر القليل من نعمك ويستعظم الحقير من حواشيك وخدمك لا شغل له الا بما يعنيه والمقربون لك من العبيد هم ساداته ومواليه كلما اجهد نفسه في مرضاتك ظن انه ما خرج عن دائرة التقصير والجفا وما كان الا جاداً بما فوق الطاقة في محاسن الشكر والوفا لا يلهج لسانه إلا بجميل ذكرك ولا يتوجه قلبه الا الى محبتك وشكرك والعبد الآخر تنعم بنعيم نعمتك وأمطرته شآبيب احسانك ومنته وربيته بين خواصك ومحبيك وجعلته كالأقربين من خدمك وحواشيك فافتتن لذلك فتون المغرور الواله وتكبر على ضعفاء العبيد تكبر القوي المتأله وازدري المنكسرة قلوبهم من أهل الآداب وسخر بمن منهم لازم فى خدمتك الاعتاب او قرع الأبواب ناشرا لعيوبهم منتقدا عليهم خفى عوراتهم وذنوبهم لا يرى الحسن الا قبيحا ويرى الصحيح فاسدا والفاسد صحيحا وهو مع ذلك يعارضك في شؤون التدبير ظانا أنك اوكلت الى سفهه وعقله الضائع تدبير أمره وشؤون ذلك الملك الكبير الذي لو اغفلته طرفة عين لفسد ثم لا ياتي مما امر به الا بما يستحسنه فكره الضال وهواه الغالب عليه وقد بلغ من الاسانة وسوء الجدل منتهاه لزعمه انك ما اوليته وواليته بمكارم الاحسان والنعم الا لينوب عنك في التصرف في شؤون ما تملك من الامم وقد قام في ملكك مقام المالك المتصرف حيث لا يدري لم اقيم في هذا المقام ذلك الاخرق المخرف ولما انتج له البغي والغرور ثمرة الاعجاب والجهالة ظل يقبح لكل عامل اعماله بغير ميزان بين يديه بل بما يلقي الشيطان

في قلبه ويملي عليه لظنه انه أعرف الناس بك واقربهم اليك وانه هو الاحق بسعادة الفوز والحظوة لديك ولم يتفطن ذلك الاحمق الى ان مكانة القرب من الملوك لا يتمكن منها المغرور وان المنفرد برأيه لا يليق ان يقابل ببشاشة الدستور ثم انك نصبت ديوان المحاسبة يوما ما لتظهر خبايا طويات العبيد فتقابل عمالهم من الجزاء وجليل العطاء.

بما تحب وتريد فمن الذي تراه من العبدين أحق بمناقشة الحساب وايهما اقرب للانتقام وصولة الغضب وشديد العقاب تالله ان المتابع لحبيبك لهو الفائز وان كان من ذوي البساطة والبله والآخر اجدر بالخوف والفزع ودهشة الحذر والوله لأنه هو مرمى سهام المؤاخذة والانتقام كما يقتضيه العدل المعروف بين ملوك الانام وما ضربنا لك هـذا المثل الا لتعلم أن الله تبارك وتعالى ما سمي الطريق الموصل الي النجاة بالاسلام وما وصف سالكها بوصف الايمان الا ليستشعر صاحب الذوق والاحساس ان الآداب التي تليق باهل القرب والسعادة لا سبيل الى معرفتها الا بالمتابعة والتسليم ودقة الانقياد لما جاء به الرسول اذ لو كان للعقول تحكم في تلك الطريق لما احتاج الناس الى رسول او كان الرسول الواحد كاف حيث جا بكتاب سماوي ولكن الامر علي غير ذلك فلذلك نهينا عن متابعة الهوي ومحدثات البدع وامرنا بالاستسلام والتسليم فمن تابع السلف الصالح في استعمال الآداب القولية والفعلية نجا وسلم ومن اتبع هواه واغتر بفطنته وحدة ذكائه هلك وندم وكان هو الاحق بالمؤاخذة بأصغر جريمة اذا البلاء موكل بالمنطق والدعوى عاقبها سيئة وخيمة ولذلك قيل كن ذنبا ولا تكن رأسا لان الذنب قريب من السلامة بعيد من العطب والرأس قريبة

من العطب بعيدة من السلامة عند التصادم لهذا كانت الأئمة المجتهدون في عناء من الحذر وشدة الخوف من الله لعلمهم انهم هم الرؤس ولاحرج علي من تابعهم ولم تكن اجتهاداتهم مشوبة برياء ولا اعجاب ولا اغراض نفسانية بل ربما تنصلوا من تحمل المسؤلية عنها كما فعل مالك رضى الله عنه عند موته لشدة اخلاصه في اعماله وعلمه بان الانسان يجوز عليه الخطاء الا المعصومين فتامل ياهذا الفارق بين هؤلاء السادة الذين حافظوا علي متابعة الرسل محافظة الجائع علي طعامه ومع ذلك اقلقهم الخوف والحذر وبين من جاء يتخبط في ظلمات جهلة ويمرح في ميادين اللسانة والجدل حيث لا يستحي ولا يخاف وقد اخذ الغرور بمخنقه وركب الشيطان علي عاتقه وادلى برجليه علي صدره سائرا به حيث شاء في اودية الطغيان والزيغ وما ذلك الا لتغول فكره فيما لايعنيه بغير ميزان فلو انه تابع من قبله من الناجين علي صدق نية وسلامة قلب لما هلك ولذلك ورد ان النبي عليه الصلاة والسلام قال ان اكثر اهل الجنة البله وهم اهل التصديق بلا جدال ولا متابعة هوي لان اهل النظر علي خطر عظيم وان كانو مخلصين وهم المقصودون بقوله صلي الله عليه وسلم الناس هلكي الا العالمون والعالمون هلكي الا العاملون والعاملون هلكى الا المخلصون والمخلصون علي خطر عظيم اذ المخلص في عمله لايلحقه الخطر الا من متابعة الهوى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اتخذوا عند الفقراء يدا فان لهم الدولة يوم القيامة وما عني بالفقرا الشحاذين ولكنه اراد بهم القوم الذين خرجوا عن ظلمات التدبير ورموا بانفسهم في تيار الاقدار وتحققوا بذلة العبودية وان كانوا

اعزة علي الكافرين وتحلوا بوصفي العجز والافتقار وان كانوا اقوياء اغنياء واتبعوا قول القائل

من حط ثقل همومه　في باب مالكه استراح
ان السلامة كلها　حصلت لمن القي السلاح

هذا هو الفقر الذي من اتصف به كانت له الدولة يوم القيامة ألا إنهم هم المنكسرة قلوبهم فهنا لك يفوز الابله ويسعد المستلسم ويحشر ألو اللسانة والجدل مع الشياطين حول جهنم جثيا

يا هذا

قال عليه الصلاة والسلام ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحراً وقد سبق الى أفهام العامة أن هذا الحديث مما يستدل به على مزايا الشعر وفضائل الشعراء ولكني أخالفهم الى المعنى الحقيقي من طريق الاشارة المفهومة ذوقاً وتصوراً وذلك لأن المتبصر يتحقق بعين اليقين أنه صلى الله عليه وسلم أشار بذلك الى أن الشعر وان كان منشأ الأقاويل الكاذبة كما قيل أحلى الشعر أكذبه ومجمع التخيلات الوهمية ومنبع الاختراعات الذهنية وميدان ضلالات الهيام وملعب تصورات الفكر وتخيلات الأوهام ولكنه قد تندرج في سلك نظامه البعض من مكنونات درر الحكم وان لم تستجلبها من قرائح الشعراء جذبات المقاصد فلو كان الشعر معدن الحكمة لما أعجب النبي صلى الله عليه وسلم بما وجده فيه من الحكمة اذ الشيء من معدنه لا يستغرب لكنه اشار بحديثه الى سامع الشعر أن يلتقط ما يجده في قوافيه من الحكمة التي هي ضالة المؤمن ولا يزدريها حيث وجدها اذ الشعر ليس بموطنها بل هو حرفة الغاوين

وفرجة المتوالهين ونفثة المتواجدين ولذلك قال الله تعالى في معرض التمدح بنبيه مدافعاً عنه (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) ثم أعقب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاشارة بقوله في مقابلتها وان من البيان لسحرا ليعلم المطلع النبيه أنهما على طرفي نقيض اذ البيان ماهو الا القول الحق الذي هو رأس الحكمة وفصل الخطاب وبه تنكشف غوامض الشبه وتنحل عقد المشكلات وتظهر الحقائق ويتميز الحق من الباطل ولكن من ضروبه ماينافي ذلك لتضارب مقاصد أهل البيان وأغراضهم فأشار النبي صلى الله عليه وسلم بتسميته سحراً الى السامع ليأخذ حذره ولا يغتر بزخرف القول منه اذ السحر لا معنى له الا قلب صور الأشياء على غير حقائقها فيما يرى الرائي أو يسمع السامع وان كانت الحقائق لايتأتى قلبها إذ السحر لايقع الا على الأبصار أو الاسماع كما قال الله تعالى في سحرة موسى (فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤ بسحر عظيم) ثم قال في آية أخرى (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) فالجبال ماسعت ولا انقلبت حقائقها ولكنه سحر وقع بالأبصار فكذلك البيان اذا جا يلبس الحق بالباطل ويحرف الكلم عن مواضعه يكون سحر اوقع على الاسماع فتعجب النبي صلى الله عليه وسلم من تمكن الشعراء الذين لايتبعهم الا الغاوون من الاتيان بالحكمة في غير موطنها ومن عدول أهل البيان عن كشف الحقائق المطلوب لأجله البيان الى التعمية وقلب مواضيع الكلام ليزينوا للسامع الوجهة التي قصدوها بما زخرفوه من القول فنبه عليه الصلاة والسلام السامع بتسميته سحرا كيلا يضل بما يلقي على سمعه من سحر البيان المضر بالعقائد الدينية الذي يعمل بالعقول مالا يعمله

الساحر بسحره كما تراه الأن في الصحف المنتشرة التي تريك الغي رشدا والظلم عدلا والباطل حقا والكفر اسلاماً و بالعكس فاليحذر قراء تلك الصحف التمويهات التي تزحزح المؤمن عن دينه فما أضاع ايمان العامة في هذا الزمن الا تلك الصحف التى جاتهم بزخارف الأقوال فاغتروا بها وألهتهم عن معتقداتهم وأعمالهم الدينية كما يتلهى الصبيان بالألعاب المزخرفة عن قوت أبدانهم وحنان أمهاتهم فسحقاً للقوم الظالمين وان من ذلك لما يقال عن بعض العلماء المائلين الى مذاهب البيعيين انه لما وصل الي تفسير قوله تعالى (قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على ابراهيم اخذ في التشنيع على المفسرين بقوله كيف لا تحرق النار من يلقى فيها وهى طبيعية الاحراق فلما رآى فى وجوه الطلاب آثار الغضب للغيرة الاسلامية أخذ في المغالطة ورجع عن التظاهر بالزيغ والجدل الى خدعة النفاق فليت شعري ما الذي أراب ذلك الاحمق الجهول الذي لا يفقه من اسرار الالوهية واقتدار القدرة الربانية شيئاً فهل خلقت النار بلا رب ام تعصي النار ربها ام الله سبحانه وتعالى لا قدرة له علي تغيير طبعها فى وقت من الاوقات وان سلمنا ذلك اليس له قدرة علي تسليط البرد عليها فيضعف قواها فينقلب حرها برداً كما صرح بذلك واتبعه بقوله وسلاما لكيلا يهلك البرد خليله الا يري ذلك المفتون ان النار هى الحرارة الكامنة فى الاحجار والاشجار وانها طوع الاسباب ومسبب الاسباب كغيرها من المخلوقات الا يرى ان من العجائب الكونية ان المحموم لا تطاق الحرارة التى في ظاهر جسده وبرد باطنه يكاد ان يمزق أوصاله وهل بمد قوله تعالى حكاية عن قوم ابراهيم (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم) يجوز ان تأول النار بغضب

النمرود ويقال ان بردها هو اطفاء نار غضبه على ابراهيم أفلا يعلم هذا السفيه الجرىء على ربه ان الغضب للانسان عند وجود أسبابه طبيعي كما ان الاحراق طبيعي للنار اذاً فيكون القادر على اخماد نار الغضب مع تمكن الغضوب من عدوه وعظم سلطته عليه قادراً على اخماد الحرارة النارية عنه فما الداعي اذاً للتأويل الذي لايفهم منه الا تكذيب رب العالمين ورسوله وما اوردنا هذه الهفوة التى منشأها الغلط في العلم وطغيان الفكر السيء الذي سبق ايضاح اسبابه الا ليعلم المتبصر ان كل ما يماثل هذه الاختراعات الذهنية ما هو الا من سحر البيان الذي نبه عليه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف وقس على ذلك تسميتهم كل سنة سنها السلف الصالح بدعة كالاجهار بالذكر والادعية في مجتمعات المرشدين وعقب الصلوات وفي الطرق عند الحاجة وفى الاحوال التى تختلق باختلاق مقاصد الذاكرين والداعين حيث لا يخشى داعيهم أو ذاكرهم في الله لومة لائم ومـا قصدوا بتسمية ذلك بدعة الا تثبيط همم العاملين وايقاع الشبه فى قلوب المعتقدين حتى لا يكون للدين في قلوب العامة طارقة فكر ولا نسمة تذكار واستدلوا على ضلالهم بقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه عندما رفعوا أصواتهم بالدعاء وقت العسرة انكم لا تدعون أصما وما فطن الزائغ منهم الى ان نهي النبي في ذلك الوقت لم يكن الا لاستجلاب ادب ذوقي غاب عن اصحابه عند اشتداد الكرب فقد كان حالهم وقتيذ يشعر بتمكن الجزع من قلوبهم اذ لولا الجزع لمـا تركوا إمامهم الذي هو اولى بالطلب وتقدموا عليه والادب الذوقي لا يقبل ذلك وما كان ذلك الوقت وقت تعليم حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم يبين لهم فيه الآداب

الذوقية فنهاهم عنها فعلوه نهيا مبهما يدركه الاحساس السليم لانهم ما جاؤا بمنكر اذ الحق سبحانه وتعالى مانهى الا عن الجهر بالسوء من القول في قوله (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) وقد اباحه للمظلوم بقوله (الا من ظلم) وما الجهر بالذكر الامأمور به شرعا مالم يكن مشوبا برياء وهذا امر موكول لنية الذاكر لا لعلم المنتقد وان من ذلك لانكارهم على تمايل الذاكرين يمينا وشمالا لجهلهم الحكمة التى أسس لأجلها ذلك التمايل فما استند مأسسه الا لامر قرآني وما هو الا مواجهة ابليس بالمدافعة والجهاد من الجهات التي اخبرنا الله حكاية عنه انه يأتى الانسان منها بقوله (ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين) وما حقيقة الشكر الا صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه فيما خلق لاجله فأسس ذلك المرشد رضي الله تعالى عنه التمايل في الذكر لتلك الجهاة لعلمه بان الشيطان يخنس عند ذكر الله وليكون الذاكر صارفا جميع القوى في تلك العبادة التي خلق لأجلها فيكون في مقام الشكر ليخزى ابليس عند رؤية الذاكرين وليتحقق الذاكر بقول القائل .

مولات قلبي من الست الجهات متى * يحظو بتدبير وصل منك مولاك

فنعمة السنة الحسنة والحكمة الجليلة وان اغفلها في هذا الزمن الذاكرون وتلاعب بها عند سماع الاغاني المتراقصون فقد اباح الله لنا ان ندعوه بقولنا ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا وانهم وان فاتهم التحقق بآداب الصالحين والتخلق باخلاقهم فما فاتهم التشبه بهم وقد قال القائل

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم * ان التشبه بالرجال فلاح

ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه أذاً فالعائب لأعمال العاملين بلا وقوف على نواياهم ظالم وجهول والأليق بالناقد التماس الاعذار لا كشف الاستار فلا تكن كالمرأة الشوها التى لا تعيب إلا الاحسان الغوانى وان من ذلك البيان الذى ينبغي ان لا يصغي اليه للاستهزأ بمن يلهج بذكر الله والصلاة على رسول الله فانهما من المفروضات القولية التى لم يعين الله تبارك وتعالى لها وقتا كالمفروضات العملية بل أوكل الاكثار منها الي شدة المحبة وصدق الايمان وقوة اليقين وجعلها ميزانا يعرف الانسان به منزلته عند ربه فمن شهد من نفسه داوم التيقظ وغلبة الذكر على قلبه وشدة اللهف والاستهتار ذكراً وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فذلك هو الحبيب المحبوب كما وردت النصوص العلمية والآيات القرآنية والاحاديث النبوية بذلك وها هي مواردها في كتب الصوفية تروى الظمأن وتوقظ الوسنان واما من تمكنت الغفلة من قلبه لتراكم الشواغل الدنيوية عليه فهو للكفر اقرب منه للأيمان نسأل الله السلامة والنجاة انه على ما يشاء قدير

﴿ لطيفة لا تقبلها القلوب المظلمة ﴾

لقد تعودت امراً لم تنخرم قاعدته معي من زمن طويل وهو اني كلما أهمني امر أو خفت غائلة طريق أو تأخر عنى مطلوب أو دهمتني عسرة أو فاجأتنى كربة او ادهشتني حيرة في مهمة أو ملمة وضعت رأسي في جيبي ان كنت حاضراً او رفعت صوتي ان كنت باديًا مجتمع الاحساس والحواس متوجه القلب محزون الفؤاد قائلاً يا رجال الغيب يا أهل النوبة الكرام انا في حماكم اليوم لا تفوتوني أقول ذلك عشر مرات متجها للقبلة ثم اقول بعد ذلك ثلاث

مرات يارسول الله غوثا ومدد يارسول الله أنت المعتمد يا رسول الله كن لي شافعا انت والله شفيع لا ترد فوالله ما فاتني مطلوب منذ تعودتها ولا اجهدتني خطوب فسبحان ربي وبحمده لا أذكر منه الا الجميل ولم ار منه الا التفضيل تبارك اسمه وتعالى جده وتقدست اسمائه قيد المسببات باسبابها وامرنا ان نأتي البيوت من ابوابها تسئل او لبائه وهو المسؤل وببركة يمنهم يعطي السائل فوق المأمول وكفي المنكر حرمانه ولا يضر بالمغرور الا طغيانه اللهم اني اسئلك بما سئلك به صاحب ورد السحر رضي الله عنه حيث قال الهي نحن الأساري فمن قيودنا فأطلقنا ونحن العبيد فمن سواك فخلصنا واعتقنا يا سند المستندين ويارجاء المستجيرين الهنا واله كل مألوه ورب كل مربوب وسيد كل ذي سيادة وغاية مطلب كل طالب نسألك بأهل عناياتك الذين اختطفتهم يد جذباتك وأدهشهم سناء تجلياتك فتاهوا بعجيب كمالاتك أن تسقينا شربة من صافي شراب اهل مودتك الربانيون وعرائيس اهل حضرتك الذين هم في جمالك مهيمون وما ادري لأي سبب او عامل رفع ذلك الاستاذ لفظ الربانيين ولكننا امرنا بمتابعتهم وان جاؤا بغلط في ظواهر اقوالهم فان صاحب الدار ادري بما فيها

﴿ ياهذا ﴾

قال عليه الصلاة والسلام إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً فظن الجاهل أنه صلى الله عليه وسلم يأمر بالاشتغال بالدنيا كما يأمر بالاشتغال بالآخرة وهذا من الغلط في العلم والحق الذي ينبغي أن لايقف المتبصر فى هذا الحديث الشريف على غيره هو انه صلى الله عليه وسلم ما قصد بقوله إعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً الا النهي عن

التكالب على الاشتغال بالدنيا والإنكباب عليها لأن الانسان اذا تيقن أو ظن انه دائم الحياة لا تأخذه العجلة في تعاطي الاعمال بل يتناول الاهم قبل المهم ويأخر ما لا يهم لوقت آخر واما اذا علم أن الموت قريباً منه فلا يلتفت الا لما ورأ الموت فكأنه صلي الله عليه وسلم يقول يا ابن آدم ان عارضك امر ان امر لدنياك وأمر لآخرتك فقدم امر آخرتك على دنياك لان امر الدنيا يدرك ما دامت الحياة واما امر الآخرة فيفوت بفوات وقته فعجل به فانك لا تدري في اي وقت تموت فاجعل الموت نصب عينيك هذا هو ما اشار اليه النبي بحديثه الشريف ولكن سحرة البيان يحرفون الكلم عن مواضعه والسامعون الآن حالهم كما قال القائل .

الناس في عصرنا خشب مسندة ٭ جسم البغال وأحلام العصافير .

فصدق عليهم معنى قوله تعالى (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة) وما ذلك الا لجهلهم بالعلوم الدينية وهجران كتب الصوفية التي هي سفن النجاة لمن اراد السلامة ومن العجب العجاب ممن هذا حالهم أنهم كلما ذكروا عملاً من اعمال العامة التي قصدوا بها التقرب الى الله ومحبة او ليائه على وجه التقبيح والازدراء يقولون هل فعل النبي أو صحابته ذلك العمل فهل من قائل يقول لهم هل علم النبي اصحابه الحساب والجغرافيا أم هما من اعمال الآخرة وان قالوا انهما من فروض الكفاية التي هي من ضروريات المعيشة يقول ان كنتم حافظتم على جميع الفروض العينية فقد قام عنكم بفروض الكفاية أبناء المدارس وفتيان القبط المهرة فالاولى لكم الاشتغال بالعلم الديني واداء الفرائض في اوقاتها والتخلق بأخلاق الصالحين

لتكونوا قائمين بأعباء ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وعمل به المتابعون له لتنتشر بكم أعلام الدين وينتفع بكم فى امر دينهم المسلمون فما اقامكم الله في هـذا المقام الا لتكونوا كرؤساء الديانات الذين لاهم لهم لا الاعمال الدينية وقد قام غيركم باصلاح امر الدنيا فلا تزاحموهم كما لم يزاحموكم فالدين الآن لا يشتكي الا ما احدثتموه من البدع التي ما تقول الاموسسها الشيطان والراكن اليها ضعيف الايمان اذ لامستند يستند اليه الراغب فى نيل الدرجات المحدثة التى لا معنى لها الا السقوط من اعين الله ومن قلوب عباده الصالحين والانحطاط عن مقام التمكين القربى الذي به لا يكون للشيطان على الانسان سبيلاً فاي بدعة اشنع من هذه البدعة التى تركت طالب العلم لايطلبه الا لدنياه ولو انه أدركها بذلك الطلب لكانت الكلاب المنعمة بها ارقى منه درجة فى السعادة لأنها ادركت حظوظها المقسومة بلا تشوف ولا تعب الا يدري من هـذا حاله أن طالب العلم الديني لغرض من الاغراض الدنيوية لا ينال الا نكالا ووبالا عند ربه ومهمل العلم الديني لغيره من الفنون معرض عن ربه جاف لرسوله مخالف للسنة متعرض للمقت والهلاك وما مثله الا كمثل ابنة امرأة فقيرة جاءت بها الي دار الخلافة لتتربى بين الجواري وتحضنتها ربة الدار تمكرن كمن فزن قبلها بعلو المنزلة ومكانة القرب من حاشية الملك فلما بلغت الحلم أخذت فى ملاعبة الفجار من المارين فى الطرق ومن فساق الخدم حتى اشتد بها الشبق والتحقت بالمومسات هكذا حال طالب العلم الديني اذ اشتغل بغيره عنه أو جعله وسيلة لدنياه وان كثيراً منهم لفاسقون

﴿ يا هذا ﴾

قالت الغانيات لا يجمع بين الضرتين الا قادر أو فاجر وما تولد هذا القول الا عن حكمة عقلية وذالك لأنه ان كان قادراً أعني ذا سعة وبسطة في الرزق والجاه والقوة يرضيهن بسعة ماله وشدة قواه وان كان فاجراً فيتخذ الحيل وخدعة النفاق طريقاً لارضاهن فما عنين بالفاجر الا كثير التحايل شديد النفاق وهكذا حال الدنيا والآخرة لا يجتمعان في قلب واحد ولا يجمع بينهما الا القادر واعنى به الذي اوتي قوة التكوين وصار ربانياً يقول للشيء كن فيكون فتستوي عنده الدنيا والاخرى ينفق عليهما من سعته واما ان يكون حكيماً يتناول الدنيا بقالبه والآخرة في قلبه ويعامل كلتاهما بالمرضي وهذا هو الفتى الذي تمكن من ستر حاله وعنه يقول اهل الطريق لا يكون الصديق صديقاً حتى يشهد له اربعون صديقاً بأنه زنديق ومعني الزندقة هنا ستر حاله مع ربه بتعاطي الاعمال التي بين الناس غير مألوفة بل وربما كان بينهم ممقوتاً وهذا حال لا يتم الا لكامل الايمان قوي اليقين اذاً فكل خطيب يأمر العامة بالجمع بينهما فهو زنديق من الأشرار الذين نهى الشارع عن صحبتهم كما قال ابن عطا الله لا تصحب من لا ينفعك حاله ولا يدلك على الله مقاله فالعاقل من لا يلقي بنفسه بين انياب الثعالب المحتالة فقد قيل لا تلق لعدوك سمعاً فانك لا ترتجي منه نفعاً

وقد قررنا ان كل عالم لا يعمل بعمل السلف الصالح فهو عدو لهم ولمن تابعهم في الاقوال بل عدو لله ورسوله كما سبق بيانه سيا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أعدي عدوك نفسك التي بين جنبيك ولم يقل ذلك الا لانها تدعوك

اب الدنيا فكيف بمن يجاذبك لباس التقوى ويقودك الى مصارع الأشقياء ومهالك المغترين ان هذا لهو العدو المبين والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وما الصراط المستقيم الا بغض الدنيا وحب الآخرة اللهم اجعلنا ممن لاهم لهم الا محبتك ورضاك اللهم اني اسئلك شوقاً يوصلني اليك ونوراً يدلني عليك انك سميع قريب مجيب الدعاء

﴿ يا هذا ﴾

قضا الله سبحانه وتعالى بارتباط الموجودات ببعضها ارتباطاً كلياً بمناسبات كونية تستوجب جمع شتات المتفرقات ما بين آكل ومأكول وناكح ومنكوح ومحب ومحبوب وغير ذلك مما لا يحصى ولقد أشار الى ذلك المعنى قوله تبارك وتعالى (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) لوجود المناسبة بينهما وقال (وحرم ذلك على المؤمنين) لفقدها بين المؤمن والزانية أو المؤمنة والزاني ولتلك الارتباطات الغيبية الأزلية والمناسبات الوجودية جعل الله في الكون مجتمعات عامة لتكون سبباً لجمع شتات المتناسبين كالأسواق والموالد والحج وما يسمى معرضاً الى غير ذلك من الدواعي التي تظهر فيها المسببات عند وجود أسبابها حتى في الحروب والاغارات وسطوات السارقين كل هذه دواع يراها المتبصر أسباباً لما يريد الله وقوعه من سوق الأرزاق الى المرزوقين وقضا حوائج المحتاجين وكل ما سبق تقديره من نيل وحرمان وطاعة وعصيان وتعارف المتناكرين واجتماع المتعارفين وشقاء الباغين وسعادة المحتسبين الصابرين وربح الرابحين وخسارة الخاسرين هذا تقوده شقوته ورابطة استعداده الى ما يناسبه من مواطن الملاهي والألعاب وذاك لا تنبعث

عزيمته وهمته الا الى مجامع اولي الرشاد من الأحباب وكم تبرز في مظاهر الظهور مغيبات تحار لرؤيتها العقول لولا وجود المجتمعات لم تكن كأكل زيد الشامي طعام عمر المضري واقتران المتباعدين واجتماع الزانية بالزاني التي كان بينها وبينه أمد بعيد وهداية الفاجر على يد شيخ لم يكن يسمع به الى غير ذلك من الأسرار التي جعل الله تلك المجتمعات أوانها وإبانها في سابق نظام التدبير ومشيئة الحكمة التي هى مصادر لطف التقدير ولكن أرباب القلوب المظلمة لا يفقهون ذلك لما قررنا سابقًا من أن الأعمى لا يشعر الا بما يتلمسه بيده وما أقاموا الا في مقام الانتقاد والاعتراض متابعة لأهوائهم وما أحاط بهم من ظلمات الموانع التي سبق تعريفها فلو أنهم أوتوا نصيبًا من النور الذي يجعله الله لعباده المؤمنين لعرفوا أن في أطراف الحبال أوتادًا ولكن البهيم لا يعرف الوتد الا اذا قصر حبله فلذالك أجهدوا نفوسهم في هدم تلك الأساسات القوية والروابط الأزلية وذلك لا يكون الا اذا انمحت الأقدار بوقوع مقدوراتها وأراد الله ان لا يعصي وتعطلت أسماء الجلال والجمال وهو من المحال الذي لا يكون اذ المغفرة تطلب المذنبين وشدة العقاب في انتظار الظالمين مصداقًا لما ورد في الحديث الشريف لو لم تذنبوا ويغفر لكم لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ويغفر لهم فمن أحب أن لا يعصي الله في الدنيا فهو جهول ومن زعم ان الله يعصى بغير ارادته فهو كافر ومن أوقف نفسه مواقف الانتقاد والاعتراض فما أوقفها الا على شفا جرف هار على متن جهنم (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فان قلت هل تلك المجتمعات مما تقر عليها الشرائع أقول نعم لأنها ما أسست الا لمقاصد خيرية كلها اصلاح دينوي واخروي وطرد المفاسد

عليها كطروء الريا على المصلي والتغني على القارىء المرائي إلى غير ذالك من الأعمال التي تفسد عبادة من طرأت عليه لا عبادة غيره فكذلك هذه المجتمعات يربح فيها كثير من السعداء ويشقى فيها من لم يرد الله به خيراً ولكن أسباب الشقاء خفية ولربما صادفت نسمات العفو وغيوث الرحمات فلا ينال المنتقد الا خزيا ووبالا (وربك الغفور ذوا الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبو العجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا) فلمن يكون الموعد اذا لم تكن الخطايا أليس الله بستير يحب الستيرين من عباده فما ظنك بمن لا يلهج الا بذكر ما توهم وقوعه من خطايا العباد نسألك اللهم وقاية من عثرات اللسان وظلمة الجنان انك أنت الرحيم الرحمن

ياهـذا

قال عليه الصلاة والسلام منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا أتدري لماذا كانت هذه المقارنة ماهي الا لأنهما متساويان في جميع الشؤون فأي شأن به يذم أحدهما يذم به الآخر وما يمدح به هذا يكون مدحة لذاك وذلك لأن كلاهما اما ممسك أومسرف أومقتصد وأعني بالمقتصد معطي كل ذي حق حقه والمراد بالدنيا في هذا الحديث الشريف الدينار والدرهم اذ الدنيا بغيرهما لا قيمة لها وقد قال الله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون) وما خص الله تعالى هذه المواضع الثلاث بالذكر الا لأنها مظاهر المنع حيث يحرم السائل لانه عند مواجهة الغني الحريص يعبس في وجهه قبل

السؤآل فيرى أثر ذلك في أسارير جبهته لكن الحاجة تضطره الى السؤآل فاذا سأله أعرض بجانبه فاذا ألح في السؤآل ولى وتركه خلف ظهره فيحصل اليأس وتضيق في وجه السائل السبل وتأخذه دهشة الخجل والحياء مع كربة القنوط فجعل الله سبحانه وتعالى جزاء المسؤول أن يكوى بما منعه في هذه المواضع الثلاث التي ذكرها في كلامه القديم وكما أنه سبحانه وتعالى ذم الامساك والبخل كذلك حرم الاسراف والتبذير وقال ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ولا معنى للاسراف والتبذير الا صرف المال في غير حل سوأ قل أو كثر كالمال الذي ينفق في المسكرات والمخدرات والدخان وأنواع الزخرفة في المساكن والملابس والمطاعم والصدقات على وجه الافتخار والريا والمساعدات التي سبق التكلم عليها فكل ماينفق فيما لم يكن الله راضياً عنه فهو اسراف وتبذير وان كان قليلا وكل ماينفق في مرضات الله لايعد اسرافا وان كان كثيراً بل يكون سعةً وانفاقاً في سبيل الله هذا حال صاحب الدنيا وهكذا هو حال طالب العلم اذا لم يعمل بعلمه يعد ممسكا بخيلا حريصاً اذ كل عمل من أعمال البر من مفروضات ونوافل متى جأ وقتها يكون بين يدي العالم كالسائل بين يدي الغني المسؤول فان عمله فقد أدى زكاة علمه وخرج عن المسؤلية عنه وان لم يعمله يجازى بما جوزي به صاحب الكنز ويكون في منزلة الممسك الحريص واما العالم المسرف في علمه فهو الذي ترك نفسه وقام ينشر علمه طوراً بلسانه وطوراً على أجنحة الصحف المتطايرة لاسيما في هذا الزمن فان كل عالم نشر علماً الآن من تفسير قرآن اواستدلال بحديث أواقامة برهان على الوحدانية والرسالة أوغير ذلك فما مثله الا كلص تجارى على

خزائن الملوك واستخرج ما فيها من الحلل وجاء يتباهى بها في محافل العوام الذين لم يشاهدوا مدخرات الملوك قبل رأية ذلك اللص اذ المتقدمون ما تركوا ديانا خفيا ولا علما مخفيا بل كل ماتسمعه الآذان الآن اوتقترحه الأذهان مصة وشل من بحورهم وفرائد درر من نظام عقود محرراتهم هذا هو الاسراف في العلم وأما الاقتصاد فيه فهو انفاقه بالميزان الشرعي فان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابدأ بنفسك ثم بمن يليك وقال الله تعالى (يأيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) فكل عالم لم يعمل بعلمه وقام يعلم غيره فهو مسرف ما سلك طريق الهداية ولكنه احتجب بموانع الطغيان الذي سبق تعريفه فالأولى للعالم أن يعمل ثم يزن ما عمل بالموازين الشرعية حيث لا يكون للشيطان في أعماله حظا ولا نصيبا اذ ذاك يخاطب من قبل الحق سبحانه وتعالى (لينفق ذوا سعة من سعته) ومن لم يكن كذلك فهو في ضلال مبين وهو الى الاضلال أقرب منه للارشاد والله يقول الحق ويهدي السبيل

﴿ يا هذا ﴾

إياك والنديم الأحول فان شر الندمان الأحول المعيان وخير الندمان المصقل المعوان والحول بفتح الحاء والواو وضع فطري تكون بسببه العيون متحولة عن مركز استقامتها النظري وبه يرى الرائي الشيء الواحد متعدداً أو متحولاً عن مكانه فلا يفارق الخطأ تلك العيون الا اذا حال بينها وبين مرإياتها شفاف على شكل مخصوص ترى الأشياء من ورائه على حقائقها والمعيان هو الحسود الذي تزول النعم بتحكم نظره فيها وهكذا هو حال عيون القلوب وهي البصائر التي يخالطها الحول فتتحول الأشياء في مرائيها الى غير حقائقها لتحولها

عن مراكز الاستقامة فتكون حليفة الخطأ من حيث لا يشعر صاحبها أنه مخطئ لنظره الأشياء متعددة أو متحولة وهي ما تعددت ولا تحولت ولكن الخطأ تمكن من نظره القلبي لوجود ذلك المانع الذي منع بصيرته عن ادراك الأشياء على حقائقها ولذلك ترى من هذا حاله تتعدد الآلهة في اعتقاده حيث يرى نفسه إله نفسه ويتخذ الأسباب آلهة من حيث لا يشعر مع اعتقاده بوحدانية الإله لأن نظره القلبي تحول عن مركز الاستقامة الشرعية لوجود ذلك المانع فرأى لا شيء شيأ ومن كان هذا حاله اذا لم يقيد بصيرته بما تقيد به البصائر التحق بأهل الموانع التي ذكرناها قبل ولا تتقيد البصائر الا بمصقولات الاخلاق والعقائد التي وضعها المرشدون لتقويم القلوب التي أصاب أنظارها ذلك الحول ومن طريق تلك العاهة تعددت الشموس في مرائي الرائين من حكماء الطبيعيين لتمكن الحول من بصائرهم فظنوا كل كوكب كبير في السموات شمساً الى غير ذاك مما خالفوا فيه النصوص القرآنية نسأل الله سلامة القلب حتى نلقاه بقلب سليم وأما الندامة فلا أصل لها الا المنادمة ولذلك سمي قرين السوء نديماً اذ لو وجد الانسان منفردا لا قرين له لما وقع في مخالفة قط ولو سئل العاصى عن أول سبب قاده الى المعصية وكان متذكراً لذكر القرين الأقرب ولذلك ورد النهي الشرعى عن مخالطة قرناء السوء لما ذكرنا سابقاً من أن بعض العوارض قد تزحزح بعضاً من القوابل والاستعدادات عن روابط مناسباتها ويسمى ذلك تطبعاً وانه وان كان الغالب أن الطبع يغلب التطبع ولكن ربما استفحل الداء وفقد الدواء وحان الحين وحقت كلمة العذاب على القوم الظالمين وكل من لفظ النديم والخليل والصديق والصاحب والمسامر والرفيق دال على وصف

مقارب للآخر غير أن الفارق بين المتصفين بها أن الرفيق هو الذي يصحب في السفر وان لم يكن خليلاً أو عند الحاجة والمسامر هو الذي يفاكهك بحديثه ليلاً وان لم يكن صاحباً والصاحب هو الذي يصحبك لينتفع بك وتنتفع به والصديق هو الذي وقعت بينك وبينه رابطة المحبة التي تلزم كلاً كما بالقيام بضروريات صاحبه عند الحاجة وان لم تتحد الأخلاق والمقاصد والخليل هو الذي أتحدت بينك وبينه الارادات والمقاصد والأخلاق والبواعث وأما النديم فهو الذي أعد لستر العوارت والتعاون على صفاء اللذات والشهوات وماقصدنا بالشهوات هنا مجرد اللذات البدنية ولكنا نريد كل بنية تدعوا اليها القوابل والاستعدادات روحية كانت أو بدنية فان الخوض في فنون العلوم ألذ للطالب من كل ما يشتهي وسكرة طالب العلم بما يتناوله من كؤوس فنونه الممتزجة كامتزاج الخمر بالماء أضر من سكرة المخمور اذ الافتتان لا يأتي الا من امتزاج فنون العلوم واختلاطها في مخيلة الطالب وتصوراته فتعمل بمحافظة فكره ما لا يعمله المسكر لا سيما اذا تفلسف ذلك الطالب فيكون مثله كمثل عابد في خلوة خرج منها على حين غفلة حيث لم يكن تمكن في خلوته من نفسه الامارة ودخل مكاناً مزخرفاً مشحوناً بأنواع الملاهي هنالك تدعوه نفسه الشهوانية الى التروح بتعاطي ما تتوق اليه من تلك الزخارف فيمقت الخلوة ويندم على ضياع مافات ظاناً أنه خرج من الظلمات الى النور وليس كذلك لأنه لو رفع الحجاب عنه في خلوته لشاهد نوراً مطلقاً لا يحد ولا يكيف ولو تأمل خلال تلك الزخارف لرأى ظلمات بعضها فوق بعض وما ضربنا المثل بذلك الا لأن الفنون الدينية ما ركب مبانيها الا قوم لاحظ لهم في

في تحسين الاقوال بل ربما تعمدوا الأتيان بالكلام السهل المتعارف ليسهل
بتعاطيه توصيل المعاني الي افهام العوام فيراه المطلع السفيه بعين المحتقر المزدري
سيما اذا كان قريب عهد بالزندقة لأنه كالها ثم علي وجهه لا يلتفت الا لما قصد
وكالسكران الذي تناول مالا تعود له علي تناوله ففقد الشعور واختلت افكاره
في ادراك الامور فتكون سكرة من هذا حاله أضر من كل سكرة وغفلته
أشنع من كل غفلة لأن المخمور ربما افاق من قريب وهذا لا يفيق الا بعد
الموت لأنه خاض في بحر متلاطم الامواج حيث لا يدري ماهي السباحات
فتختطفه الامواج من حيث لا يشعر وهكذا حال كل مشتغل بالفنون التي ثمرتها
اصلاح الدنيا ليس الا ولهذا السبب نهي المتقدمون عن تعاطي العلوم الفلسفية لما
حوت من الزخارف التي تجعل قاصر الفهم مارقا من الدين وليس الأحول المعيان
الموصوف بشر الندمان الا صاحب البصيرة التي تواردت عليها الشبه فتحولت
عن مراكز الاستقامة الدينية وكان صاحبها قوي الفطنة فتعمل سهام أقواله
بعقل منادمه ما لا يعمل الحاسد بعينه اذ الحاسد ربما نجا مصابه بالرقيا وأما
مصروع ذلك النديم فنجاته أندر من النادر لان سحر البيان يفعل بالعقول مالا
يفعله الساحر بسحره وما قصدنا بالمصقل المعوان الاقوي الايمان الذي صفا قلبه
فصار ينظر بنور الله وهو الذي وصفه النبي صلي الله عليه وسلم بقوله المؤمن
مرآة اخيه ولا معني لذلك الا أنه لا يستر عنه شيئا مما يراه فيه من العيوب
لان قوة ايمانه تدعوه لان يحب لاخيه ما يحب لنفسه فلا يحب ان يكون
مصرا علي عيب من العيوب وهل يميز بين المحاسن والمعايب الا من كان
مصقل القلب نير البصيرة هذا هو خير الندمان ولا يكون هذا الا من أهل

الايمان الذين جعل الله لهم نورا يمشون به كما سبق بيانه وما ينبه الا لقوم يفقهون ومن يفقه ذلك يعلم علم اليقين ان كل طالب علم لم يتضلع من الفنون الدينية ولم يتخلق بأخلاق الصوفية فهو ضال لا ينتفع بعلمه وكل نديم لم تكن بصيرته معتدلة المرائي في الطريق الشرعية فهو الأحول وكل زنديق قوي على إدخال الشبه في مخيلة سامعه بسحر البيان الذى سبق الكلام عليه فهو المعيان الذي تزول النعم بتحكم نظره أعني فكره المتحول عن الاستقامة فى عقول قرنائه اذ لا نعمة أعظم من نعمة صدق الايمان وحسن اليقين وان الشبه العقلية لتعمل بهما ما لا يعمل المعيان بمحسوده وامثال من هذا حاله هم الذين ورد النهي الشرعى عن مخالطتهم واليهم الاشارة بقوله تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) وعرف تخاصمهم يوم القيامة بقوله (قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد) وعرف ما يقال لهم بقوله (قال لاتختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد) والقول الذي لا يبدل ماهو الا قوله قبل (ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله الها اخر فألقياه في العذاب الشديد). والكفار هو الذي يستر الحق بالباطل والعنيد الذي لا يتبع الرسول ولا يقتدي بأهل الرشاد بل ينقاد الى هواه والمناع للخير هو الذي يصد الناس عن اعمال البر ويستهزئ بالاعمال الدينية فيقتدي به الكسول والجاهل وضعيف القلب فتهجر الاعمال الخيرية بسببه

والمعتدي هو الذي يتعدي حدود ماانزل الله فيحكم عقله فى الشرائع ويفري اعراض الضعفا. من اهل الايمان بزلاقة لسانه والمريب هو الذي يوقع عوام المؤمنين في الارتياب في دينهم بزخارف اقواله وشناعة احواله والذي جعل

مع الله الهاً آخر هو الذي يقول بضار اونافع غير الحق تبارك وتعالى الذي يأتي بالمسببات عند اسبابها وليست الاسباب والمسببات الا منه اذ الامر منه واليه وهو المهيأ للسبب والموجد للمسبب كائناً ما كان ومن اعتقد غير ذلك فهو مشرك لان كل من اعتقد في سبب انه ضار او نافع فهو مشرك لأنه متى رآه ضاراً اونافعاً فقد اتخذه الهاً اذ لامعني للالوهية الا ايجاد النفع والضرر واحوال المألوهين لاتخلوا عنهما ولذلك قال القائل

لا بلغت نفسي المراد * ولا رأت امراً يسر
أن كنت اعلم ان غـــــــير الله ينفع او يضر

ولقد مضت على الجنيد رضي الله عنه سنين وهو يسمع الملائكة تعيبه علي كلمة واحدة وهي انه كان يأكل مع أناس فلما شبع سئلوه ان يتضلع فقال انه يضرني وما كانت الا عن سهو اذ لا فارق بين الضال والمهتدي الا الوقوف علي حقيقة الفعل والارادة فى الضر والنفع هما للخالق او للمخلوق والنديم الاحول المعيان مافاته شيء من هذه الاوصاف التي ذكرها الله تعالي في الآية الشريفة فلذلك خص من هذا حاله بوصف النديم لأنه مشتق من المنادمة وانها لأصول شجرة الندامة التي لاتفارق قلوب المغترين طرفة عين ولكن لايشعرون بها الا عندطروق المحن والرزايا ونزول الشدايد والكرب أو عند حلول هازم اللذات ومغرق الجماعات او قدوم رسوله وهو المرض وانه ليطرق أحيانا بلا وعد ولاميعاد ولا مقدمات بروق وارعاد هنالك تورق اغصان تلك الشجرة في قلوبهم وتتفرع الى جهات لم تكن في حسبان المتنادمين ولا أبصرتها من قبل بصائر المغترين ولا ثمر لتلك الشجرة لا الغم المديد والهم الذى يفرى دروع الاصطبار

وان كانت من حديد فلذلك عاجلتك بنصحي أيها النديم الهام عسى أن تفيق من سكرتك وتستيقظ من غفلات رقدتك ودهشتك فان دهشة الملاهي تهلك الأبدان والأرواح وغاديها لا يشعر بالآلام الا عند الرواح وليس الرواح الا فراغ الأجل حيث لا يصحبه الى قبره الا العمل فلا تتطير ايها المطالع او السامع بنصحي كما يتطير الغلام الشقي بنصيحة ابيه فتغضب كما يغضب المبكر الى الحاجة لصيحة مناديه فان الذي يبكيك ويبكي عليك خير لك ممن يضحكك ويضحك عليك ولعل حزنك في البداية يورثك السرور عند النهاية فما احسن الدنيا ان كان مبدؤها بكاء ونواح وغايتها سرور وافراح والى ذلك الاشارة بقول القائل ولله دره

ولدتك امك يا ابن آدم باكيا * والناس حولك يضحكون سرورا
فاجهد لنفسك ان تكون اذا بكوا * في يوم موتك ضاحكا مسرورا

وليس بخاف عليك ما ظهر لأعين الناظرين من تقلبات الأطوار وتنقلات الحوادث بأهل الكبائر والاوزار فطالما احاطت بأفئدة اهل الملاهي عند الفراغ منها دائرة الندم وما شعروا حتى زلت بهم في مصارع الغرور والافتتان القدم فتراهم ما بين حائر ملهوف ونادم على ما جناه مأسوف كما قال القائل

لقد طفت هاتيك المعاهد كلها * وقلبت طرفي بين تلك العوالم
فلم ار إلا واضعا كف حائر * على ذقن او قارعا سن نادم

هكذا هو حال أهل الدنيا بأسرهم ما خرج واحد منهم عن هذين الحالين ولو شاهد ذلك القائل أهل الآخرة لوصفهم بما يوصف به المنعمون أهل السعادات لأنهم ملوك الدنيا والآخرة لا تطرق ساحاتهم الملاهي ولا

يهمهم طوارق الدواهي وأما أهل الدنيا فقد سقتهم العاجلة سمومها وأعدت لهم الآجلة أهوالها وهمومها عاشوا سكارى وماتوا حيارى وما ذاك الا لنفور قوابلهم من النصائح وملاءمة استعداداتهم للهفوات والقبائح وما أمليت الك الا ما تشاهده الأبصار ولا تجهله ثواقب الآراء والأفكار ولكن قد تحول بين بصيرتك وبينه غشاوة الغرور والشيطان لا يلعب الا بعقل المغرور ألا ترى أصحاب الكبائر قد انقسموا الى ثلاثة أقسام قسم لا يصغي الى النصيحة ولو أنه طالعها في صحيفة لتامى عنها لتمكن الشيطان من قلبه واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقسم تلقى اليه النصح فيسمع منه طرفا ثم يغلب عليه الهوى فيغالطك بقوله وقت الله يفرجها الله ان الله غفور رحيم والقسم الثالث يبكي لسماع المواعظ ويدركه الندم زمناً قليلاً ولربما عزم على التوبة أو تاب ولكن الشيطان يعاجله بألوفاته التي كان قلبه يتشوف اليها أو يسلط عليه قرناء السوء فيجاذبونه حاله فان كان سعيداً صالح الاستعداد والقابلية غلبهم الى الاستقامة والصلاح وان كان شقياً جذبوه مغلوباً الى ما كان عليه فتحيط به خطيئته يا هذا القرآن ما ترك شيئاً من الارشاد الا أوضح بيانه ولقد جعله الله نوراً لذوي العقول والأنوار لأنه هو الصراط المستقيم ثم جعل الحوادث الكونية قرآناً لمن لم يحط بمعاني القرآن علماً ولقد جعل الأمراض والآلام والشدائد أسواطاً يؤدب بها عباده ثم تعرف اليهم بهواطل سحائب الإحسان وما من شيء من ذلك كله الا وصلك خبره ولكن كلما دعاك شيء منها الى مولاك وضع الشيطان أصابعه في أذنيك وكفيه على عارضي صدغيك وألواك الى طريقه المعوج وحملك على عرش غوايته المرتج فهل لك صبر على النار أم

تحب أن تحشر يوم القيامة في زمرة الفجار يا هذا تالله مادعاك مولاك الا الى الكمال الذي به تعد من الأفاضل وما جذبك الشيطان الا الى تقمص الرذائل لتكون من الأراذل فلذلك جعل ربك جزائك على المخالفة عذاب السعير وان استجرت أجارك بالزمهرير اذ النفس التى تهش الى تعاطي المسكرات وتفرح بارتكاب المنكرات وتتشوف الى ما قسم لغيرها من الارزاق وتتلهى عن شكر المعطي الرزاق لا تصلح الا لدار الهوان ولا ينبغي ان يتضرر بصحبتها سكان الجنان أيها الناس لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاؤلئك هم الخاسرون يا أيها الناس اتقوا ربكم لن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تزهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور أيها الناس ما انزل الله كتابه بأشد من هذه المواعظ وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق الا ليزحزح احبابه ومن اصطفاهم من عبيده عن كل عمل يقربهم الى النار ولقد أجهد النبي صلى الله عليه وسلم نفسه في نصحكم بالأقوال وضرب الامثال وجعل الله لانفسكم الشرودة قيود التقييد وها بها ألا وهي الفرائض فان النفوس جموحة مالم تتقيد وما جعل الله السلاسل والاغلال يوم القيامة الا للنفوس التي لم تتقيد بالقيود الشرعية ومن كمال رحمة السلف الصالح بكم وشفقتهم عليكم أن زادوكم قيودا بالأوراد والأدعية التى وضعوها لكم اتباعا لقوله تعالي (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا)

وقوله (فاصبر على ما يقولون سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) وما أراد بذلك سبحانه وتعالى الا تطهير النفوس وتقييدها عن الشرود الى الشهوات كما ازاده تعليا بقوله (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) الي غير ذلك من الآيات وتالله ماجاءت الشرائع الا لتقييد النفوس بالاعمال والاقوال المشروحة لتكون يوم القيامة في حضرة الاطلاق تتبوأ من الجنة حيث تشاء فعليكم بالنفوس الامارة وقوا أنفسكم نارا وقودها الناس والحجارة .

قيدوها بكل قيد ثقيل ... والزموها ندامة المستقيل
وسلوها عن الذي أملته ... في الترامى علي المتاع القليل
ذكروها حوادث الدهر فينا ... وأروها رسوم تلك الطلول
نبئوها بأن كل جديد ... عن قريب يكون حشو الطلول
والمباني وكلما شاهدته ... بين صدع الفنا وقطع الفصول
هددوها بموت كل طغي ... من عتاة الملوك في كل جيل
حزنوها بفقد من شيعته ... من عدو او صاحب ومثيل
وخذوها الى المقابر يوماً ... وقفوها بقبر كل جليل
لترى الجند والملوك سكوتاً ... طوع قهر البلى وذل الخمول
وبخوها على اعتناق الملاهى ... فرقيب الردي قريب النزول
إذ لديها وان صفا العيش يوماً ... من رزايا الزمان ألفى عذول
حاولوها وما اختبوا ببعيد ... بل خباهم وراء جر الذيول

إن زهر الزهو لا خير فيه	ثمر الخزي في زهو الجهول
لا طفوها وان أبت فازجروها	زجر آس يسوس داء العليل
حاسبوها على النهار مساء	شيعته بأي صنع جميل
واذا ما الصباح وافاعظوها	فهو مار ومستمر الرحيل
والدياجي الى المنايا مطايا	مسرعات وما لها قفول
وزمان الحياة مهما استطالت	في ضروب الملاذ غير طويل
ووراء الملاذ غم مديد	دون داجي دجاه فقد الخليل
يا رفاقي ارى النفوس تفانت	في قريب الغنا بعيد الحصول
ودهاها الغرور حتى تناست	فجأة الموت بالبكا والعويل
كل نفس لها على الغيّ صبر	طوع ماتشتهي كصبر الفحول
والى الرشد إن دعاها نصوح	قابلت نصحه بتيه الملول
هكذا كلها النفوس أراها	غير ميالة إلى التكميل
من لنفسي برادع لا أراه	غير قاس شديد بطش عجول
علها تحتمي بوقع أذاه	من عمي المدعي وطيش الجهول
وتجافى الغرور والزيغ ميلاً	من دعاة الكمال للستميل
انّ داء الغرور داء عضال	ليس الا يصيب ضعفا العقول
أسغب الناس للأماني نفوساً	أحقر القوم أدنياء الاصول
وهو داء مهما تحكم يردي	عثرة الغيّ ما لها من مقيل
لكن الرشد للنفوس دواء	ليس يحلو الذوق غير النبيل
وعلاج الغرور صعب على من	ما تباهي بغير قال وقيل

مظلم القلب ظالم ما تربيّ لا بزهد ولا بسهد طويل
دأبه البطش في الجدال اذا ما شام هرّاً سطا بصولة فيل
ثم إنّ ما دعاه للرشد داع أو رسول يقول عقلي رسولي
وهو يبغي مع الشذوذ نجاة هل نجا مخطئ طريق الدليل
أو بعد الرسول يرتاب عقل في ارتباط الدليل بالمدلول
لكن الرشد والعنايات عزت أن توافي سوى الفتى المقبول
فلهذا ترى الأناس حيارى كالغواني مطلقات البعول
أظلم الكون والمكان عليهم فاهتدوا للضلال غير القليل
تابعوا غيّ أهوائهم فلهذا أخطئوا السير من طريق الوصول
وحليف الفتون ما زال فيهم يدعي القرب قرب أهل القبول
هل لساري الظلام يدنو مزار وهو بين الذئاب ضال السبيل
ياجنود الجدال انتم أسارى لأله الهوى بسجن العقول
غالبتكم اهوائكم فسلكتم حيث شئتم مناهج التضليل
طال حال الجفا فماذا عليكم لو قفوتم أئمة التوصيل
واهديتم من هديهم برشاد أحكموه من محكم التنزيل
صور حصن النجاة هم اسسوه من صحيح المقال للمستقيل
صححوه بصدق قول وفعل واتباع مسلسل معقول
وحموه من الغبي المرائي وأخي الزيغ والجدال الجهول
تارك الصوم والصلاة مجافي سيد الكون والاله الجليل
حيثما نحن للاله أرقا أفما قال ياعبادي اسجدولي

خالق الموت والحياة ليبلوا … أيّنا الحيّ عامل المقبول
لأرى الموت ياأحبابي الا … ضمم القلب عن نداء الدليل
وعماه عن الضياء اذا ما … عم نور الهدى سراج العقول
وحياة القلوب جمع قواها … لاتباع التحريم والتحليل
حيث تجلى بصائر بادّكار … وانكسار وخشية وخمول
لكن اليوم كلنا في عماء … عاب كل آخاه بالتجهيل
فرقتنا أهوائنا فافترقنا … نبتغي الرعي رتعاً كالعجول
بغية الكل ان يكون غنيا … ذا مغان معمورة بصهيل
أو كنوز يمتص رشح رباها … حيث قدكان من دماء العميل
فلهذا تباغض الناس حتى … اصبح القوم في شقاء مهول
غادروا الفضل والفضائل موتي … حين أحيوا محرمات الفضول
والفضيل الجليل حرصاً وشحاً … ليس يسخوا ولا يأم لخلول
فاقد النور هائم ماهداه … هدى طه ولا خصال الخليل
بل تزيا بزي اهل اوربا … في التباهي بزخرف المأكول
والتفاني في كل مايشتهيه … من مقول اوشيق مفعول
ياقومي تحفظوا من أناس … انذروكم بمرجفات الطبول
لست أعنى طبل الحروب ولكن … صحف الزيغ فوقها يا خليلي
حاربوا الدين ديننا لا بعال … من رماح ولا بسيف صقيل
بل بدس السموم فيما نراه … يسلب الدين من ضعاف العقول
مكر سوء في خدعة مع نفاق … أدهشتا كدهشة المقتول

فترانا نرى الضلال ولكن … أخمد الضيف رعد صوت البخيل

كلنا آكل ولكن بجبن … وهو جرثومة الوباء الوبيل

ارشدونا الى الضلال برشد … فيه جهل العمي وزيغ الجهول

وأرونا من الضلالات عدلاً … واستمالوا الأحمال بالتعديل

ناسج الزيغ والزخارف منهم … ألبس الدين شبهة التأويل

ثم منا من استراح وخلى … بين سعدي وبين فسق النزيل

لكن الدين حيث كان قويم … شمسه تزدهي بغير أفول

واضح النور أهله أسسوه … بأباس يسموا عن التعطيل

لا تراني أقول للدين يوماً … طبت حياً وميتاً يا كفيلي

فهو باق وذوا قوام قويم … وأخوا نجدة وباع طويل

غالب الشد ان يشادده شاد … رد بالويل خاسر المأمول

لست أخشى عليه منهم ضياعاً … سورة الفيل تكفنا كل فيل

دين حق فكيف يبكى عليه … وحمى أهله قريب الوصول

انما الحزن والتباكي عليكم … يا ضحايا القصور والتهميل

يا بغاة تعشقوا في الملاهي … يا سعاة الى أضر سبيل

يا سراعاً الى جهنم عدواً … وهي دار البلا وأدهى مقيل

يا نعاجاً تمتص جريال ذئب … هل عدو يسام سوم الخليل

ما سمعنا مدى الزمان بذئب … حاول الدهر سلب مال البخيل

غير أنا نرى ذئاب أو ربا … ما تراضوا من مالكم بقليل

تشترون الجنون منهم جهاراً … يا شراراً من فتية وكهول

يا جنود المجون والسكر مهلاً واستعدوا لهول يوم مهول
ما وراء المجون والسكر الا سكرة الموت والحساب الطويل
ما مقتنا أعمالكم لاعتراض وانتقاد فذاك شأن الرذيل
لا ولسنا نريد ردّ قضاء غير أن الرجا جواد الطفيلي
فابتغينا بما أتينا هداكم قبل سبق الحسام عذل العذول
حيث أهل النعيم بالحصر عدّوا قبل رفع السما وبسط الذلول
ورجال الجحيم ها هم تراهم يقرعون الأبواب قبل الدخول
يا مضيع الصلاة ضيعت فرضاً فضله اليوم ليس بالمجهول
موقف العز للعبيد اذا ما آنسوا الانس من نسيم القبول
ويح من قد أضاعها يا شقاه يوم تحظى لظى بكل كسول
زبك اليوم ان كرهت لقاه لا تراه يوم اللقا والمثول
وكفى الطرد للطريد عقابا فوق صدق الوعيد بالتنكيل
كل وقت مولى العباد ينادي صوت داعيه ياعبادي قفولي
موقف الذل والخشوع أنلكم من مجزيل العطاء خير منول
ثم في قبلة المصلي اطلبوني ليس الا يكون فيها حصولي
حيث نور الايمان يزداد نورا ان شهدتم مشاهد الترتيل
كل هذا وانت ياغرّ لاه في الملاهي ووحشة التعطيل
حسبك الطرد والجفا وستدري ساعة العرض كربة المسؤول
ثم تقضي جميع ما فات منها بعد خزي الوقوف في سجيل
يالثيما يأبي الكرامات دعها لذويها ذوي المقام الجليل

يا مريبا شهر الصيام بفطر ... لست اهلا لحرمة التبجيل
لست بالعدل والأمين إذا ما ... فاز يوم التناد كل العدول
ولك النار ياخؤون مقر ... ان مرعي الخنز يربين التلول
علة البطن قد اصابتك فاصبر ... فالتحامي أشفى لدي العليل
خذ الجوع والسهاد ضجيعاً ... مستديم الصيام كالمستقيل
واشغل الوقت بالمناجاة ترقي ... درج المجد يا كريم الأصول
يا أخا الغش في التجارات خلّ ... عنك فعل المصدع المهبول
قسم الرزق لاتجيء احتيالا ... خص كل بمقسم مكيول
طعمة الغش لا تواني أخاها ... يا عريض القفا بغير النحول
ثم يوم الحساب تكسوه خزيا ... أي خزي كخزي غاش رذيل
ياحليف الزنا ويامن تصابي ... في قوام زها وطرف كحيل
ان ثقل القيود في النار ضعب ... تدهش العقل رأية المغلول
فاتقيها وحرّها بمتاب ... اذ نجاة الزناة كالمستحيل
أى خصم يوم التخاصم ترضي ... وخصوم الزنا خصوم القتيل
وهم الزوج والولى ومن لم ... يسع البيت ذكرهم يا فضولي
فستنسي وقد شهدت الدواهي ... هزة الردف طوع خصر نحيل
وتود الفرار عنه ولكن ... ماخروج السجون مثل الدخول
جئت ماقد جنيت طوعاً غوياً ... في غلام وذات خد أسيل
فتجرع مرارة الصبر كرهاً ... لهوان العذاب بين الفحول
وهناك الحميم تسقاه مراً ... يا شديد الظما وشرأ كول

وتذوق الزقوم حتى تنادي ليتني ليتني أطعت عذولي
يا كذوبا وذا اغتياب وسب ولسان على الأذى مستطيل
سوف تحظى يوم التناد بظل ذي ثلاث من اللظى لا ظليل
شعب النار للكذوب اعدت جاء هذا في واجب الترتيل
يا رفاقا وما تحلوا برفق وصحابا لكنهم ما صفوا لى
ما سمعنا بمثلكم يا حيارى وأسارى الضلال في أي جيل
لا كفرتم كقوم هود ولوط كي تضافوا لأهل هذا القبيل
لا ولستم ممن أصابوا رشادا فاستقاموا على سواء السبيل
كلكم يدعي السداد ولكن ما أتى المدعي بأدنى دليل
هل ترون السداد في سب قوم أعقبوكم وراءهم كالفصيل
أرشدوكم طريق حق وصدق فشردتم شرود عير ضليل
واغتررتم بعلم ما علموكم أي علم للتابع المفصول
ان غصنا يبينه القطع يمسي في جفاف معرضا للذبول
والجدال الطويل والزيغ يردي حين تودي الأوحال بالموحول
أي علم لغير من علمونا موجبات التحريم والتحليل
أو كرام لنا أشادوا المباني كمباني الصبان وابن عقيل
والعلوم التي اضاءت بهاء أحرزتها مؤلفات الفحول
أصفياء بل اولياء عدول أمنوهم على هدى التنزيل
مارسوا الحق في السلوك ففازوا بمزايا القبول عند الوصول
ليست الخيل كلها بكرام شرف الخيل في كرام الاصول

نسب القوم في المعالي رفيع　　عن على الفخار عن جبريل
والمعافي من قوم هيّ ابن بيّ　　يرو موت القلوب عن عزريل
يا بن قسطنت ديننا هل عليكم　　من جناح ان اتبعتم سبيلي
هدى طه هو الطراز المحلي　　حلية الشهم والأديب الفضيل
من خشوع مع خشية ووقار　　وادّكار للطف رب جليل
واعتبار بالحادثات وذكر　　مع بكاء بجنح ليل طويل
وانتظار لصادعات المنايا　　وركون لداعيات الخمول
وأداء المفروض حساً ومعنى　　كي تراه مجملاً بالقبول
هي هذى شريعة الله فينا　　ما سمعنا بالنسخ والتبديل
والذي يدعي سبيلاً سواها　　فاق كفراً مبدل الانجيل
فذرونا نشيد للدين حصناً　　من آذى شركم أيا شرجيل
أغفلتنا غوغائكم يا ملاهي　　عن طريق الهدى وهدى الرسول
ما أصبنا من العدوّ بشرّ　　انما الشر في خداع الزميل
فاتركونا وشأننا فالرزايا　　ياذوي الزيغ في دخول الدخيل
دسّ سم الفسوق في النصح خلى　　دين قوم والوكموا في نحول
تعس الوقت وقتنا علموكم　　لغط القول والجدال الثقيل
وزمان اقام فيكم خطيباً　　هاجر الدين عاشق التأويل
أو فسيروا كسيرنا باتباع　　خلف قطب محقق موصول
واصل الرشد بالتتابع غنمن　　سلسلوه الى القدير الجليل
واستقاموا على طريق قويم　　مثل حدّ المهند المصقول

بينوها فظل يؤذي سناها ... كل أعشى وكل طرف كليل
سالكوها من الانام قليل ... لكن الخير في الخيار القليل
شيدوها علي أساس رباعي ... هو في السير مدرج التوصيل
مشهد الذكر ان عقلت وصمت ... ثم جوع وعزلة عن عذول
دأب قوم اذا النفوس تراخت ... أزعجوها بقولهم لا تميلي
أرسلوا الدمع في الدياجي حياء ... خشية العتب يوم طيش العقول
حبذاهم فما تراخت قواهم ... دون نيل المرام والمأمول
هم آثار واعلى النفوس حروبا ... ما انقضت إلا غداة الرحيل
قوموها على الهدى فاستقامت ... وتحلت بكل فعل جميل
هؤلاء النجوم من رام هديا ... فليتابع طريقهم للوصول
وسواهم من الأئمة ضال ... غير من تابعوا صحيح النقول
فاتبع نهجهم ويمم حماهم ... فهو منا هنا على بعد ميل
أو تبصر بعين قلبك تبصر ... إن تكن راغبا ظلال المقيل
صحح العزم يا أخا الحزم واصحب ... ان تكن صادقا وفاء الخليل
ثم ان ما عليك طال التنائي ... فادرع يا فتى بصبر جميل
وارسل الدمع في الدجا فعساهم ... أن يعود والدارسات الطلول
وتمسك بدين خير البرايا ... إنما الخير في اتباع الرسول
واقف اثر السراة واحذر ملالا ... حسرة الفوت في ملال الملول
واستمع لي ولا تطع من تغالى ... في ازدراء النقول بالمعقول
وادعى العلم والمعارف طيشا ... ثم غنا وقال هيا ارقصولي

ليس يغني يوم الموازين علم … عن عليم عن علمه مسؤل
ظن ان الغروض ان لم تؤدّى … لم تكن ضارة بحال الكسول
ما لهـذا من الحياة نصيب … غير همّ وشغل بال شغيل
أيظن الأله ولاه ملكاً … هـو فيه مفوض التوكيل
لا ورب الوجود ما كان الا … شر عبد حليف عجز ذليل
فاحذر النفس ان تقيم شريكا … من هو اهاكا لمشرك المخذول
فادّعاء التدبير شرك خفي … خاف عقبي رداه اهل العقول
وتقبل نصيحتي يابن ودي … وهلموا احبتي وانصتولي
نحن يا قومنا نخاف عليكم … هول يوم شـديد كرب ثقيل
مستطيل يا قومنا فاجيبوا … داعي الله قبل يوم الذهول
فهو يوم يشيب الطفل خوفاً … من أذاه ووعده المفعول
خففوا خففوا من الوزر ثقلاً … إنّ ظهر الجريم أوهى كليل
آل عصري أزال ربي عماكم … ما علمنا لحمقكم من مثيل
اذ سلكتم طريق غفل قلوب … حيرتهم مسارب التعطيل
جاذبوكم لمصرع الحتف حتى … مارجونا نطعنكم من قفول
أبصروا دينكم بعين احتقار … فقئت عينهم برمح طـويل
ثم أغروا به الكسالى فامسي … شرف الدين عرضة للجهول
ما تهنى بالدين الا عليّ … من علي شريف مجد جليل
لم تذده دنياه عنه لحرص … أو غرور بعقدها المحلول
فخذ الزهد إن تطعني رفيقاً … وارض منا تحتاجه بقليل

واذا الدين لم يسعك فدعه ... لذويه وقل لنفسك جولي
في مجال الجدال والزيغ حتى ... يغد قلبي طوع الغرور قتيلي
واقرئي الصحف في الجرائد حبا ... وانتقاصا على النصائح بولي
وانهضي بي الى التمدن عدوا ... وكما شئت في مزاياه قولي
فهو روض معطر بالغواني ... في رباه درسن كيد البعول
اذ تسارعن للزناة جهارا ... كل انثى وراءه عشر فحول
ونسيم الفسوق فيه تسامت ... ثم هبت هبوبه ريح الشمول
وانتشار العلوم ما زاد الا ... شر قذف البذي وحرص البخيل
يا خطيبا بما سمعناه يفري ... أهل هـذا الزمان للتضليل
شأنك الوعظ يا اخا الزيغ فازجر ... من تراه وراء ذات الحجول
وتحامل من الغواني على من ... عارضتنا بعرضها المبذول
واذكر الله في الشوارع جهرا ... واعلن الذكر مثل دقاق الطبول
ثم صلي على النبي وسلم ... وادع للدين كل عبد كسول
واترك الملك للملوك وناصح ... ان تكن قادرا بقول جميل
لا تضيق على العوام بقول ... لم يفدهم سوى الملال الثقيل
واترك الناس يعملوا بالنوايا ... هي والله ضامنات القبول
وذر الوقت للموقت يبدي ... فيه غيب المقدر المجهول
فانبعاث النفوس للفعل امر ... قد عبدناه من وراء العقول
لا تعارض ولا تعاند ودعها ... ان تطغى سماوية يا فضولي
رب رأس عند التناطح شجت ... فكن الذليل واستتر بالذيول

يا سميرى تبارك الله فاهنأ من رشادي بمجمل التفصيل
صم وصلي وزكّ مالك واذكر واتل ذكر الحكيم بالترتيل
والى البت بيت ربك هاجر لا الى ما اليه سعي الجهول
تنل الفوز في المعاد والا فتبوأ مقاعد التنكيل
إن من أرسل الرسول الينا نافذ الحكم يوم وزن الفتيل
فاتبعني ودع مقال طبيب ذى علاج يقد قاب العليل
وإلى ها هنا يجف يراعي حيث جادت مدامعي بهطيل
فهلموا أوادبروا لا أبالى شمس عصري تأهبت للأفول
وقريباً إلى القبور ترونا شيعتنا مراسم التحويل
يحمل البعض بعضنا للبلايا سأحال الجمال والمحمول
وجميعاً نفوت ما قد جمعنا واخترعنا لمبغض وخليل
بل عساه يكون أعدى عدوّ دون مرآه موجعات الصقيل
يملك الدار والعقار ويغدوا نافذ الامر مرتضي المفعول
هكذا كلنا نقيم قليلا يوم ميلادنا كيوم الرحيل
بين وضع وموتة حلب شاة كيفما كان عمر نوح الرسول
هاك فانظر هبوط آدم حوى تجد الأمس أمس ذاك النزول
والدهور التى تقضت كطيف زار جفنا للموعد المطول
فأعيروا الكلام يا قوم وعياً فالقصير المفيد كالمستطيل
صل ربي على الحبيب صلاة في ربا الفضل ما لها من مثيل
رب واقبل مقالتي ثم وانشر فوق حالى مجملات القبول

يا إله العباد يا خير معط   يعط ما لا يكون بالمأمول
أنت برّ وأنت ربّ عطوف   خير ربّ مؤمّل مسؤل
واعف عنمن عصاك يارب منا   أنت ذوا الفضل والعطاء الجزيل

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

ليس العجب من حيرة الدليل اذا ضل وحار * اذ الاحتجاب بالنور مع شدة الظهور دليل على سعة الحكمة وكمال الاقتدار * وقد يضر الضوء الشديد بصاحب النظر الضعيف * انما العجب منمن اهتدى كيف اهتدى * وكيف يكون العجب وقد قال تبارك وتعالى (ايحسب الانسان أن يترك سدا) يا دهشه يا حيره ياحرق لا يترأ * اذ الكون ظاهره مظاهر حيرة لاتوصف * وباطنه سر بطون لا يكشف * وما وراء ذلك الا حقيقة حق لا تكيف * عجز عن الوصول الى ادراك مصون سرها العارفون * وهلك في ظلمات ما اسدلته من حجب استارهـا الضالون * ففاز من اضاءت بين يديه مشكاة التعرف والارشاد * وشقي من غشيته سحابة التعمية بظلمات الطرد والابعاد * ذاك التجأ الى حصن قوله تعالى (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) وهـذا ارتكن الى ما ادهشه مما تمقه أيدي القدرة من طراز حليّ هذه المظاهر * (ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيّ عن بينة) والصواب الذي يرجع العاقل المتبصر اليه * ويعول السالك المرتجي النجاة في سلوكه عليه * أن الذي بذر البذر وولاه * هو الذي بعناية برّه وخفي لطفه سقاه ورباه * وهو يحرسه والى ابّان الحصاد يتولاه * ويفعل به ما يشاء ويريد * وكما تشقى وتسعد البهائم فكذلك العبيد * وانهم لمرمى سهام الحكمة والاقتدار * ولذلك

إنا أهديناه السبيل اما شاكراً واما كفورا) فمن تعقل ذلك هانت عليه صعاب الأمور ومن تأوله فهو الشقي الكفور فتعلم أيها الأبلم واياك ان تصبح ناسيًا . ليس العجب من المعتوه اذا ضل السبيل . وبعدت عليه الشقة فيما هو اقرب من الذراع والميل . لأن عجزه ربما قام عنه مقام الاعتذار . وان كان لا عذر لمن ضل والشمس في رابعة النهار .

انما العجب من زيغ الحاذق الزنديق . الذي تفرقت به الأهواء مع وضوح الأدلة واستقامة الطريق . (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لتتم نتيجة الابتلاء الذي ذكره الله تعالى في مثل قوله (ليبلوكم أيكم احسن عملا) وقوله لنبلو اخباركم وقوله (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه) الى غير قليل من الآيات التى تشير الي معني الابتلا الذي ما وقفنا له على حقيقة الا من طريق الفراسة الايمانية التي هي من نور الله فتحققنا أن معناه ابراز مغيبات الشؤون التي يترتب عليها الثواب والعقاب من خبايا الغيب الى مظاهر الوجود ليكون ذلك الاظهار سببًا لوقوف العاملين علي حقائق ما عليه استعداداتهم وقوابلهم لتكون لله الحجة البالغة في أنه ما ظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون اذ لو لم يوجد الله الانسان في النشأة الاولى وأخرجه من العدم الى مقرّه في النشأة الاخرى التى هي الحيوان لوقف اهل الزيغ والجدل في موقف المخاصمة يدّعون انهم لودعوا من قبل الله الى شيء لأطاعوا وانهم الى الخير اسبق منهم الى الشر فجعل الله هذه الدار دار ابتلاء ليوقفهم على حقايق ما هم عليه من الاستعدادات

والقوابل بما ابتلاهم به من ارسال الرسل بالأوامر والنواهي ليكون كل من الأحياء والأموات على بينة من ربهم ونريد بالاحياء الرسل واتباعهم وبالأموات المتخلفين عن متابعتهم وان كانوا من اهل البيان الذين قال الله فيهم (وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) فكانت ثمرة ذلك الابتلاء وصول العمال بما ظهر منهم من الاعمال الى معرفة مراتبهم الوجودية حيث لا مراء ولا جدال لقوة براهين الحجة البالغة من قبل الله تعالى قولا وعملا على أهل الدعوى الذين هم اعداء المستسلمين المستضعفين الذين لا يرون لانفسهم مع الله اختياراً ولا تدبيرا وهنالك تنقطع بين اهل الدعوى وبين ربهم اسباب المعذرة وكذلك يقول لهم الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا) لانهم اتخذوه وليا (وأن الكافرين لامولى لهم) لانهم احبوا تقديم مرادهم على مراد الله لتحكم سلطان الدعوى والغرور على افئدتهم موافقة لقوابلهم واستعداداتهم (والله لايهدي القوم الظالمين) ليس العجب من مسيحي تعسف اقتحام لجج بحر الشريعة المحمدية فعاقته عواصف الأغراض الهوائية فارتد ظمآنا * انما العجب من مسلم ادعي السباحة فالتقمه حوت الشبه فلبث في الظلمات الى ان قذف به موج الغيرة الالهية وقد تبدل شيطانا * اذ العبرة في انتساب الصور الى حقائق الأجناس ماهي الا باعتبار ماتركن اليه الأخلاق * وبالأعمال تحال العمال الي حقائق المراتب الوجودية عند الحكيم الخلاق * فما كل آدمي تشمله حقيقة الانسانية * وما كل ناطق بالحكمة ينال مقام المرتبة الكمالية * انما العبرة بصلاح النوايا وسلامة القلوب *

وما كل متمشدق مطلوب ولا كل متملق محبوب * والعالم ان فاته الادب مع مولاه فلا تركن اليه * وكل امام لم يتحقق بأحوال النبيين فلا تعول في الاسترشاد الى طريق الهداية عليه * اذ هم شياطين الانس كما أخبر بذلك منزل الكتاب * والعاقل لاتزحزحه الأغراض الهوائية عن الطاعة فيما يشير اليه رب الارباب * ليس العجب ممن تشاغل بدنياه اذا لم يذق حلاوة الايمان * اذ القلب لاينقاد الا لما مالك قياده وأمسك منه العنان * انما العجب ممن يدعي معرفة ربه وما تحقق الا بفساد اليقين * فترى دعواه دعوى الصالحين * وحاله حال المطرودين * هذا هو الذي أشار اليه الحق تبارك وتعالى بقوله (ومنهم من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام) وتحسبهم أيقاظا لطلاقة ألسنتهم بما لاذوق لهم فيه * وهم رقود في غفلات قلوبهم وتعاطيهم مانهى الله عن تعاطيه * ونقلبهم ذات اليمين ليصلوا الى شاطئ بحر الهداية والعرفان * وذات الشمال ليرتد مدعيهم وهو خاسر وظمآن * وكلبهم باسط ذراعي الحرص والطمع في كهف الشبه المظلمة مكابرة واصراراً * لو اطلعت على ماأصاب قلوبهم من المسخ المعنوي لوليت منهم فراراً * ولو كوشفت بما تصنع بهم الأقدار مع التمادي والاغترار لملأت منهم رعبا * ماقصدنا أيات الله ولا تفسيرها بل هي اعتبارات اشارات * وأوصاف أحياء ولكنهم عدوا مع الأموات * ليس العجب ممن تمنطق بالمشدقة وتمشدق بالزندقة ليضل المتعطشين لموارد الهداية * اذ هم اخوان الشياطين وماكان استعداد الشيطان الا للاضلال والغواية * انما العجب من سكوت القادرين على ارشاد حيارى المسترشدين * مع

التهاون والاغماض بما وعنما تظاهر به سفهاء المتلاعبين بالدين * احجاماً عن مقاطعاتهم *وطمعاً فيما توهموه من مبرات مواصلاتهم* غافلين عنما تضمنته الاشارة في قوله تبارك وتعالى (يأيها الذين أمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة) وقد سبق بيان العداوة التي بين الله وعباده وعرفنا ان اعداء الله هم الذين يخالفون مناهج الرسالة اتباعاً لأهوائهم بعد ماعلموا ان الله نهى عن متابعه الهوى وليس الهوى الا العقل الذي يركن الى ما يحسنه له التصور ازدراءً لما تأسست عليه القواعد الدينية ومن تأمل فيما اوضحناه سابقاً في هذا الموضوع وتلقاه بالقبول بلغ درجة التمييز الروحاني

﴿ ياهذا ﴾

لاتتوهم ان الذئاب يصدها نباح الكلاب اذا اظلم الليل عن ادراك مطالبها في افنية القرى * بل لاتخاف الا مايعقب النباح * من ضجيج وصياح * فان نباحها اشبه بالسعاية عند رجال الحرس * فهكذا حال الأتقياء المرشدين * مع السفها الاشقياء المذبذبين *استعانوا عليهم بموالاة ولاة الامور فضعفت هممهم وخمدت اصواتهم اذ لا قدرة لهم على رفع اعلام الدين. ولا ردّ المرتد من سفهاء رعاع المسلمين. وللاوقات شؤون وأحكام. وليست الصولة في كل زمن الا لمن تقرب الى الحكام (يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) ليس العجب من الجاهل الذي يدعي التوكل والتفويض الى ربه اذا اكذبه الجزع عند المصائب. لأن الذي لم يتدرب على مكافحات الحروب تزحزحه مؤلمات الملمات عن ادراك المآرب. ولكن العجب من عالم هجر التوكل وهجا المتوكلين. وغره الافتتان والغرور. فسخر من أهل

التفويض المستسلمين . لزعمه أن التوكل والتفويض هما حلبة المتسابقين في ميدان الكسل. وحلية المتظاهرين بالتفريط والفتور عند المطالبة بالجد في العمل. وما ذاك الا لجهله بما هو التوكل والاعتماد . وفقد التمييز بين جهلاء العباد وفضلاء العباد . وسيأتي بيان هذا الموضوع بما يفتح به الفتاح . لترشد من استرشد الى طريق النجاح والفلاح . والله يقول الحق ويهدي السبيل

ليس العجب ممن لم يتفقه في دينه اذا تعرض للكلام فيما لا يعنيه . انما العجب ممن يزعم انه قرين المشرع وقد عاب القوم بما هو غارق فيه . (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم) زعموا ان ابن سينا عاب المفسرين في مواضع من القرآن ظاناً انهم اخطئوا الصواب على زعمه وسيأتي الكلام على ذلك وله المعذرة اذ الغريب اعمى وان كان بصيراً * ليس العجب ممن زنا او سرق كيف زنا وسرق. لأن دناءة النفوس من ثمرات الشره ودواعي الشبق . وهما من ضروريات الحيوان . سيما ان كان كابا في صورة انسان . بل العجب ممن تنزه عن الرذائل فاصبح طهوراً . واسلم وجهه للذي فطر السموات والأرض وصار عبداً شكوراً . لأن رذائل البشرية تنموا مع نمو الانسان الا من اكتنفته العناية . واسترشد سبيل الكمالات بانوار التوفيق والهداية . وأشنع رذيلة في الانسان حدة لسانه لأن كثرة عثراته وهفواته في فصاحة مقاله ووضاحة تبيانه. سيما اذا اخذ بمخنقه الى الافتتان الغرور. وغره بتسليم ما يدعيه من اللكناء والجهلة الجمهور* هؤلاء هم المشار اليهم بقوله تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين) اذ لا كيد أنكى من حال مريض لا يحس بألمه .

وعاثر لم يشعر بزلة قدمه . والمسلم من سلمت الناس من يده ولسانه . والخاسر من يداري لقوة قلبه وضعف ايمانه . ليس العجب من طغيان لئام أشرار . اذ الاحراق من خصوصيات الجمرات المستخرجات من النار . انما العجب من سفيه يدعى أنه من خيار المؤمنين . وهذا وصف ما صح الا لمن صفا من كدورات الماء والطين . وكل الدعاوي تبطل لفقدان الادلة . والكاذب على ربه مذموم في كل مله . ليس العجب ممن خف عند الله ميزانه . واستخفه قومه واستهواه شيطانه * لأن ذلك من نتائج المجون والمزاح . وبعيد ما بين حلفاء الخزي وأهل الفوز والفلاح . فان خلاع الأعنة لا يصلح لمجالسة الملوك * ولا يتحلى بخلعة المجون الا كل رذيل وصعلوك . لذلك خاف القوم عواقب عثرات اللسان . وتجنبوا الموارد التي ربما وقف على حياضها الشيطان . لكن العجب ممن خاف مقام ربه فتستر بملابس السكينة والوقار . وتحامي عن موبقات الملاهي فتزحزح بالتقوى عن النار . (كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا من ادبر وتولى وجمع فاوعى) ليس العجب من مغرور زاحم مولاه في شؤن التخير والتدبير . لأن المسابقة مع الهزال والضعف من عادلت الحمير . انما العجب من قوي جنان قذف بنفسه في لجج الاقدار . وتلقى ببشاشة الرضا والتسليم حوادث الليل والنهار لشدة يقينه أن واضع الاسباب التى هي بمنزلة النواب ما وضعها الا مرتبة محكمه . ولا شأن للنائب الا تنفيذ الأحكام التي قضاها وأمضاها قاضي الحكمه . (كذلك يضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) ليس العجب ممن استل سيف عتوه أن رآه استغنى مع شدة الاحتياج . لأن هذا ديدن من أركبه الشيطان جموح الغواية في ميدان المكر الالهي والاستدراج . وتلك

مسابقة لانهاية لها الا انفضاض الأجل . او قوة جذبات عناية ترد الهائم الى اصلاح النية بعوارض الوجل . انما العجب من همام تفقد مصادر النعم فعرف مولاها وموليها . وسمع بأذني قلبه اعترافها بالواحدية والأحدية لموجدها ومنشيها . فتلقاها بخجلة الحياء والأدب . وقنع بالميسور الذي وافاه من مولاه من غير ما طلب . ثم جعل الصبر والشكر نصب عينيه . لعلمه ان اليد التي ملأت جيبه قادرة على سلب ما بين يديه . اولئك الذين صبروا واولئك هم المفلحون . لأن صبر الغني على مصاحبة النعم باخلاص الخدمة وكمال الانقياد . أكرم على الله من صبر المعدم او المصاب الذي أعانه على تحمل ما أصيب به علو الهمة أو الاعتياد . ولهذا قيل الغني الشاكر خير من الفقير الصابر وما شكر الغني . الا صبره على الطاعة وعن المعصية وعن الشهوات الموجبات للنقص او البعد عن الله ولا يتم ذلك الا لمن تنور بالأسرار وتجمل بالانوار * وأعانه على ذلك مقلب القلوب والابصار * القائل (وقليل من عبادي الشكور) فتعسا لمن كلما تقلب في النعم انقلب على عقبيه . وسحقا لفقير لم يتجمل بما انزل من أنوار الرشاد والهداية اليه . اذ النعم الباطنة لا تعادل ولا تقاوم ولا يخالطها المكر ولا الاستدراج . وأما الظاهرة فلولا العناية والحفظ لكانت كمهلكات الأمواج . واعني بالنعم الباطنة المعارج التي سألها سيدي على وفا بقوله أسيلك العروج في معارج المقامات القدوسية الموصلة الى حضرة الالوهية بأنوار الكمالات الذاتية المؤيدة منك بتأييد العناية الأزلية المذهبة لكل العنا والمبلغة غاية المنى منا لايحصل بكسب ولا توجه ولا استعداد وانما يحصل من فيض المواجهة بالاحسان والامتنان ورأفة العطف والحنان ياحنان

يا منان يا رؤف يا عطوف يا رحمن الى آخر ما طلب اللهم انلنا ما أنلتهم وارزقنا مما رزقتهم يامن لا تلحقه خشية الأملاق ولا تنقص خزائن جوده كثرة الانفاق . انك على كل شيء قدير * ليس العجب من كثرة الضحك والقهقهة في افواه أهل المجون والمزاح . لأن اسراء الشهوات تهش افئدتهم الى طلاقة العبثياب للتنفس والاسترواح . اذ لا سجن أضيق من سجن الذنوب والمخالفات ولكن لا يشعر به من لم يستيقظ من رقدات الغفلات وسهوات الشهوات * انما العجب من جرئة العالم الذي لم يعلم مآل حاله كيف يكون . ويتلهى عن قوله تعالى (وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) ليس العجب من شاب شبت في فؤاده نيران الهوى فاضرمها براوح الشهوات * اذ الذي ملكه الطيش ولم تهذبه الحوادث لا صحوة لسكرته الا بطوارق طارق العاهات . والشباب شعبة من الجنون (وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون) انما العجب من الفتى الذي تقوى على نفسه فحجرها عما من المحظور تشتهيه . وهجر الملاهي واهلها وما اشتغل الا بما من الاشياء يعنيه * اقبل على آخرته بقلبه وقالبه مستعيناً بربه . وعمل لدنياه كما أمر بعد استخراج حبها من قلبه * هذا هو الشاب الذي لا صبوة له . تعجب منه مولاه الذي خلقه فعدله . وهكذا تكون الفتيان . ومن لم يكن كذلك فهو شيطان في صورة انسان (ذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) ليس العجب من شاب لم يتفقه في دينه لاختلاطه بأهل الزيغ أو الفساق من الأشرار . انما العجب من وليه كيف أهمله حتى كأنه احكم وثاقه والقاه في النار . وأما من زجره الزاجرون ولم تزحزحه عن مهلكاته العناية الصمدانية . فذلك هو الذي

حكمت عليه سابقة شقوته الأبدية . (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) ليس العجب من مظنة قبول اعمال العوام وان لم توافق معالم التعليم ومرسوم الادب. لأنه كما تتنوع مزايا العطايا لا بد ان تختلف انواع القرب ووجوه الطلب . وشآبيب الاحسان تطعم كل زارع ثمرة ما زرع . وابواب الرحمة لا تغلق في وجه القارع كيفما قرع . لأنها واسعة المجال فسيحة الرحاب . وهل لضعفاء العبيد الا مراحم رب الأرباب . انما العجب من ذبذبة العبد الذي جره اللؤم الى الجرأة على مولاه. فقام بينه وبين عبيده يقبح ما استحسنه منهم وارتضاه* فما اسقع ذلك الوجه والقفا .وما اجمل ما تجمل به أرباب الصفاء واهل الافا . قبل النبي صلى الله عليه وسلم ايمان الامة السوداء اذ سألها عن ربها فأشارت الى السما ذلك لما تخلق به من مكارم الاخلاق . وشدة يقينه بسعه رحمة الكريم الخلاق (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) ليس العجب من افتتان الشبان بما اشغلهم من الشواغل المهلكة في هذا الزمن * سيما وقد حكمت عليهم قوابل استعداداتهم أن لا يوجدوا الا في اعصار الفتن والمحن . انما العجب من قراء الجرائد وقد اكثرت لهم الايام حوادث التذكار .وسطرت لهم في صفحات الدهر سطور التبصرة والأعتبار . وهم في غيابة غفلتهم ساهون. وفي سكرة طغيانهم يعمهون (قال نوح رب اني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي الا فراراً واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً) وهؤلاء اشد ضلالاً وعتواً من قوم نوح لأنهم وقفوا على كل ما كان من أمر الرسل واممهم وما منهم الا

ويزعم انه اعلم العلما بالله وقوم نوح ما بلغوا هذه الدرجة فأي الفريقين احق بالأ من ان كنتم تعلمون قال الله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) وقا تعالى (وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً) فليتحفظ من لا صبر له على النار من غائلة الأمن من مكر الله فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والنار اشد نكالا من الطوفان وما هي من الظالمين ببعيد. انما مثل الناس في زهرة حياتهم كمثل عامل ولي منصباً فأخذ يأمر وينهي ويجور ويظلم مغروراً بمنصبه حتى صار الكل اعدائه حيث لم يخطر بباله فوات ذلك المنصب ففاجأه العزل على حين غفلة فما وجد باراً ولا رحيما وندم حيث لا ينفع الندم ورجع على نفسه باللوم وقد زلت به القدم هكذا حال من لم يتعظ بحوادث الدهور. اذ لا تفترس الشياطين الا كل مفتون ومغرور. والهائم في أودية الملاهي لا يوقفه الا العثرات المفجعه. ولا يفيق السكران الا بأليم الضربات الموجعه. ليس العجب ممن لا يقتني المسبحة الا ليعبث بها حول سبابته يمينا وشمالا. لأن نياشين المتقين لا تزيد الغاوين الا سفاهة وضلالاً. انما العجب ممن لازمها حتى توصل بها الى مقصوده. من حيث هي مطية العبد العاجز الى خالقه ومعبوده. اذ اللسان مازال رهين اشارات الفوآد. ولا يغفل عن ذكر الله الا الاشرار من العباد. (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات اعد لهم مغفرة وأجرا عظيما) ليس العجب من قسوة اهل الزيغ والارتياب اذ الشيء من معدنه لا يكون محلا للاستغراب. (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم فأصمهم وأعمى ابصارهم انما العجب من انكار المحروم على الزائق حلاوة ماذاق.

وشأن غليظ القلب المبادرة باللوم على حلفاء الاشواق .

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى　　فقم واعتلف تبناً فأنت حمار

ذكر بغير شهود وحضور . خير من طلاقة اللسان في غير العمل المبرور . والذكر اذا صادف أنوار المشاهدة . ليس ورائه منقبة ولا محمدة ، ورحم الله القائل

هات لي ذكر من أحب وخلي　　كل من في الوجود يرمي بسهمه

لا ابالي وان أصاب فؤادي　　انه لا يضر شيء مع اسمه

ليس العجب من لوم غبي يجحد فضائل أفاضل العلماء من القرون الماضيه اذ الجبان أقرب ما يكون الى انكار مزايا الشجعان من ذوي الهمم العاليه . لكن العجب من كريم تدعوه فضيلته الى الإعتراف لهم بمزايا السبق ومحاسن المنن . اذ لولاهم لما وصل نبأ الدين الى أهل هذا الزمن . اجهدوا نفوسهم على قدر الطاقة في تأسيس قواعد الدين . جزاهم الله عنا أحسن الجزاء والله لا يضيع أجر العاملين . ليس العجب من الانحراف عن السنة وترك الجمعة والجماعة . لأن ذلك وغيره مما تشاهده من الاشراط الدالة على قرب قيام الساعة . لكن العجب من سعة الحلم وتمادي الرحمة والامهال . مع انتشار الفساد واعتناق الافراط في التفريط والإهمال

كل شيء له وان دام ختم　　وختام الغرور باب السعير

﴿ يا هذا ﴾

ان أفظع كلام تلفظ به المتكلمون في مقام الجدل والاعتراض قول القائل

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له　　اياك اياك أن تبتل بالماء

فما اجرأ هذا العبد على الاعتراض على مرتبة الالوهية بما لا وجهة له فيه

الا من طريق السماجة وغلظة القلب وغرور الافتتان الذي به تزاحم نفوس اهل الدعوى ربها في حقوقه التي انفرد بها من حين لم يكن الانسان شيأ مذكورا وتلك النفوس هى التي علمنا الحق تبارك وتعالى في سورة الفاتحة أن نسأله ان لانسلك سبيل أربابها بقوله غير المغضوب عليهم وهم الذين توفرت في استعداداتهم وقوابلهم الموانع التي سبق ذكرها لأن من عبد الهاً لا برهان له به كالصنم او الشمس او غير ذلك مما يعبد من دون الله على وجه التقليد يعد من الضالين وربما قبل الارشاد اذا وجد مرشدا واما من اتخذ الهه هواه وتمكنت منه الدعوى غروراً وطيشاً فزاحم ربه فى شؤون التدبير والاختيار فذلك من المغضوب عليهم حيث لاشعور له بطرده وحرمانه وهذا هو الاحمق الذي لا يدري انه أحمق وما لاتخاذ الهوى الهاً معنى الا أن يتصور الانسان أنه مطلق التصرف مستقل الارادة محكم الاختيار بميم مضمومة وكاف مشددة مفتوحة وذلك وصف لم يصح لأحد من المخلوقات العلوية ولا السفلية ولم يدعيه مخلوق سوى الانسان الجهول لأنه أمر لايتم الا لمن لم يكن فوقه ولى مطلق التصرف أو مدبر حكيم رتب نظام اعمال كل عامل على أسباب لمسببات يتحتم وقوعها منه على وفق ماقتضاه ذلك النظام من التخصيص بالزمان والمكان والهيأة وان لم يكن ذلك العامل راضياً ومن ذا الذي من سائر المخلوقات تمكن أو يتمكن من ايجاد أى عمل حقيراً كان او جليلاً خارجاً عن دائرة هذا النظام المحكم الانقان والابداع بارادة هذا المدبر الحكيم أظن ذلك ما كان ولا يكون أبدا لأنه لو صح وقوع ذلك لكان قادحاً في مرتبة الالوهية كما سيأتي بيانه فقول هذا القائل ألقاه في اليم مكتوفاً الى آخر ما قال

ماهو الا من الغلط في العلم اذ لا يصدق وصف المكتوف الا على من كانت له سابقة اطلاق ثم تقيد وليس هكذا حال الانسان بل وجميع الموجودات لأنه من المعلوم أن هذا الوجود الصوري صير مراتب الموجودات اثنتين ليس الا الواحدة رتبة الوجود المطلق التي لا تتقيد بزمان ولا مكان ولا مخصص لها ولا تمر عليها الدهور ولا الأعوام بل هي التي أوجدت الزمان والمكان وما حوى كل زمان ومكان وكل ما يكون وما قد كان وما استحق هذه الرتبة الا الواجب الوجود بذاته التي لها الوجود الحق الذي لا يقابله عدم ولا يماثله وجود والثانية رتبة الوجود المقيد وهي دائرة الوجود الصوري التي وسعت جميع الممكنات الكونية على اختلاف مظاهرها انواعاً وافراداً وما يتعلق بها من الشؤون الحسية والمعنوية واعني بالحسية كلما اشتمل عليه وصف الشهادة وبالمعنوية الأسرار الغيبية المتعلقة بالموجودات من حيث هي داخلة في دائرة الامكان وهذه المرتبة تشمل كل موجود لا وجود له الا بغيره وهي التي جاء في مقابلتها العدم وما هو الا امر وهمي لا وجود له الا في الذهن من طريق الاعتبارات الخيالية الوهمية وما أثبته في الوهم الا وجود المرتبة التي جاءت فى مقابلته لان كل موجود من اهل هذه المرتبة يصدق عليه وصف موجود من وجه ووصف معدوم من وجه آخر والكلام في ذلك يقصر عن ادراك حقيقته الناطق والسامع الآن وما وجد العارفون طريقاً لتوصيل بعض ذوقياته للأفهام الا تمثيل وجود الممكن بوجود الصورة التي يراها الرائي في المرآة عند التقابل لأنها يجوز أن يطلق عليها وصف الوجود لثبوت وجودها في رأيا العين ويطلق عليها وصف العدم لأنها لا وجود لها بنفسها اذ وجودها مقيد بوجود

من اذا شاء أوجدها وهو الذي يمسك عليها وصف الوجود ولأنها في جميع الشؤون ما خرجت عن مرتبة التقييد فلا يتصور أن يتحرك المقابل للمرآة يميناً وتتحرك الصورة شمالاً أو أن يثبت لها وجود بغير وجوده هكذا هو حال الممكنات مع موجدها الذي لا وجود لها الا بوجوده وكما انه لا يقال أن الصورة عين المقابل للمرآة لأنها ما شابهته الا في رأيا العين من طريق التصور الخيالي كما يتصور المغرور أن له قدرة اكتسبها من القادر وارادة اكتسبها من المريد الى غير ذلك مما يقوهمه المتوهمون من اهل الزيغ ولا انها غير المقابل لها لأنها كلا شيء اذ لو تلمسها متلمس لما وجدها كذلك حال من لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فاذا قلت أن الموجودات عين موجدها لا يمكنك اثبات ذلك بوجه من الوجوه وان قلت انها غيره كذلك وان قلت لا عينه ولا غيره كذلك ولكنك تشم رائحة الصدق في اى حال ادعيته من هذه الأحوال الثلاث وما لعدم التمكن من الاثبات مع وجود الصدق من سبب الا التعمية الحاصلة باحتجاب الخالق عن خلقه في سرادقات عزته اذ ليس الشأن الا الحيرة التي سبحت في لججها الأفكار وضلت في مساربها العقول الغير المعقولة بالعقال الشرعي لأنها أي الحيرة أقوى أساس وضعته الحكمة الالهية لتقويم قوائم النظام الا بداعي في النشأة الاولى اذ لولا الحيرة لما وقع الخلاف الذي هو السبب الأقوى لوصول سهام مقدرات الفضل والعدل . الى مراميها سيما اختلاف العقائد الذي هو ميدان السبق للبواعث الغيبية التي هى آخذة بنواصي السائرين من طريق التسخير والتيسير لتوصيل كل من السعداء والأشقياء الى منازلهم التي استدعتها سوابق استعداداتهم كما سبق تقريره قبل فسبحان من حيرت

حكمته الألباب وقهرت قدرته النفوس وتبارك وتعالى الاله الذي لا يعلم حيث هو الا هو ولا هو الا هو وهو على كل شيء قدير اذاً فمن تحقق أن مراتب الوجود اثنتان لا ثالثة لهما يعلم علم اليقين إن الأمر قد دار بين اله ومألوه ورب ومربوب .

ولا اله الا واجب الوجود بذاته الذي انفرد بالتصرف المطلق ارادة وقدرة واختياراً وتدبيرا (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) والمألوه بضد ذلك اعني مسلوب الارادة عار عن المشيئة عاجز عن الحول والقوة وهذه هي حقوق مرتبته والرب هو المعطي الوهاب الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى والمربوب هو السائل بحاله في كل حال وان لم يسأل بمقاله كسؤال الجنين في بطن امه او النطف في أصلاب الرجال وأرحام الامهات فانها بحالها تسئل موجدها أن يبرزها بالنقل من طور الى آخر ورحمته تتولاها بخفي لطفه وتدبيره ولو تفطن المغرور لذلك لعلم أنه في جميع أطواره كذلك لا يمكنه الخروج عن حدود رتبته ثم ان الاله له الغنا المطلق الذي لا يتطرق اليه الاحتياج بحال من الأحوال ولو احتاج الى شيء في شأن من الشؤون لكان مألوهاً لما احتاج اليه ولما صح ان يكون الهاً والمألوه لا يستغني عن الهه طرفة عين ولا أقل من ذلك ولو صح له الاستغنى فى حال من الأحوال لما كان مألوهاً او كان الهاً في وقت ومألوهاً في وقت آخر وذلك محال لأنه لو ثبت انه يمكنه القيام بنفسه برهة من الزمن لجاز عليه استغراق كل زمن قائماً بنفسه ولكان متصفاً بأنه موجود بذاته خارج عن دائرة التقييد التى هى رتبة الممكن وهذا من المستحيلات العقلية والشرعية لأن من لم يكن واجب الوجود بذاته يستحيل بقاء الوجود

عليه بنفسه بقدر نفس المتنفس والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) ومن فهم ذلك توصل الى معرفة معنى قوله تعالى) لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) لأنها ما قامت الا بقيوميته التي سرى سرها في جميع الكائنات لطفاً وتدبيراً وايجاداً وتقديراً وذلك السر هو المعبر عنه بلسان اهل السنة عند ذكر القدرة بالتعلق الصلوحي القديم والتنجيزى الحادث الى آخر ما فصلوه توصيلاً لأفهام العامة ما به يكون حفظ عقائدهم من فساد أهل الزيغ نفعنا الله بهم وجزاهم الله عن الأمة خيرا واما أئمة الطريق فقد وصلوا بأنوار قائدهم ومهديهم الى ما لا تسعه دائرة افهام المحجوبين فأشار الى ذلك السر بعضهم في مناجاته بقوله مخاطباً لربه احاطت اسمائك بكل حقائق الوجود من جواهر واعراض واحوال وعقول وارواح ووسائط ومركبات وبسائط ودقائق وحقائق ورقائق لها وصف قبول رابطة عالم الأمر بعالم الخلق المدرك حقيقة تجلي الوجوب فى مظاهر الإمكان بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فعبروا عن ذلك السر بالتجلى ولكل وجهه هو موليها حيث يناديهم منادي الحق فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً فاجتمعوا في مشارب عقائدهم على وتيرة واحدة وهي انهم تحققوا ان كل ذرة فى الوجود محسوسة كانت او معقولة لا وجود لها الا من طريق الترجيح والتخصيص الألهي ولا بقاء لباقية في الموجودات من زمن الى آخر الا بامداد موجدها ومخصصها وان الله سبحانه وتعالى هو القائم بشؤن كل موجود لا يتحرك متحرك الا به ولا يسكن ساكن الا كذلك وما سمعنا بقائل باستقلال الانسان بنفسه طرفة عين الا ممن حجبتهم موانع البعد الذي به يرى الانسان نفسه

وحيداً على عرش دعواه في بيت وجوده الذي هو أوهن البيوت لولا قيام غيره بحفظه عليه واما أهل الذوق والاحساس الذين احسوا بصحبة الحق لهم فقد غابوا عن نفوسهم برأية من هو اولى بهم منهم ولقد اشار الى هذا العارف صاحب المناجات التى سبق ذكرها بقوله بعد كلام ينعش الارواح ويدهش الألباب الهنا سبحانك في سابق علمك القديم تعينت ذرّات العوالم وبارادتك خصصتها وبقدرتك ابرزتها وبامداداتك امددتها ولولا ذلك تلاشت ولا دام لها الوجود ولا عاشت تجلى فيض افضالك مدهش واسباغ هطال نوء نوالك منعش سعد من واجهه فضلك يا كريم ورحمته برحمتك يارحيم هؤلاء هم القوم الذين كاشفهم الله بكنوز اسراره واسرح في افنية قلوبهم مصابيح انواره تعرف اليهم فبه عرفوه واصطفاهم لخدمته فعبدوه ووحدوه واشغل من سواهم بمظاهر نعمه والكل راتعون في بحبوحة كرمه ولكن شتان بين ظرفاء الذوق والأدب وبين المتمردين من اجلاف العرب فمن احب تصحيح عقيدته فاليقصد ما قصدوا واليرد بمتابعتهم الموارد التى وردوا هذا وقد ثبت ان أصحاب النظر ما اثبتوا للمسترشدين الألوهية لأحدى الذات ولا اسسوا علم التوحيد الا على هذا الأساس المتين الا وهو افتقار ممكن الوجود المتصف بالحدوث لواجب الوجود المتصف بالقدم ولم يقل قائل منهم بتحديد زمن الافتقار بوقت من الاوقات ولا خصصوا ذلك بحال من الأحوال بل اجمعوا إجماعاً متفقاً عليه من جميع العقلاء أقوياء الايمان واليقين على ان الممكن كائناً ما كان لا يمكنه الانفكاك عن العجز والذل والافتقار الى موجده برهة من الزمن وقالوا ان هذه الأوصاف بينها وبين كل ممكن ارتباط وتلازم كملازمة

البياض او السواد مثلاً للأبيض او الأسود بل كملازمة الروح للجسد وانها لا تفارق الممكن قبل الوجود ولا بعده في حال من احواله وأعني بالوجود هنا النشأة الاولى وبما بعده البرزخ والنشأة الثانية واذا كان الانسان من الممكنات فكذلك جميع شؤونه التي تطرأ عليه ما هي الا مثله في الافتقار الى المرجح والمخصص الذي هو مفتقر اليه ولو قلنا انه هو المرجح لها والمخصص لوجودها والموجد لها لكان الها لها وكانت مألوهة له ومتى كان قادرا مختارا مريدا تكون اعماله كلها متساوية الرتبة في نسبتها اليه اذ لافرق بين ضرب زيد زوجته وبين نكاحه لها لتلد له ولدا فاذا كان الولد من عمله فيكون هو المولده لأنه لا يأتي بعمل من الأعمال الا لباعث يبعثه عليه فان قلنا ان الباعث هو اختيار زيد وارادته المقهوران له فقد صحت له مرتبة الألوهية على ولده وإن قلنا ان الباعث غيبي وزيد مقهور له كان مفقود الاختيار والارادة والأول ممنوع لأنه مثبت للشرك الذي لا يتحمله الذوق السليم في جانب الألوهية ثم لو اصبنا بعقولنا كما اصيب المفتونون وقلنا ان النكاح هو من الأعمال التي يتسلط عليها اختيار العاملين بالقدرة والارادة الموهوبان لهم وأما تكوين النطفة علقة فذلك امر خاص بالقدرة التي فوق قدرة العاملين لقال القائل هل تعلق القدرة بذلك التكوين يكون من طريق الصدفة بعد ما وجدت النطفة او طوع ارادة علية سابقة لذلك التعلق ذات تخصيص وترجيح وهل كان للعلم الالهي والقدرة تعلق بتلك النطفة في اطوارها السابقة التي كانت تتقلب فيها قبل نزولها في الرحم ام لا فان قلنا لا قال ذلك القائل هذا هو الحديث الذي صدق عليه قول القائل حديث خرافة ياأم عمر وما هو الا مذهب الطبيعيين

الذين سبقوا الكفار الى جهنم وان قلنا ان قدرة العمال تصطحب مع القدرة العلية والارادة السنية في نقل تلك النطفة من طور الى طور لقال انها لتخرج من صلب زيد مثلا خروجا قهريا حيث لاقدرة له على أن يجمعها من جميع اجزائه وانها ما اجتمعت فيه الا من المواد المتفرقة حيث لا شعور له بها كيف اجتمعت ولو سلمنا اصطحاب القدرتين لثبتت الشركة بل ربما كانت الاغلبية لزيد لانه هو المباشر للعمل في رأيا العين فتكونون قد جعلتم الولد الهين وهذا هو الأمر الذي ما جاءت الشرائع الا لنفيه واثبات استحالته ومن فهم هذا كله لايجد خلاصاً من ورطات الشرك الظاهر والخفي الا متابعة المخلصين الذين أثبتوا بالبراهين القاطعة أن الخالق لأعمال الممكنات كلها هو الله تعالى وأنه مع ماهو متصف به من قرب رحمته من المحسنين وشدة انتقامه وقهره للظالمين ليس بظلام للعبيد لأن حكم الاستعدادات السابقة لايتأتى تبديله وليس في الامكان تحويله اذ تخصيص المراتب الوجودية ماصدر الاعن حكمة علية تقدست عن القصور والتقصير ولو تأمل البصير في شؤون الخلائق وأعمالهم الموافقة لأخلاقهم التي هي مظاهر الاستعدادات والقوابل لتحقق أن الأمر محكم الاتقان والابداع ولو اطلع على نوايا العمال وخبايا أسرارهم لتبين أهل الجنة وأهل النار واختار لكل نازل منزله ولكن الله تبارك وتعالى ستر المغيبات عن أهل الحجاب حتى لايكون العامل مجبوراً على عمله القبيح الذي علم بسوء ماله حتى يأتي بما هو المراد به أومنه عن رغبة قوية وميل شديد ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لايؤاخذ المكره الذي يكره على العمل الذي لم يوافق استعداده وما أتى به الا عن كره فقال عز من قائل (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ولقد

سبق الكلام على هذا الشأن في أول الكتاب فلا حاجة للتطويل مع ظهور الحق لكل ذي نور فان قال ذلك المتجاري على ربه اذا كان الله هو الخالق للأعمال في عمالها والباعث عليها باءرادته والآخذ بناصية كل مخلوق الى مايراد منه فما حكمة الشرائع التي جاءت بها الرسل وما حكمة إرسالهم ومن أي طريق يأتي تردد العمال في تنفيذ الأعمال عند العزم على الاءتيان بأحد عملين أوأعمال طرأت على فكر العامل الذي ماجاء بأحدها الا متخيراً له الى غير ذلك مما يثبت للاءنسان الاءختيار والاءرادة نقول إنه لو تفطن ذلك القائل واستيقظ من غفلته وأيده الله بروح من عنده لعلم أن تردد العمال في الاءتيان بالاعمال عند توارد الآراء الفكرية المختلفة ماهو الا حيرة تحيط بدركة التصورات الخيالية التي عرشها مقدمة الرأس من الانسان وأما القلب الذي هو مصدر البواعث فما له الا شدة التشوف ودوام التطلع الى مايصدر اليه منها حيث هو كامل الاستعداد لذلك كاستعداد الجوارح للانطلاق معه فيما تأتي به البواعث الغيبية لابرازه من الغيب الى عالم الشهادة قولاً كان أو فعلاً وما القلب بين يدى تلك البواعث الا كالسائل ذي الحاجة بين يدى المسؤول أو كالعبد المأمور امام السيد الآمر فلا يزال الفكر متردداً حائراً حتى تصدر البواعث بما شاء الله فلا يكون غيره والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (وماتشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليماً حكيما) عليماً بما قدره من شؤونكم التي تحتاجون اليها قبل أن يفرغ من الخلق والرزق حكيماً لا يأتي الا بما لا يصلح غيره لكم لعلمه بصوالح استعداداتكم فلذلك ترى الانسان قد ينطلق لسانه في غالب الأحيان سيما عند الشدائد بما لم يكن في حسبانه بعد ما أجهد فكره

في تخير ما ينطق به وتحسينه ليقيم به الحجة على خصمه أو ليدفع به عن نفسه شراً أو ليستجلب خيراً فتنطقه البواعث بضد ما تخيره لكيلا يكون الا ما أراد الله حيث تكون المسببات الغيبية مرتبطه بأسبابها ووقوع المسبب متوقف على وجود السبب فينطقه الله بما اراد وان لم يكن له فيه منفعة اذاً فلا يكون ذلك التخير تخيراً حقيقياً وانما هو تحير بالحاء المهملة كما ذكرنا اذ لايتم الاختيار الا لمالك لا يعارض ولو كان الانسان مالكا لنفسه ضراً او نفعا لما غلبته البواعث الغيبية لما هو المراد منه ومن كان له ادنى شعور ربما أدرك موارد الحيرة ومصادر البواعث وعلم الفارق بينهما بتمييز هذا عن ذاك كما سبقت الاشارة الى ذلك وما كان سير البواعث بالناس في تقلبهم فى الشؤن المقدرة لهم وعليهم كتغيير الدول وانقلاب احوال الأمم وتداول الشؤن المعهودة في الأفراد من اهل القري والأمصار بل وسكان البادية كغنا زيد بعد فقره وفقر عمر بعد غناه وعلو هذا بعد انحطاطه وانحطاط ذلك بعد العلو وغير ذلك من الشؤن التي تسوق البواعث الناس اليها سوقا عن رغبة وميل حيث لايشعر المساق بذلك الا إنبعاث كيف تكون عاقبته مصداقا لقوله تعالى (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت) الا كسير الشمس بالنباتات والأشجار والأجسام الحيوانية بل وجميع ما على الأرض اذ تنتقل بالكل من طور الى آخر في الفصول الاربع تنقلا ان قلت باطنياً صدقت وان قلت ظاهريا صدقت لأنه مرئي معلوم ولكن لا يعقله الا العالمون حيث هي المظهر التام لظهور آثار صنع القدرة الالهية في المظاهر السفلية طوع الحكمة العلية والارادة الصمدانية الا وان سر القيومية الساري في الموجودات الذي سبق التكلم عليه

بلسان اهل السنة واصطلاح اهل الحقيقة لهو الذي به صح للشمس ذلك السير
وانه لمع جميع المؤثرات كائنة ما كانت عند كل أثر اذ الاكوان كلها لغز لا يفهم
باطن اشارته الا اهل الكشف النوري فهماً ذوقياً والا فالناس جميعاً يعلمون
أن المصنوعات لا بد لها من صانع وهذا هو ظاهر منطوق ذلك اللغز وأما باطنه
فسر معلوم وكشف مبهوم وخفاء مجلاه عام وظهور جل عن احاطة الأفهام
ومدارك الأوهام وما عليك اذا لم تفهم البقر ولذلك استوت نسبة التأثير لكل
المؤثرات العلوية بنسبة الأعمال الى عمالها في الدرجة سواء بسواء اذ الكل
مسخرون تسخيراً فطريا كل لما خصصت له الارادة العلية من العمل حيث
لا يشعر عامل أو مؤثر أو مؤثر فيه بما حمله على ماجاء به من العمل أو مايعمل به
الا الانسان الكامل الذي أوقفه الله علي شيء من أسرار حكمته هكذا هو
سير البواعث الغيبية بالمخلوقات سيما النوع الانساني الذي هو محط النظر من
الخلق ولا يكون الانكار على ماقلناه الا من قبيل العناد والمكابرة بلا حق ألا
ترى اختلاف رغبات الأطفال والفتيان بل وجميع العمال في تعاطي الحرف
والصنائع كل لا يميل الا الى مابعث اليه وإن كانت مزبلة أو مرحاضاً فكذلك
جميع الأعمال لا تأتي بها العمال الا عن باعث الهي يوافق مراد الحكمة العلية
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام خزائن الخير والشر بيد الله مفاتيحها الرجال
فطوبي لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه والويل لمن جعل الله مفاتيح الشر
على يديه وما قصد صلى الله عليه وسلم بالخزائن الا القلوب المنبعثة الى تلك
الأعمال وما في الوجود من عمل الا وهو أحد الأمرين اما أن يكون خيراً
واما أن يكون شراً والدليل القوي العقلي على ذلك التسخير أنك ترى أن

كثيراً من الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخـر وبكل ما جاءت به الرسل وبالقدر خيره وشره من الله تعالى ولكنك ترى أعمالهم مخالفة لأقوالهم وأقوالهم مخالفة لأحوالهم وما ذلك الا لاختلاف البواعث لأن بواعث الأقوال غير بواعث الأعمال غير مقتضيات الأحوال اذ الاحوال مقتضياتها الاستعدادات والقوابل لانحراف لها عنها ولا مخالفة وأما الأعمال والأقوال فربما خالفت الاستعدادات لأنها طوع البواعث وقد يأتي الباعث بغير مايقتضيه الاستعداد لحكمة الهية تقتضي ذلك فكم من عالم لايعمل بعلمه وكم من جاهل يعمل بما لم يكن يعلم وكم من ذي فطنة قوية وزكاء تام ينفق ماله اسرافاً حتى يحتاج الى السؤال وكم من غبي يملك الكثير من المال والعقار الى غير ذلك مما لايحصي عداً ولا تسعه الصحف أليس هذا هو معنى التسخير وعمل البواعث ألا تري أن الله تبارك وتعالى قد خصص لكل زمن أهلا تناسب استعداداتهم مايريد ابرازه من الشؤون في أي الأزمان شاء حيث لاتوافق أمة ماقبلها ولا مابعدها في الشؤون الا قليلا ومصداق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وذلك من طريق قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) ثم قال صلى الله عليه وسلم مامن يوم الا والذي بعده شر منه وما أراد عليه الصلاة والسلام بنسبة الشر الى الأيام الا فساد أخلاق من وافق وجوده الزمن المتأخر وما زالت حكمة حديثه الشريف تظهر آثار صدقه في أهل كل زمن حتى ظهر أهل هذا الزمن بهذه المظاهر الشرية التي يراها الراؤون ويسمعها السامعون ويمقتها الصالحون الا من وافق نظره قول القائل

اذا ما رأيت الله في الكل فاعلاً * وجدت جميع الكائنات ملاحاً

فلا ترى اليوم الا علما بغير عمل وقولاً بلا حال وجدلاً بغير حق وتذكاراً للدنيا ونسياناً للآخرة وتقليداً للمشركين واعتراضاً على الأئمة المجتهدين وغيبة ونميمة وانكباباً على الخنا والافعال الذميمة وما ظهر الفساد فيه الامن المصلحين الذين رفعوا اصواتهم بالدعوة الى الاصلاح ولا ساد في الامم الا اعداء الديانات ولا تمكن من قلوب اهل الغفلة الا اخوان الشياطين وما عميت البصائر الا عن رأية المتقين ولا وقع مقت المنافقين إلا على من يذكر رب العالمين وعدت الصلات على النبي صلى الله عليه وسلم من الخرافات وما بقي في الناس من الاخلاق البشرية الا اتباع الشهوات (ليقضي الله امراً كان مفعولا) وما هو الا مصداق قوله تعالى (حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها أنهم قادرون عليها اتاها امرنا بياتاً او نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس) ومع ما الناس عليه من هذه الاحوال كل يزعم أنه هو الحبيب المحبوب وانه الى الحضرة العلية مطلوب ومخطوب وبما هو عليه من الغرور بنفسه يقدح في اعراض المسلمين ويلعنهم لزعمه انهم أعداء رب العالمين مستدلا بأن اهل أوروبا سبقوهم الى التمدن بما الهموه من الاختراعات وانهم هم اهل القوة في الحروب لقوة استعدادهم بالآلات الى غير ذلك مما لا يهتزله الا القلوب الغافلة مستندين الى قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) غافلين عن ان ذلك أمر ما كان له من سبب الا اعلاء كلمة الله وأما تلك الاستعدادات الآن فما هي الا لإيصال الأذى الى خلق الله بغير

حق فلا يكون الاستعداد من المستعدين الا من موجبات المقت الالهي اذ المقصود منه ماهو الا التغول في طلب الدنيا والاعراض عن الآخرة وذلك هو الغرور الذي ما زال بأهل الزيغ حتى جردوا الحق سبحانه وتعالى عن تعلق قدرته وارادته بأعمال الانسان جهلا وطغيانا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وما كان لعن من هذا حالهم للمسلمين مع زعمهم أنهم هم المسلمون الا من قبيل لعن ابليس نفسه حينما قيل للملائكة وقد كان فيهم ان منكم من يستكبر عن امر ربه فالعنوه فمكث سبعة آلاف سنة يلعن نفسه وهو لا يشعر كذلك هو حال من يلعن اهل لا اله الا الله ويمقتهم مع ورود الاحاديث النبوية بالتحذير من ذلك لأنهم لو جاؤا ربهم بملاء الارض خطايا لقابلهم بما فوق ذلك مغفرة كما تشير اليه الأحاديث الصحيحة ولكن الفاسقين لا يعلمون ولو تفطن المغرورون للبواعث التي بعثتهم الى ذلك اللعن لعلموا ان ذلك ما هو الا اعتراف قهري جعله الله سبحانه وتعالى وسيلة لاقامته الحجة البالغة على اهل الدعوى والغرور يوم القيامة حتى اذا نظر في صحيفته ورأى لعنه نفسه بنفسه لا يحتاج الي ان يكلمه الله اذ ذاك فانه تبارك وتعالى هنالك لا ينظر اليهم ولا يكلمهم وهذا هو المقت الذي لا يشعر به المغرورون الا عند حلول الأجل وتمكن الحسرة وخيبة الأمل فلو لم يكن كل ميسر لما خلق له لاشتغل كل عائب بعيوب نفسه ولحرست السنة اهل الخزعبلات الذين ملاؤا طباق الأرض شبها وضلالات تهوي الواحدة منها بمن اعتنقته في النار سبعين خرفا ولولا ما اراد الله بهم من حكم سابقة الشقاء لما حرموا حلاوة متابعة السنة المتبعة من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي زمامها الزهد في الدنيا والرغبة في

الأعمال الدينية الموصلة الى السعادة الأبدية وماقوامها الامواصلة اعمال البر التي بها تعمر الدار الآخرة ولما مال بهم حب التمدن الذي هو الطريق الموصلة الى جهنم الى الميل للظهور والتفاخر والتكاثر وغير ذلك من الأخلاق المذمومة في كتاب الله تعالى التي يظنون انها كمالات ومبادي سعادات وما هي الا غوايات ونهاية ضلالات تبعد العبد عن مولاه وتورثه العناء في دنياه وفي اخراه فلو ان للانسان اختيار وارادة لاستكشف كل عامل حاله مع ربه قبل الاتيان بأي عمل ولما جاء الا بما يقربه اليه من الطريق التي وصفها الله للسالكين على السنة الرسل وما هي الا اداء الفرائض وتكميلها بالنوافل ودوام الذكر والمراقبة وحسن التوكل وصدق اليقين والاشتغال بعيوب النفس عن عيوب الغير واجتناب اكل لحوم المسلمين أحياء واموات وكثرة البكاء خوفاً من الله تعالى وتحسين الأخلاق بالانكسار والتحلي بالسكينة والوقار وأن لا يطلق المرؤ لسانه ليرهب وان لا يزهوا بما عمل او علم الى غير ذلك مما هو مسطر في كتب الفقه ومألفات اهل الطريق من المزايا التي تشغل الملتفت اليها عن غيره مدى عمره ثم انه من الأدلة العقلية الدالة على أن الله هو خالق الاعمال في العمال أنه لا يصح لمتصور ان يتصور معنى احاطة علمه تعالى بجميع الاشياء ولا أن يتطرق فهمه الى ذوق معنى كفالته لرزق كل دابة في قوله تبارك وتعالى (وما من دابة الا على الله رزقها) الا اذ اعتقد انه مع كل شيء ومعطي كل شي وخالق كل شيء لأنه ما من واحدة من الحشرات والهوام مما هو أكبر من النمل وما هو اصغر منه الا وهي دابة تحتاج في كل نفس الى رزق لأنه ما حصر الرزق في المأكول بل كلما تحتاج اليه الدابة

من عافية وحياة وهداية للمأوى وانبعاث للطلب وغير ذلك فلو لم يكن الله هو الأخذ بناصيتها لما تصورنا معنى هذه الكفالة وطالما سمعنا من الأخبار الصادقة التي هي كالأدلة المشهودة الدالة على عنايته بكل مخلوق وانه لا يغفل عن شيء ولا يعزب عن علمه شيء وانه المسخر لكل شيء ولكن المنكر الجحود لا ينفك عن ملازمة التكذيب والمكابرة حتى أن رجلا كان يستظل بظل شجرة تحتها مأجار فرآى الطائر المعروف بالذنبور يأخذ الماء ويصعد عالي الشجرة على عجل مراراً فقام ذلك الرجل لينظر مايصنع ذلك الطائر فاذا هو بعصفور اعمى ينتظره وكلما وافاه بالماء فتح منقاره فيضع ذلك الذنبور الماء فيه حتى روى العصفور فسبحان من لا يغفل عن شيء ووسعت رحمته كل شيء ولا يغيب عن شيء ولو لم يكن هكذا لما صح لنا ان نتصور كفالته للارزاق وكذلك احاطة علمه بكل شيء لا يتصورها المتصور الا اذا تحقق أنه المحرك لكل متحرك والمرجح لوجود كل حركه وسكون لأنه اذا لم يكن هو المخصص لحركة المتحرك مثلا بالزمان والمكان لما صح تعلق علمه بها الا بعد وجودها وذلك سبق الجهل المستحيل عليه وهو العليم الخبير وان قلنا انه لا يعلم الجزئيات كما زعم بعض الزائغين فقد اثبتنا له القصور في العلم والتحيز الى جهة وكلاهما قادح في مرتبة الألوهية اذ الذي يتحيز عن ملكه الى جهة حتى تغيب عنه بعض الكليات أو الجزئيات لا يكون الا عرضاً محدوداً مكيفاً وهذا محال على من اتصف بالألوهية ثم ما كان ينبغي له أن يصف نفسه بان لاتأخذه سنة ولانوم اذ النوم الذي يعقبه التيقظ أهون من الغفلة أو الغيبة التي تستدعي الجهل (سبحان ربك رب العزة عما يصفون)

واذا كان الأمر كذلك فلا سبيل أسلم لمن اراد السلامة الا الخطة التي جاء بها المرسلون وسلكها الواصلون وما هي الا ايتاء كل ذي حق حقه اعني من الرتبتين رتبة واجب الوجود ورتبة ممكن الوجود اذاً فلا يكون الا ما اعتقده أهل الإيمان ان الله لا يخلوا منه مكان وهو خالق المكان والزمان والمخصص لكل ما يكون وما قد كان وانه مع كل شيء والفعال في كل شيء والمسخر لكل شيء وهـو منشأ القوابل والاستعدادات وموءسسها وباعث البواعث والارادات ومخصصها وقد جعل فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير ومبدأ الأمر منه ثم اليه المصير ولذلك ورد أن النار تقول للموءمن حينما يمر عليها جز يا موءمن فقد أطفأ نورك لهبي وذلك لفقد المناسبة بينهما وان الموءمن العاصي اذا ألقي في النار صار كالفحم لفقد الاستعداد لها وأما الكافر فلا يموت فيها ولا يحيى وكلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها لموافقة استعداداتهم لها ذلك تقدير العزيز العليم وهو لا يسأل عما يفعل لا لأنه ظالم قوي ولكن لكونه عليماً حكيماً ولا تظهر لكل مخلوق سعة حكمته واحاطة علمه الا يوم القيامة ظهوراً مشهودا فلذلك لا يسأله سائل عنه بفعله لأنك متى اعترفت بجهلك امام العالم لا يمكنك أن تقابله بلم ولا كيف مع ما تحققته من كمال حكمته وحسن تدبيره وانه على كل شيء قدير والله سبحانه وتعالى ما أعطى الممكنات الا حق رتبتها وما رتب نظام وجودها الا على أتم ترتيب واكمل اتقان فلا يقال انه كتف الانسان وألقاه في اليم وقال له لا تبتل كما زعم القائل السفيه ولكنه وافا كلا بما يستحق موافقة لاستعداده وقابليته كما سبق الكلام على ذلك مراراً ولا عيب في التكرار فقد كرر الله القصص في القرآن المجيد بالعبارات المتحدة في المعنى المتغايرة في اللفظ فان

قال قائل ان الانسان ليبول ويتغوط ويجامع زوجته وكثيراً ما يأتي بسفاسف
الامور فما هي الطريق الموصلة للأذهان ان تلك الأعمال هي لله نقول ان كل
عمل يعمله العامل لا يخلوا عن أحد احوال ثلاث اما جلب منفعه تلايم استعداد
العامل اودفع مضرة لا تلايم قابليته او ان يكون عابثاً فأما البول والغائط والجماع
وغير ذلك من الأعمال الضرورية لكل حيوان فلا يشهد معالم الاهمية منها
الا من تابع المشرع وفهم ماتضمنته وصيته للمتغوط في قوله الحمد لله الذي
اذهب عني الاذى وعافاني من البلا الحمد لله الذي اطعمنيه طيباً واخرجه عني
خبيثاً ان لا يتحقق بذلك الذوق الا من تأمل صنع الله البديع وتحقق أنه لا
يقوم قائم بما قامت به القدرة الالهية من ذلك العمل الذي لا تسع شرحه
مطولات الكتب وأما باقي الأعمال التي يظن الغبي أنها من العبثيات التي لا
حكمة لوجودها كما ينتقد جاهل العوام على خلق الحشرات والهوام وغيرها فما
من عمل صغيراً كان او كبيراً او قول او حركة او سكون من متحرك اوساكن
الا ولله فيها حكمة او حكم سواء كانت من معالي الامور المحبوبة عنده أو مما
يبغضه كسفسافها وتأتي بها البواعث الغيبية لا لذاتها ولكن لما يترتب وجوده
على وقوعها كما حلل الطلاق وهو يبغضه وان من العبثيات لما يأتي على يد من
لم يشعر بحكمته عند التلبس بعمله لحكمة او لحكم من أقلها أن يكون عبرة لمن
يدعي انه يملك لنفسه ضراً أو نفعاً حيث يرى قرينه في جميع الشؤن مسلوب
الاحساس والشعور قهراً ويعلم ان ما جاز على أحـد المثلين يجوز على الآخر
تنبيهاً للمغترين او من قبيل الترويح لنفس ذلك العامل لطفاً من الله ورحمة كما
ترتاح نفس الطفل للحركة بغير قصد منفعة او لأن الوجود الصوري بأجمعه

لاقرار له فهو دائم الحركة كلياته وجزئياته لأ نه كما تراه كشجرة مالها من قرار وهذا امر لا يعقله الا العالمون فان قال القائل كيف تزعم ان البواعث الغيبية هي التي تبعث العمال على الأعمال وقد قرر اكابر العلماء بالله ان قلب الانسان بين لمتين لمة الملك ولمة الشيطان وما تحققوا ذلك الا من حديث نبوي وقالوا ان ايهما الغالب يكون القلب تابعاً له فما بالك اذاً تدعى ان البواعث هي المحركة للقلوب أقول انما القلب موطن كوني له وجهتان وجهة الى الغيب ووجهة للشهادة وكما انه ينتظر ما يرد عليه من الاحساسات الظاهرية كذلك هو بين يدي البواعث الغيبية وكما انه هو المنبه للحواس عند استجلاب الانباء التي تدعوه البواعث الغيبية لاستكشافها ليحيط الانسان بها علما فتكون حجة له أو عليه فكذلك قد تدعوه الحواس الباطنية لأن يطرق باب الغيب لانتظار ما يرد عليه منه لتزول عنها الحيرة التي سبقت الاشارة اليها قبل تطبيقاً لقوله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان افتاك المفتون ولولا أنه سيد الادباء ومعلم العلماء لقال استفت ربك اذ القلب خال لاشيء فيه الا عماره فمن القلوب من هو بيت الله ومنها من هو مأوى الملائكة ومنها من هو مأوى الشياطين وهى القلوب التي سكنتها الدنيا والتي قبلها قلوب أهل الاختصاص والمحبة ألحقنا الله بهم فلذلك كان هو مجمع شتات كل صادر ووارد من الشؤون التى اراد الله بها ادارة المملكة الأرضية لأنه هو قطب دائرتها وقد جعل اللسان ترجمانه وكاشف اسراره ومظهر عيبته وما الجوارح والحواس الاخدام له لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون ولما كانت الحقيقة البشرية جامعة لجميع الحقائق بمعنى ان لها من كل حقيقة نصيب وكان القلب هو سلطان تلك

الحقيقة أو وليها وبه تميل الى احدى الغايتين السعادة أو الشقاو كل الله به عاملين متضادين ليعمل الحق سبحانه وتعالى بتلك الحقيقة وان شئت قلت بوليها عندهما كما يعمل بمن كتب عليه الحريق مثلا عند تعلق النار بجسده او الغريق عند غرقه في الماء فجعلهما سببين كباقي الاسباب التي جعل بينها وبين المسببات ارتباطاً وجعل الملك خيراً كله والشيطان شراً كله فأي انسان قويت المناسبة بينه وبين احدهما تحيز اليه وكان حبيباً له وعدوّ اللآخر فترى الانسان الكامل بينه وبين الشيطان أشد عداوة لا يزيلها سبب من الأسباب وبينه وبين الملك اوثق محبة حتى أنه ورد في الخبر ان الملائكة ليستغفرون للمؤمنين ويتألمون لما يضرهم واما الانسان الفاقد لمعالم الاخلاق الكمالية فهو حبيب الشيطان وعدو الملك وما ذلك إلا لحكم المناسبات الكونية التي بها ترى أهل الدنيا يحبون الكلاب لشدة رابطة التناسب بينهما التى أشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الدنيا جيفة وطلابها كلاب ثم ان الله سبحانه وتعالى لم يجعل في قدرة هذين العاملين للانسان ضراً ولا نفعاً بل مجرد إخاء كما قال في كتابه العزيز (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) او محض ولاء كما اخبر عنا تقوله الملائكة لأهل السعادة بقوله (نحن أوليائكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وانه لمن الحكم البديعة في تسليط هذين العاملين على الانسان ان يشهد مشاهد عجزه اذ يرى من لا قدرة له على رأيته أو الاحساس به متغلباً عليه في الرأي والنظر في مصالح نفسه ومضارها كما قال موسي عليه السلام هذا من عمل الشيطان وقال فتاه وما انسانيه الا الشيطان ليترك المدعي الاستقلال دعواه ويستسلم ان كان من المهتدين أو يكون لله عليه الحجة البالغة ظاهراً

بالنبيين وباطناً بالملائكة كما سيأتى بيان ذلك في حكمة ارسال المرسلين وما لهذين العاملين مركز من الانسان الا ما حول القلب فيأتيه الملك من قبل الانوار الروحية واما الشيطان فيجري منه مجري الدم من طريق الظلمات الجسمانية كما شاء مولانا الحكيم القدير وكما علم هو ليس كما يتخيله المتخيلون الذين الجأهم الجهل الى الجحود حيث لامحل للاستغراب في وجود هذين العاملين مع الانسان ولا لانكارهما اذ القادر الذي جعل النار كامنة في الهوى والأحجار وصيرها منقادة لمن يطلبها بالاحتكاك في اي زمان ومكان حيث لم يكن مشاهداً لها ولا عالماً بمقرها في الهوى ولا يشعر بها الا اذا ظهرت له في عالم الشهادة والذي جعل الهوى يتخلل الماء والطين فيحيي به السمك في الماء والدود في الطين وجعل في الاشجار والبحار بل وجميع الاجرام بخاراً يتصاعد لا يشاهد الا اذا تكاشف لقادر على ان يجعل هذين العاملين في معية الانسان من حيث لا يشعر لانه على ما يشاء قدير وأني للعقل الضعيف الذي يدهش لشدة الامساك الطبيعي أن يصل الى ادراك اسرار صنعة المدبر الحكيم الا اذا كاشفه الصانع القدير بما ابدعه في مصنوعاته ولا يكون ذلك الا للاصفياء الاخيار الذين ما حامت خبائث الانكار حول قلوبهم الطاهرة فاذا وصل منك الادراك الى معالم ما قررناه وتحققت ان القلب هو مورد كل وارد ومصدر كل صادر من المتعلقات الكونية والشؤون الغيبية يطمئن قلبك ويركن الى تصديق ما بينه أهل الطريق في كتبهم الذين هم ارباب القلوب وأهل الانفاس الراسخون في العلم بالحقائق الآخذون عن الله لا عن اهوائهم فقد فرقوا بين متعلقات القلوب الكونية وبين ما يرد عليها من الشؤون الإلهية

وسموا كلا منها باسم إصطلحوا عليه فيما بينهم وما اختلفت تلك الاسماء الا لاختلاف المسميات فسموا الشؤون الالهية بأسماء منها البواده والبوادر والسكر والصحو والانس والبسط والقبض وعبروا عن البواعث التي ذكرناها بالواردات وما كان اصطلاحهم علي ماصطلحوا عليه فيما بينهم فيما ذكرناه وما لم نذكره الالأنهم امناء الحكمة التي امر الشارع بأن لاتعطي لغير اهلها كيلا تظلم بجحود الانكار وعدم القبول ممن لاعقل له ولا تمنع اهلها فيظلموا لشدة تعطشهم لها لانها ضالتهم فدار الامر فيما بينهم على اصطلاحات لاتصل اليها افهام الزائغين حتى لا يكونوا سبباً في وقوعهم في مهواة المقت الأزلي ومتى اطمأن قلبك وركن الى تصديقهم تتحقق حق اليقين ان اعمال الملك أو الشيطان بقلب الانسان ما هي الا من الأسباب الكونية وانهما مسخران لما يعملان كباقي المسخرات وما آتاهما الله الا قوة التزيين والتحسين فهما كالمقدمات للبواعث الغيبية كما يسخر جليس السوء لمن أراد الله اهلاكه أو الشيخ المرشد لمن يشاء الله ان يهديه فيقع بينهما الاجتماع بلا موعد ولا سابقة تعارف كما جرت بذلك سنة الله في غالب الخلق ولا يرتاب في هذا الا أهل الزيغ والحرمان ولقد سمى الله سبحانه وتعالى الخاطر النفساني والشيطاني بالوسوسة لانه مجرد تزيين وتحسين وسمي الآخر وحياً او الهاماً لأنه ارشاد وهداية والباعث الالهي يأتي بنصرة أيهما شاء الله نصرته تنفيذاً لمراد الله القدير والى ذلك الاشارة بقوله صلي الله عليه وسلم ما معناه القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء اذ لا معنى للتقليب الا الميل الى الخير أو الى الشر ومتي وجهتها البواعث الى جهة لا تكون متقلبة فما للاصبعين معنى الا هذين

الملتين المسخرتين للاستمالة وليس المستميل كالمستفز او الآمر وما كانت الرجال أي قلوبهم مفاتيح خزائن الخير والشر كما تقدم ذكره سابقا الا لانقيادها الى البواعث الغيبية لأن القلوب مسخرة واما والرجال فمسيرون لا مخيرون وليس التسخير هو والتيسير بمعنى واحد لأن التيسير هو مد القوى بما يمكنها به القيام بالشؤون المرادة منها وهذا امر تساوت فيه جميع المخلوقات لا فرق فيه بين مؤثر ومؤثر فيه علويا كان اوسفليا وما في طاقة مخلوق ان ينفك عن ذلك المدد طرفة عين كما سبق تقريره قبل وما هو الاسر القيومية المعبر عنه بتعلق القدرة عند قوم وبالتجلي عند آخرين كما تقدم وانه لقوام بنيان هيولا عالم الخلق وأما التسخير فنسبته الى عالم الأمر أقرب للتصور ومن روح ذلك السر استنشق القوم نسمة وحدة الوجود التي سيأتي الكلام عليها ومن لم يوقفه ما ذكرناه على جادة الطريق القويم فى تصحيح عقيدته فقد تحيز الى من هم كالأنعام بل هم أضل نسأل الله تبارك وتعالى لنا ولاخواننا المؤمنين اللطف فى القضا والبركة فى الرزق والسلامة فى الدين انه لطيف خبير فان قال القائل اذا كانت الأعمال كلها مخلوقة لله كمالها وكان هو المسخر والمسبب والميسر ورابط الأسباب بمسبباتها فما هي حظوظ العمال من الأعمال وما هى الرابطة التي تستلزم جزاء العامل بعمله خيراً كان او شراً وما هي حكمة ارسال الرسل وتشريع الشرائع التي جاءت بتحسين الأعمال وتقبيحها ومن اين جاء التحسين والتقبيح نقول وعلى الله التوفيق وهو يقول الحق ويهدي السبيل اما حظوظ العمال من الأعمال والرابطة التي تستدعى جزاء كل عامل بعمله فقد قررنا سابقا أن حقيقة الالوهية تستدعى مألوها يكون مرمى سهام عدلها وارضا لمدرار سماء فضلها وما كان الا

الممكن الذي سبق بيان رتبته الوجودية ومقتضياتها وقد رتب الله النظام كما ترى بحكم الاستعدادات والقوابل وأخذ الفضل نصيبه من الخلق وآواه والى منازل التكريم أرشده وهداه واستحوز العذل على طالبيه بقوابلهم واستعداداتهم حيث لا ظلم ولا اجحاف ولكنه تقدير حكيم من شأنه انزال الناس منازلهم ووضع الأشياء فى مواضعها بغاية الاتقان والانصاف فكما ان القطران لايحل محل شراب النحل الذي هو للشفاء موصوف فكذلك كان استعداد اهل المنكر للمنكر واهل المعروف للمعروف والميل الاستعدادي هو حظ العمال من الاعمال وحكم المناسبة هو الرابطة بين الحال وبين المآل وما علينا الا الايضاح والبيان وما في الطاقة لاصلاح ما افسد من اذواق حلفاء الزيغ والطغيان واما حكمة ارسال الرسل وتشريع الشرائع لتحسين الأعمال وتقبيحها ووضع الحدود التى من تعداها عدّ من الظالمين فذلك سؤال ما صدر الا عن جرأة جهول وغفلة غافل ما كان ينبغي لنا أن نلتفت اليه لقوله تعالى (واعرض عن الجاهلين) ولكن ضرورة الارشاد لمن شاء منكم ان يستقيم تدعونا الى البيان والايضاح فنقول ان الحكم والاسباب التى لأجلها ارسلت الرسل بالشرائع التي تضمنت العبادات والمعاملات والحدود التي هي بمعنى القصاص والحدود التي امر الله أن لا يقربها الانسان ولا يتعداها لكثيرة منها ما ذكرها الله في كتابه العزيز صراحة ومنها ما علمه العلماء بالله من طريق الاشارات الذوقية أما ما بينه القرآن فهو كالبلاغ والبيان والرحمة واقامة الحجة والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وكانت الغاية المقصودة من هذا كله تبشير السعداء وانذار الاشقياء بما سيؤول اليه الأمر من كل من الطائفتين وما كان البلاغ الا ليكون المؤمنون

شهداء على المكذبين ويكون الرسول شهيداً على الذين آمنوا ان لم يقوموا بما في وسعهم من التبليغ حتى لا تكون الأحوال التي هي عنوان المآل كامنة في الاستعدادات والقوابل ففرض الله البلاغ للابتلاء لأنك لو لم تستنطق الساكت لأنكر ما كان في ضميره فكان التبليغ سبباً لعلم الذين وصلت اليهم أنباء الرسالة بما عليه انفسهم من الاستعدادات والقوابل لتبرز أميال قلوبهم الى عالم الظهور فيتبين للانسان حاله ولمن يكون شاهداً عليه يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها لأن اهل الجدل في الدنيا هم اهل الجدل في الآخرة ولولا البلاغ لادّعي الكافر أنه لو بلغته الدعوة لكان شكوراً واما البيان فما كان الا رحمة بالناس لأن ربك سبحانه وتعالى أخرج الناس من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً ولكنهم بما جعل فيهم من الاستعدادات والقوابل يقبلون التعليم الحسي والمعنوي وما أردنا بالحسي الا ما يصل للانسان من المعلومات من طريق الحواس المجعولة فيه ليدرك بهما المعلومات الظاهرية وعبرنا بالمعنوي عن كل ما يأتيه من طريق الباطن كونيا كان او الهيا فلذلك أرسل الله الرسل للبيان كيلا تكون الناس أمة واحدة في متابعة الهوى يتخبطون في غيابات غايات شهواتهم فرحمهم الله بارسال الرسل والزامهم بالبيان الواضح لتنكشف الطريق الموصلة الى النجاة لأهلها ويعلم الانسان الكامل مفاوزها وعقباتها وان اختلفت الأميال باختلاف الاستعدادات اذ البيان ما كان الا لمن يعقل ويسمع ولا يعقل ولا يسمع الا من صلحت استعداداتهم وقوابلهم واختصهم الله تعالى واصطفاهم لدار الكرامة في سابقة الترتيب الابداعي فكان البلاغ عاماً والبيان خاصاً اذ الرسل ما وفوا البيان حقه الا

لمتبعيهم فكان حال الناس مع ربهم ولله المثل الأعلى كحال قوم عمي ضعاف
لا حول لهم ولا قوة وافاهم مرشد شديد الحول والقوة كريم الأخلاق على
رأس طريق موصلة الى غاياتهم حيث لاقدرة لهم على الوصول اليها بلا مرشد
ولا قائد اذ الاعمى يحتاج الى هذين الامرين أما المرشد فليبين له
الطريق بالقول حتى يعلم مفاوزها وعقباتها والغاية التي هي في نهاية تلك الطريق
ليكون على بينة في حاله ومآله واما القائد فليأخذ بيده حتي يوصله الى ما
استعد له من الغايات التي بينها له المرشد وكان صالحا لها بقابليته وما كان
لذلك المرشد والقائد ان يترك هؤلاء العمي الضعفاء حتى يصلوا الى مقرهم
الزبال الى مزبلته والظريف الى حيث تستدعي حاله فللقائد على اهل الظرف
منهم الفضل التام الذي يستوجب الشكر الجزيل وما عليه من وحشة
الآخرين وقذارة منازلهم من لوم لأنه ما كان ما كان منه الا موافقة لحالهم
وقابليتهم فما ارسل الله الرسل بكتبه المنزلة الا للبيان وكان هو القائد للكل
ببواعث التسخير وامدادات التيسير كما سبق بيانه فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر وما كان ذلك الا لما استدعته رتبة الممكن من ضروريات الضعف
والعجز والذل والافتقار اذ الحق سبحانه وتعالى ما وجد رتبة تسع تصرفات رتبة
الألوهية الا هذه المرتبة كما ذكرنا قبل وقد رتبت نظامها حكمته هذا الترتيب
الذي لاتسع دائرة الامكان غيره فكان هذا الوجود الصوري كتاباً مسطوراً
وما فرط الله فيه من شيء ولذلك قال القائل ليس في الامكان أبدع مما كان
وما بينا لك الفارق بين البلاغ وبين البيان الا لتعلم ان الانسان بغير تعليم
لا يعلم شيئاً ولا ضرر على الانسان أشد من انقياده لعقله ألا ترى قاتل أخيه

من ولدي آدم كيف لم يواري سوأته حتى بعث الله له غرابا يبحث في الارض ليواري غرابا آخر فقال ياويلتا أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فكان ذلك البيان الذي جاء به الغراب رحمة للقاتل والمقتول هكذا هي سنة الله في خلقه والبلاغ العام الذي جاءت به الرسل هو مفهوم الأمر الذي فصله أهل السنة بقولهم أمر وأراد ولم يأمر ولم يرد وأراد ولم يأمر وأمر ولم يرد فما قصدوا بذلك الا الأوامر التي صدرت على ألسنة الرسل للبلاغ العام والا فالاوامر الالهية التكوينية التي مصدرها من الحيوان البواعث الغيبية لا تمانع ولا تعارض ولا يخالفها مخالف كائنا ما كان ولا يصدر من اي عامل عمل الا بها شعر بها العامل أو لم يشعر من اي امة كان ذلك العامل من الامم التي ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه بقوله (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم) فلو تأمل الانسان واستطلع شموس الحكمة من من دياجي هذا الوجود المظلمة لرأي أن نوعه مما هو الا امة من هذه الامم لا يتميز عنها بشيء الا بالاختصاصات والامتيازات الالهية التى صلحت لها قوابل الاصفياء واستعداداتهم وبهذا يتيقن أن الله سبحانه وتعالى كما خلق الانعام لان تذبح وتأكل ومنها ما يحمل عليه الاثقال وخلق الخيل والبغال لتركب الى غير ذلك مما لا تسع الاوراق حصره فكذلك خلق من نوعه ما هو للجنة وما هو للنار وكل يستحق منزلته لقبول استعداده وقابليته لأيهما خلق لها لا شك في ذلك ولا مراء ولكن الانسان ظلوم جهول وها قد كشفنا عن وجوه حقائق اليقين القناع في كل مـا ذكرناه لتزول الشبه عن قلوب أهل الايمان والله المرشد الهادي وبيده الخير وهو على كل شيء قدير

وليعلم ذلك القائل الذي قال القاه في اليم مكتوفا أنه ما جاء الا بأشنع قبح وافظع سفاهة وحمق اذ ما كان جدله الا فيما ليس له به علم والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ما صلحت قوابل استعداداتهم للهداية فسبحان الحكيم المنزه عن الاغراض القدير الفعال لما يريد

﴿ يا هذا ﴾

ان من الآثار القديمة ما شاع على السنة العقلاء من قولهم من عاش حكيما مات سقيما فظن الجاهل ان الحكيم هو الذي يداوي المرضا وليس كذلك لأنه معروف بالطبيب فما قصدوا بهذا اللفظ الا حكماء الفلاسفة المتقدمين الذين هوت بهم اهواؤهم من ضعف اليقين في مكان سحيق ولم يركنوا الى متابعة الرسل لما زعموه من أنهم اهل الحكمة فيموت احدهم سقيم القلب بما فيه من الشبه والشكوك التي تركته لا حيا كأحيا القلوب الذين لا تنام قلوبهم نوم الغافلين ولا تموت موت الجاحدين وهم المؤمنون حقا ولا من الاموات الذين طبع الله على قلوبهم فجحدوه وانكروه وما ذلك الا لمتابعة الهوى والغرور بجودة الفكر الذي يخطيء ويصيب كما قيل عن ابن سينا أنه نظر الى الفلك وقال له ويلك من خبيث أقمت على حدوثك سبعين برهانا ومع ذلك فيك علامة القدم فما تطرق الشك الى قلبه وغالبه فكره وتجاذبته الاهواء الا بعوامل الحكمة التي ما تناولها من طريقها اذ لا طريق للحكمة التي هي ضالة المؤمن الا متابعة الرسل قدما بقدم فما ضر مثل هذا الحائر الذي خالطه الشك ولم يفارقه بعد اقامة هذه البراهين المعدودة لو تابع رسوله وقابل ما جاء به الذكر الحكيم ببشاشة القبول وتناوله بقلب سليم ليبرأ من ذلك

السقم المردي وقس على هذا حال كل ذي نظر اتسعت ملكته في الجدل سيما اذا كان من حفاظ التاريخ واهل الملاهي الرياضية لأن كل علم لا يقرب الى الله عند مطالعته او سماعه في الحال أو عند التذكر فهو من الملاهي التي تزحزح ضعيف الايمان عن مراكز ايمانه ويقينه ألا ترى ان التقوى التي هي قوى سبب لقرب العبد من ربه اذا خالطها الهوى لا تزيد صاحبها الا بعداً وما وردت الأوامر بالاخلاص في الأعمال الخيرية الا ليسلم القلب من كل مايلهى ويشغل عن الله فمن ادعى ان الاشتغال بمعرفة أحوال الامم وتواريخ المتقدمين منهم هو من الدين وانه لا ضرر فيه على المشتغل به فقد افترى على الله كذباً وان احتج بما جاء به القرآن المجيد من سير الامم فقد نادى على نفسه بالجهل لأن الحق سبحانه وتعالى ما أراد بذلك ان يشغل رسوله ومن معه بحفظ قصصهم والوقوف على جميع اخبارهم حتى يكونوا من حفاظ التواريخ ولكنه اجمل في القرآن ذكر اخبار قوم كذبوا رسلهم وآذوهم فانتقم منهم ونصر الرسل عليهم ليثبت بذلك فؤاد حبيبه وليرهب كل جاحد ولو اراد ان يأتي بما سبق من عجائب الاخبار وغرائب الآثار من اول الدنيا لأنزل عدة كتب ولما فرض عبادة غير حفظ التاريخ ان كان هو محط الفائدة ولما نهي عن متابعة الشعراء الذين لاحظ لهم من المعارف الا نقل الأخبار الكاذبة والصحيحة سيما وقد ورد في الحديث النبوي التشنيع على المشتغلين بأنباء العرب واشعارهم بما معناه لأن يملأ الانسان جوفه صديداً وقيحاً خير له من ان يملأه أشعاراً واخباراً ثم ان العاقل الرشيد الذي يود ان يكون له منزلة عند ربه وان يكتفي شر الخزي والخجل يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم لا يمرح بنفسه في هذا الميدان

الذي ما ورائه الا عقبات الطرد والحرمان ارأيت ان وافيت ربك بلا أدب ولا علم ديني ولا عمل صالح مما فرضه عليك وكنت احفظ الناس بالفنون الرياضية وسألك بماذا جئتني مما ارشدتك اليه على لسان رسولي ماذا يكون جوابك أيليق بك اذ ذاك ان تقنعر عمامتك على قمة رأسك وعالي جبينك كما تصنع اليوم وأنت في اندية الغافلين وتقول يارب جئت بأخبار امة كذا التي فعلت كذا وكذا أظنك هناك الأخرس الذي لاينطق والخائف الذي مزق الوجل مفاصل أوصاله ثم اذا قال لك لم بحثت في الأشياء التى لايدركها عقلك الا بمتابعة الرسل الذين علمتهم مالا قدرة لك على علمه الابهم فتركتهم وراء ظهرك وقمت تشغل نفسك بمعرفة الفلك أقديم هو أم حادث أما آمنت أني محدث الحوادث كلها ومبدع جميع الكائنات على غير مثال يعهد فما الذي أرابك في ذلك ان كنت من المؤمنين اذاً فالذي نقوله الآن وهو الحق أن كل علم لم يكن مستنبطاً من القرآن ولا من الأحاديث النبوية ولم يكن دالا على الله فهو من الملاهي الممقوتة شرعاً والاشتغال به ماهو الا للأغراض الدنيوية حبا في بسطة الرزق التي أشار اليها الحق سبحانه وتعالى بقوله (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) وما أراد سبحانه وتعالى بالبغي الا متابعة الهوى في أي مسلك يسلكه السالك لم يكن فيه متابعاً لرسوله علماً كان ذلك المسلك أو عملا اوحالا فاياك ان تأتي الحكمة من غير بابها وهو التقوى فتهلك كما هلك الهالكون فما اردى أهل السانة في هذا الزمن الا حصائد السنتهم ومتابعة اهوائهم وقد وضع ثعبان الغرور لهزمتيه على أفواه افئدتهم فسرت فيها سمومه القاتلة وذلك لحكمة بل لعدة حكم يعلمها الله تعالى اقلها الاشعار بقرب قدوم الساعة التي

جاء أشراطها من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترى الشبان والنساء بل والبنين والبنات ماتخلقوا الا بأخلاق الشياطين وما هي إلا المكابرة في الجدل والعناد والاصرار والمشاجنات والتخاصم وما كان هذا كله الا من دعوى الحكمة والمعرفة التي اكتسبوها من مطالعة الأخبار في الصحف المنتشرة نسأل الله السلامة من هذا الوباء الوبيل الذي نزل في قلوب القوم منزل الحكة أو الأكلة في الأجسام حيث تؤلم المريض ولكنه يستعذب الاحتكاك فيها فمن وجد نفسه ميالا لاستجلاب الاخبار الدنيوية غافلا عن مطالعة الاثار النبوية فاليتبوأ مقعده من النار وإن كان عليما حكيما .

﴿ياهذا﴾

طلاقة اللسان من نزغات الشيطان زعم قوم ان ابن سينا المعروف بسعة الفكر وجودة الفهم وحسن المنطق وإصابة الرأي ودقة البحث في الحقائق قال في معنى قوله تعالى اياك نعبد أن العبادة يكفي فيها مجرد الشعور بعظمة الحق سبحانه وتعالى وان ذلك الشعور هو العبادة الكاملة مستدلا على دعواه بأن هذه الكلمة من الفاتحة وهي نزلت قبل فرض الصلاة الى آخر مانقلوا عنه مما لو تصوره متصور عاقل لتحقق انه من الأكاذيب والأراجيف التي تعودها الجهلاء مع افاضل العلماء ولو صح ذلك النقل لما ظننته صدر منه الا عند ماردّ الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وذلك لوجوه منها ان الفاتحة ركن من اركان الصلاة التي لاتصح الصلاة الا بها وما كان الله ليفرض الصلاة حتى يبين للناس أركانها التي تقام بها ومن كمال حكمته سبحانه وتعالى المنزهة عن العبثيات أن عبر بلفظ يشمل الحال والاستقبال ولم يقل إياك عبدنا حتى

لا يتطرق لفهم السامع او القارئ أن العبادة هي ماقبل فرض الصلاة لأنه جل شأنه وتقدس مجده ماأنزل هذه السورة الشريفة بما حوته من جميل الثناء وكمال التمجيد والاجمال في الطلب حيث كانت هذه الثلاث هي آداب العبيد عند مقابلة الملوك الا ليرشد عباده كيف يخاطبونه اذا وقفوا بين يديه في مشهد الصلاة أو الذكر أو التلاوة ولذلك سموها أم السور والآيات لأنها هي مفتاح المناجات والفتوح فكانت هي الفاتحة الجامعة لأسرار الكتاب العزيز الذي ما أنزل الا ليعبد الله وحده ويعلم تاليه أن الذي أنزله هو مالك الدنيا والآخرة وأنه هو المربي لجميع العوالم والهادي والمضل وأنه الفعال لما يريد فتحقق من هذا أهل الذوق السليم انها هي ام السور كلها وأن البسملة التى هي آية منها حوت هذا المعنى في نقطة بائها اذ الباء بغير نقطة لا تقرأ لأنها هي التي نفت عنها شبه التاء والثاء والنون فاضافة النقطة للباء اوجدت فيها سر الواحدية ونزهتها عن الشبيه واضافة الباء للإسم هي التي اظهرت قوة عمله وافهمت القارئ والسامع أن بأسم الله تكونت جميع الكائنات فهو الواحد الذي لا رب غيره وما جاء القرآن بما فيه من القصص والتحذير والتبشير الا لهذا الغرض هكذا فهم اهل القرآن الذي ما أنزله الله الا لأجلهم وما مسه غيرهم لأنه محجور على غير المطهرين وان كان الله سبحانه وتعالى ليسلكه في قلوب المجرمين ويسله منها كما تسل الشعرة من العجين لا تمسه ولا يمسها فافهم ان كنت ممن يعقل والا فاعط القوس باريها فأن نور القرآن لا يجتمع مع ظلمة الأخلاق المذمومة في قلب واحد وما خلا احد من وجهاء هذا الزمن منها وما هي، الا مثل التكبر والاعجاب والزهو والتفاخر والتكاثر وكالغيبة والنميمة وقول الزور الذي تعوده

ارباب الصحف المنتشرة وازدراء الضعفاء من العلماء المستضعفين وغير ذلك
مما تلوثت به قلوب المغترين فأصبحوا لا يفقهون من العلوم والأعمال الا ما
يباعدهم عن الله فلا سبيل لمن هذا حالهم الى ذوق أسرار الكلام الإلهي
الذي لا يمسه الا المطهرون من هذه الأخلاق الا من طريق المعلومات
المنطقية التي اكتسبوها من دراسة الفنون الرياضية فيغترون بحل الالفاظ
بالمعاني التى يقيدون بها كلام الله المنزه عن أن تتقيد الفاظه بمعنى واحد قياساً
على اللغة العربية وما هكذا حال أولياء الله تعالى في تلاوة القرآن او سماعه
الذين الجأهم الأدب الى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع
الآداب التي علمها الله له وقد كان منها قوله تعالى (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم
ان علينا بيانه) مع علمه بطهارة قلبه وأنه افصح الناس منطقاً واعلمهم بلغة قومه
بل وكل اللغات وما حجر عليه ذلك الا لكيلا يتبع هواه في ادراك مراد
الله من كلامه فأمره أن ينتظر ما يلقى اليه من البيان فسار القوم على جادة
هذه الطريق عند تلاوة القرآن أو سماعه ينتظرون ما يفاض عليهم من المعاني
والاشارات من طريق الوراثة المحمدية النبوية التى اشار اليها النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله العلماء ورثة الانبياء وما قصد بالعلماء الا اهل الخشية والأدب
وقد افترقوا رضي الله عنهم في ذلك فرقتين الواحدة اهل الاجتهاد الذين
رزقهم الله تعالى قوة الاستنباط من طريق الطاعة وحسن المتابعة فاستنبطوا
من القرآن الأحكام الشرعية لعلمهم أنه هو الدين القويم والصراط المستقيم
وأن الله ما أنزله الا للبيان الذي سبق الكلام عليه ليكون نائباً عن رسوله
بعد موته فدونوا في ذلك كتباً لا تحصي مع اعترافهم بالعجز عن ادراك

اسراره والفرقة الاخرى استخرجت من بحره الذاخر درراً مصونة وأسرار مكنونة أودعوها في محرراتهم ومسطراتهم الفتوحية التي ذهب ضوئها ببصر كل أعشي ممن قال الله فيهم (فأغشيناهم فهم لايبصرون) هؤلاء هم أهل الله أهل القرآن أهل العلم أهل الخشية أهل الأمانة أهل الذوق أهل الأدب أهل الجنة مهابط الأنوار وخزائن الأسرار محط نظر الله من خلقه لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة وأما ماعدا هاتين الطائفتين من أهل النظر وأرباب اللسانة فقد اتبعوا في تأويله أهوائهم ظانين ان الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه المجيد المحفوظ لاصلاح الدنيا والآخرة لجهلهم بالفارق بينهما كأنما لم يصلهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو معلم العلماء من أحب دنياه أضر بآخرته ومن احب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقول الله سبحانه وتعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء) الى آخر الآية الشريفة وما فطنوا الى ان كلما جاء القرآن باصلاحه من الأحوال والاعمال والأقوال البشرية بالطريق التي شرعها الله لنبيه ومن اتبعه ما هو الا من امور الآخرة لا من امور الدنيا ولكن الذين خلطوا واختطف الغرور أنوار بصائرهم التبست عليهم الامور فظنوا ان الله سبحانه وتعالى يحب أن تعمر الدنيا لذاتها وليس كذلك بل انشأها على ما هي عليه لتكون طريقاً لاحدى الدارين إما الجنة او النار فمن احب دنياه فالنار مثواه ومن زهدها وصرفها في مصالح آخرته وصرف قلبه عنها فهو المستحق لدار الكرامة فاذا رأيت اهل الجدل فلا تخالطهم فأنهم كالشياطين لا يأتون الفساد الا من بابه فيأمرونك بالاشتغال بالدنيا والآخرة لعلمهم أن النفوس لا تميل الا الى الدنيا

وما قصدوا بذلك الا ان يصدوا القوم عن دينهم ليمرقوا معهم حيث مرقوا ورأ الحكمة التي هي حكة لا حكمة ولكن اهل الهداية لم يجعل الله للشيطان عليهم سبيلاً فزن نفسك ياهذا بهذا الميزان الشرعي الذي لا يخطىء فان وجدتها ميالة الى هؤلاء المخلطين ومنقادة الى متابعتهم تواقة الى تحسين الألفاظ وكثرة الجدل والبحث فيما لا يعني فاعلم انك خبيث الاستعداد والقابلية وانك الى الشقاء اقرب منك الى السعادة وان وجدتها ميالة الى صحبة المخلصين من عباد الله الذين اتخذوا الدنيا سوقاً مسلوكاً وقنطرة معبورة لا دارا معمورة فاعلم انك من الناجين وجد في طريقك بما اوصاك به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله عليك بخويصة نفسك وليسعك بيتك لأنه ما نهي عن مخالطة الخلق في مثل هذا الزمن الا لاتقاء الفتنة والوقوع في ورطة الاعتراض والانتقاد فان كنت ضعيف القلب فاعتزل الخلق بالقلب والقالب وان كنت ممن تمكنوا من انفسهم فاحفظ قلبك وخالط من شئت فانك لا تزداد الا يقيناً وما اردنا بمن تمكنوا من نفوسهم الا اهل الأنوار واياك ان تغرك نفسك فتغتر بها في حال من الأحوال فأن دسائس النفس والشيطان مخدع لكل سالك وما نجا منها الا المخلصون ولقد اخرجتنا بواعث الغيرة الاسلامية والنصيحة الدينية مما كنا فيه من البيان فلا يخرجنك الملل عن دائرة القبول ولا يستميلنك الشيطان عن طريق الاسترشاد وعد معنا الى ما عدنا اليه فان من الوجوه الدالة على غلط القائل بأن العبادة هي مجرد الشعور بالعظمة الإلهية أنك تعلم علم اليقين أن حمي عزة الله الأحمى وجناب عظمته لأقدس منزه عن ان يحوم حوله مدركة تصور أو سانحة أفكار او مخيلة

أوهام بل عجز عن ادراك كنه حقيقة عظمته العالمون والعارفون ومن المعلوم الضروري أن من غاب عن بصرك رأيته فقد حجبت عن بصيرتك عظمته ومن لم يدركه منك العيان فقل ان تخشاه يا أيها الانسان فلذلك رحم الله عباده بأن شرع لهم العبادات التي بها يصلون الى الاتيان بما كلفهم به من الخشوع والحضور لاستحضار مزايا الأعمال التي يتلبسون بها عند العمل وما قال لهم أستحضروا عظمتي ولكن قال (يا أيها الذين آمنوا لا تقربو الصلاة وانتم سكاري حتى تعلموا ما تقولون) ولا فرق بين سكر الخمر وسكر الغفلة والسهو وما انكر عليهم الغفلة عنما يقال وما يعمل وأمرهم بأن لا يتلبسوا بالعمل الا اذا تمكنوا من العلم به الا لعلمه بأنه لا يمكنهم أن يتوصلوا الى الخشوع والخشية والقرب المعنوي الا بذلك فكانت تلك العباداة المفروضة كالآداب القانونية التي تضعها الملوك للجند لاظهار الاحترام والتعظيم عند رأية الملك أو المثول بين يديه فكما أن الجندي اذا ترك الحركة التي أمره القانون أن يعملها عند قولهم سلام دور او حاظ دور مثلاً وأتى بما هو اكبر من ذلك احتراماً وتعظيماً لما قبل منه بل يجازى على ترك تلك الحركة القانونية فكذلك المفروضات الشرعية لا يقبل الله من العمل غيرها اذا لم ياتى بها العامل ولا تقع الخشية والخشوع المطلوب من العبّاد الا عند هذه الأعمال اذ الحق سبحانه وتعالى لم يفرضها عبثاً ولو علم الخير في غيرها لما فرضها وترك ما يأتي به الغرض المطلوب وما كلف الرحمن سبحانه وتعالى عباده بالشعور بعظمته في حال من الأحوال لأن ذلك ليس في طاقة العمال بل لا يأتى ذلك الا من طريق الاختصاص عند تجلي الحق سبحانه وتعالى لعبد من أهل الخصوصية وأما عامة الخلق فما طلب منهم الا

الخشية والخشوع ليتحقق الانسان اذ ذاك بحقيقة العبودية الجامعة لأوصاف رتبته الامكانية من عجز وضعف وافتقار ومذلة هذا هو المطلوب من العمال عند العمل خصوصاً الصلاة الجامعة لغالب أنواع القرب ولو تصور متصور ان استحضار عظمة الله تعالى في طاقة مخلوق بغير تعرف الهي لكان مخطئاً في تصوره اذ الشعور بالعظمة حال لا يتلبس به الانسان الا اذا تخيل ربه في شأن عظيم من الشؤون فان تخيل أنه في السماء أو فوق العرش أو ملأ السموات والارض كما يزعم العامة أو أنه شديد البطش حيث لا يدري ما هو البطش بالنسبة له تعالى الى غير ذلك من التخيلات الوهمية التي وضع القوم للخلاص منها قاعدة في قولهم كلما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك لكان من المشبهين ولأغرق نفسه في بحر لجي لا نجاة لسابحه الا اذا احتملته أيدي العناية الربانية ولو قلنا ان الشعور بالعظمة معناه أن يتذكر الانسان أن ربه قدير قوي فعال أو غير ذلك من صفات الجمال أو الجلال والكمال لما تصور متصور أن ذلك شعور وانما هو علم استوى فيه كل من يعلم أن له رباً عاصياً كان أو طائعاً من العلماء أو من العوام اذاً فلا سبيل للاتيان بما يرضي الله من أنواع العبادات الا بعمل ما أمر العبد بعمله فلذلك شرع الله لعباده الصلاة والصوم والحج وجعل مفتاح الصلاة بعد تكبيرة الاحرام التوجه والفاتحة التي جعلها تحية يحيي بها العبد ربه اذا تمثل بين يديه في الجهة التي أمره أن يتوجـه اليه منها وفرض الركوع والسجود وغير ذلك مما به يكون العبد بعمله متصفاً بوصف عبوديته التى ليس له طريقاً توصله الى ربـه غيرها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاياك أن تجهد نفسك في السلوك الى ربك

من غير الطريق التي وصفها للسالكين فتهلك من حيث لا تشعر ألا تفقه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانك لا نحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وما كان الا في موقف الحمد الواسع النطاق وهو سيد الادباء والظرفاء معلم العلماء وأفضل الأنبياء وافصح الفصحاء فكيف بك ايها المسكين الجهول بربك اذا أحببت أن تستحضر عظمة من لا تدركه العقول ولا تحوم حول كبرياء جبروت عظمته الأوهام (ويحذركم الله نفسه) فلا تكن من الجاهلين وكن على يقين من أن العبادة هى المعرفة التي قوامها اتباع الأوامر واجتناب المناهي واياك وزلاقة اللسان فان اللسان الخفيف سريع الحركة سريع الغلط سريع العطب سريع الوقوع بصاحبه في المهالك ولذلك ما اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس شيء من الحواس كما اوصى بحبسه وقال انه لا يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم وفرارا من عثرات اللسان وشبهة البيان قال المفسرون في قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) اى يعرفون لعلمهم أن المعرفة لا تكون الا باتباع الأوامر واجتناب المناهي ومن فقه قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة وقوله ما عبد الله بشيء أفضل من لقمة في بطن جائع وقوله نوم الصائم عبادة الى غير ذلك من الاحاديث علم انها امر كلي تعددت أجزائه ولا يجمعها الا المعرفة بالله وهي لا تكون الا بما قلنا فاياك والتساهل في أمر دينك فان السفر شاق والعقبات مهلكة ولا ينجوا سالك الا بحسن المتابعة وعدم الانحراف والميل (وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون)

﴿ يا هـذا ﴾

ماافترستك ضواري الطيش والغرور الا لجهلك بحقيقة انسانيتك التي هي اكمل المظاهر الكونية وبها صح للانسان الكامل المطالبة بحقوق الشفعة في الجوار الأبدي المشار اليه في قوله تعالى (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وقد اذكرتني حالك وما أنت عليه من الأخلاق التي ظننتها محمودة وانها لهي المذمومة لأنها لا حجاب للنفوس أغلظ منها سابق موعدتي التي وعدتها اياك في رسالتي المسماة بحافظة الآداب وموقظة الألباب أن أكشف لك عن حقيقة الانسانية القناع واني لموقفك في خاتمة الكتاب ان شاء الله تعالى على رأس هذه الطريق التي ما وقف عليها واقف بصدق نية وتوجه عزيمة وهمة الا جذبته أيدي العناية الى مفاوز الهداية حتى يدخل الجنة بغير حساب فتوجه الي باذن صاغية وقلب سليم من الأصرار والعناد المؤدي الى الجحود والانكار ولا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً فان العجلة مجلبة الاعتراض وان الانكار والاعتراض ليذهبان بكثير من منافع الأغراض وفي قصة موسى مع الخضر الكفاية وعليك التسليم وعلى الله التوفيق والهدايه . يا هذا . أما لك اذن واعية تصغى بها الى خطاب الأكوان كمن انصت فسمع . أمالك عين مبصرة تبصر بها ما فيك من دلائل الارشاد والتذكير . اما فيك من حاسة شعور تتفقد بها رقائق بشريتك حتى تقف على مصدر البواعث التي تستفزك من وراء قلبك لما هو المراد بك ومنك مما تعمل او تقول تالله ان المنادي لقريب اقرب من حبل الوريد ولكنك الأصم الذي لا يسمع والاكمه الذي لا يبصر فما مثلك مع رسل ربك الا كمثل صبي اشغلته الدفوف وانواع

الملاهي عن نداء أمه حتى طلبته فلم تجده وقد فقد لفقدها تعطفات المبرة فكذلك أنت قد ذهبت بك شواغل الاشتغال بكواذب الآمال الى سيء الاحوال وسوء المآل حيث جذبتك سابقة استعدادك وقابليتك الي ضياع امنيتك ومصارع منيتك فلا يلويك ارشاد ولا يوقفك المناد

إذا ما حواس المرء للهو أطلقت * ودارت وراء الطيش حيث يدور
تلهى عن التذكار في سهوة الهوى * ودل به الشيطان وهو غرور
فيسعى الى ما يورث الخزى كسبه * ويعدوا الي ما منتهاه سعير

« يا هـذا »

اما فيك من الفكر الصائب مايلجئك الى التحامي بحصون المتاب . اما تستحي من ورطات العتاب ان لم تخش شديد العقاب . اما آن لك أن ترطب لسانك الجاف لحرارة الجفا ببرد الخجل وانين الشكوى . اما يلزمك شديد ضعفك وفرط عجزك أن تترك ما أنت عليه من وقاحة الدعوى . أما أبصرت وسمعت ما فعلت دواهي المنايا بأمثالك . اما علمت من حالك ما ستقدم عليه من عواقب اعمالك وخيبة آمالك . أتظن أنك كالبهائم أيها الهائم التي ينقضى كدها ونصبها بانقضاء الاجل . لا والله انما وراء الموت لما يخلع علائق القلوب من شدة الوجل . فهل لك ايها المسكين صبر على لهب النار . ام انت ممن لهم جلد على تحمل غضب مولانا القوي المنتقم الجبار . فمالك قد اخذ بمخنقك الشيطان الى مصرعك حيث الاغترار بهذا الأمد القصير . والهاك عما اعده لك مولاك من حسرة الندم وسوء المصير . قف حتى ارشدك طريقا نصب الله لعباده فيها اعلام الرشاد . ان كنت تريد ان تكون مع الناجين من العباد (وما تشاؤن

الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابًا اليما) فعسى ربك وقد علم منك صدق النية في الرجوع اليه . اذا أقبلت بقلبك وقالبك أيها الآبق عليه . ان يكشف لك من حجاب بشريتك ما تبصر به شيئًا من اسرار هاتيك الرقائق . فتصل بذلك الكشف الرباني الى ادراك ما يرشدك الى الوقوف على شيء من الحقايق . فما اظنك الا مفتونًا بنفسك ومحجوبًا بحسك . وقد سحرت عيني بصرك وبصيرتك ألعاب دنياك التي ما افتتن بها الا كل مغرور . ولا يركن اليها الا اهل الفسوق وأرباب الفجور . اذ العاقل لا يطمئن وقد اشتد حر الهجير الى ظل زائل الا اذا غلبه النوم . ولا يفرح بما هو كالطيف الطارق والوهم الباطل الا من لا يخاف العتاب واللوم . أيليق بك وقد زعمت انك أفقه الأئمة المجتهدين في الدين أن تجعل نفسك الأبية منفذ هواء الشهوات وألعوبة للشياطين . تالله لا تدرك مدارك السعداء الا بالاستسلام لربك . وحيث تترك دعواك وتدأب على طاعة مولاك وتستغفر من ذنبك . وما ذنبك الا قطع العلائق بينك وبين المرسلين . والتطاول في الانتقاد للعامة والاعتراض على الخاصة من الاتقياء الصالحين . ياهذا نحن لا نخاطب الآن بما سنمليه لك الا اثنين من الناس الواحد منهما الفقيه الذي انتمى الى الدين . ويجب ان يكون قدوة واماما للمسلمين . اذ هو أولى بقبول المواعظ والنصائح . واحرى بأن يتباعد عن مذمومات القبائح وموجبات الفضائح . والثاني الافندي الذي اشغلته دنياه عن تذكر مابعد الموت . وحالت بينه وبين الراحة الابدية اتعاب اللذاذات الزائلة حتى عاجله الفوت . وقد حسن له الغرور حاله حتى ايقن انه من الناجين . لسلامته من سلب الأموال

وأذى الجيران وغش المسلمين . ظانا ان كل من كان هذا حاله يدخل الجنة بغير حساب . وان لم يأت بشيء مما نصت على مفروضيته آيات الكتاب . وان هذا لهو الغرور والطيش المذموم . الذي منشأه الافتتان البين والهوس المعلوم . فالنبدأ بك ايها الفقيه الاخرق المعوج المائل . الذي لم يخش شديد الانتقام في اليوم المهول الهائل . بعد سماع ماوعد به صادق الوعد والوعيد . بمثل ما في السورة التى فيها قوله تعالى (فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد) فنقول ليس الشأن ان يراك ربك في اندية الملاهي والالعاب . وان يسمع منك رقائق النكت في مجامع اهل الخلاعة وعند مواجهة الاصحاب . لان ربك ما انزل كتابه الذي تحفظه اوتسمعه الا يحزن الناس ويبكيهم . ويجنبهم اعمال الشيطان والى الرحمة يقربهم ويدنيهم . واعمالك ياهذا مخالفة لما جاء به الكتاب الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا لبطش بك ولكنه ستير وحليم . ليس الشأن ان تكون حسن البذة ونظيف الأثواب . انما الشأن ان يكون لك عمل صالح تنال به عند الله الأجر الوافر وجزيل الثواب . فان ربك لا ينظر الى الهيآت والصور . ولكنه يطلع على القلوب . ليزيد من شكر ويجزى من صبر . فما بالك تزهوا اعجابا بلبس النظيف النفيس . ولو فتشنا باطنك لوجدنا قلبك أوسخ من عرض ابليس . ليس الشأن أن تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الشأن أن تضاهي بين حالك ومقالك كلما اردت ان تتكلم . فان علمت من نفسك الوفاء بما طالبك به مولاك . فأفض على غيرك من الحكمة والموعظة مما رزقك الله وآتاك . والا فضع لسانك تحت قدميك . فان الملائكة لتعجب من جرئتك على ربك وان الشيطان ليضحك عليك . لأنك فيما تقوله ما أقمت

الحجة الا على نفسك . وقد شهد عليك بمخالفة قولك لعملك حالك في يومك وفارط أمسك . فاذا لم يخرسك الخجل اذ ذاك من ربك فقد وفيت حقوق الوقاحة . ولربما رسم اسمك يامسكين في دفتر المطرودين وسجل المستهزئين وأهل القباحة . ليس الشأن ان تتكلم على آى القرآن بما سطره من قبلك من أهل البلاغة والبيان . وقلبك محفوف في حال زهوك وتباهيك من جنود الغفلة بألف شيطان . هذا يدعوك الى ان تغتاب الفضلاء وتزدري العلماء العاملين وذاك يقودك بسلاسل الاغواء الى ان تفتري الكذب على رب العالمين . حيث كان الأليق بأولى الالباب الخشية والأدب اذا انتصبوا لتأويل الآيات . التى انزلها الله تبارك وتعالى لتكون على صدق نبيه من اقوى الدلالات وأعجز المعجزات . فتفطن ياحبر لما انت عليه من الاحوال المحزنه . واطع ناصحك لتكون ممن يستمعون القول فيتبعون احسنه . ليس الشأن يا ايها الفقيه أن تتساهل في اداء ما فرض عليك ربك من المفروضات . لاشتغالك عنها بما عسى ان تنال به عند القوم رفيع الدرجات . اذ لا قدر ولا قيمة لمن سقط لكثرة هفواته من أعين جبار السموات والارضين . حتى وان كان من الملوك او ممن تهابه قلوب الناس اجمعين . واي فائدة لك في ان تكون الآن مهابا بين العظماء من الناس . اذا كنت لا تلقي مولاك في القيامة الا بخزى المهنة وحقارة الافلاس . وما افلاسك الا خلو صحيفتك من اعمال البر الا ما لوثته بنسبته اليك . واما تكبرك وازدرائك لغيرك فهو الذي خلع خلعة المهنة عليك ليس الشأن ان تكون في مصالح دنياك خبيراً زكيا . ولو اختبرناك في امر دينك لوجدناك جهولا غبياً . حيث سابقتك اليها فى الحرص عليها الحشرات

والاهوام . ولافرق اذا ما فطنت فى تناول لذاتها بين الملوك وبين بهيمة الانعام .
فقد تساوت انواع ما الحيوانات فى شهوتي البطن والفرج وضرورة الهجعة عند
النوم . وازداد الانسان على حرصه وشبقه المعاقبة يوم القيامة واللوم . وماشرع المشرع
الاعتدال فى ذلك الا ليتفرغ الانسان لطهارة قلبه . ويتقرب بالاوصاف
الملكية والأحوال المرضية الي ربه . ليس الشأن ان تطلب العلم لأن تكون
غنيا جليلا . فتكون من الذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلا . انما الشأن ان
تعلم لتعمل بما علمت . وان تتحقق من الاحوال بأحسن ما طالعته اذا ما عقلت
وفهمت . وان لم تكن هكذا فقد استجلبت لنفسك مهواة الهاوية . وما ادراك
ماهيه نار حاميه . ليس الشأن أن تقرأ وأنت الجنب او السكران . فتكون الملعون
لجميع الخلائق يا أيها الشيطان . اذ لا عمل اقبح واشنع من هذا الاستهزاء
والتهاون البين . وانه لشديد الصعوبة وانه ورب العزة ليس بالأمر الهين . اذ الذي
يستهزيء بكلامك فما استهزأ الا بك . فتفطن يامغرور لهذه النار التي ما
علقت الا بجسمك واثوابك . وطهر ثيابك وبدنك وقلبك لتلاوة القرآن
لانك في اوقات التلاوة نائب النبوة وجليس الرحمن . وما اقبح ياعبد وقاحة
الجليس . ومن يفعل ذلك فقد شارك بعمله اللعين ابليس . ليس الشأن ان تلتمس
ما قسم لك من الرزق بما نهاك عنه رب العالمين . كالتملق لذوي الوجاهة
او التحبب الى الخلق بادخال الشرك الخفى في اعمال الدين . انما الشأن
أن تتوكل على ربك وان تخرج الاعتماد على غيره من صميم قلبك . ليس
الشأن ان تترك مزايا السكينة والوقار . وتمرح في الملاهي وتفرح بتناول
الشهوات كأنك حمار . لأن حضرة الصفاء والانس الرباني لا يدخلها المتلاعب

ومن يدعى الايمان مع تعود الهزل واعتناق الملاهي فهو الكاذب . ياهذا ان لم يطهرك ربك من ذنوبك بدموع عينيك . فاعلم انه مقتك من حيث لا تشعر وغضب عليك ، وان لم يوفقك برعاية عنايته لقيام جزيء من الليل . ولم يقومك بزواجر الفكر والعصمة حال الانحراف والميل . فتيقن انه ماعاملك الا معاملة امثالك من الحيوانات . وما بسط لك الرزق الالتتزود من المهلكات وانواع الموبقات . فان شئت فناديه نداء المضطر الملهوف . عسى ان يدركك باللطف الذي هو به موصوف ومعروف . والا فشمر ثيابك وامرح كما تحب وتريد . طوع استعدادك يافاقد الاحساس ويا أخس العبيد . ليس الشأن ان تتهاون باوامر مولاك التي ما انزها الا لاصلاح شؤنك . فربك الحكيم اعلم بصالحك منك من قبل خلقك وتكوينك . ولو لم يكن لك منفعة او منافع في كل ما فرضه عليك من الطاعات . لما ارسل لك الرسل وايدهم لك بما ايدهم به من المعجزات . فهل اراد منك او من عبادتك ايها الأحمق تقويم شيء اعوج في مملكته الواسعة . ام دعاك بذلك لتشترك في تدبير احوال خلقه معه . كلا والله ما فرض انواع القرب الا ليرشد اصفيائه الى معالم قربه . فيخلع عليهم خلع رضوانه ويسقيهم شراب معرفته وحبه . وفى ذلك لذة الوجود وحلاوة الحياة الأبدية . وكلما كان غير ذلك شهوات شيطانيه ولذاذات بهيميه . (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم ولبئس المهاد) . ليس الشأن ايها المعتوه ان تحلق اللحية وتطيل الشارب . لأن ذلك علامة سوء الخلق وخبث المشارب . اذ الخلق الميال إلى السكينة والوقار . يأبي ان يستقبح ما استحسنه الفاعل المختار . ليس الشأن

ان تطلق لسانك مرحا في ميدان الغيبة ولغو الحديث . وترسل حواسك لاستجلاب ما حرمه عليك ربك من رؤية الزخرف وسماع الخبيث . لان كلما ذكرناه من الاعمال مطايا العمال الى مصارع الانتقام . وها قد وفيناك حقوق النصح وعليك السلام . ايها الافندي وما قصدنا به الا كل من فقد كرامة العمامة . وان كان من أعالي الأمرآء وارباب الشهامة . مهلاً مهلاً لا تعاجلني بالتولي والاعراض . ولا تأخذك العزة بالاثم طوع شهامة الكبر وسقامة الأغراض . فما أهمني أمرك الا لدعواك أنك من المؤمنين . وانك من امة خير الانبياء وسيد المرسلين . فلذلك ماصدني عن نصحك قنوط ولا أياس . وان كان حالك لأسوء حال نراه في الناس . تركت مرآة الوجود التي ان استقبلتها انكشفت لك من حالك المخبآت . ولربما اطلعت على عيوب نفسك وكل ما استتر عليك فيها من العورات . وأطلت النظر في غالب اوقاتك الى مرآة الحلاق . فأشغلك الزهو بحسن الخلق بفتح الخاء عن محاسن الاخلاق افتطمع ان يخطبك الملك لابنته . ام تريد ان تشارك احداً من خوانك المسلمين في زوجته . ام انت من الولدان الذين شابهوا الغواني . بالتشبوف الى مواسات اللائط والزاني . ايغني عنك جمال الهيأة من الله شيئاً اذا ما قبحت أعمالك . ام يفيدك علو منزلتك في الناس وقد انحط قدرك عند ربك وخابت آمالك . اليوم تزهوا بالكتينة والبيونباغ الحرير . وغداً تسحب بسلسلة ذرعها سبعون ذراعاً الى لهب السعير . (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) يومئذ يتبدل اعجابك وزهوك باعتدال قوامك ومشيتك . بارتعاد فرائصك وتنكيس رأسك وشدة دهشك وخشيتك . فمالك لا تتذكر كربة ذلك اليوم الطويل

الثقيل . ولا تخشى وحشة الخزي والخجل اذا ماوقفت بين يدي مولاك الجليل كأنك من الذين يكذبون بيوم الدين . ام اتخذت عند الله عهداً ان لا تذوق العذاب مع اخوانك المتكبرين . كلا والله لأنت احقر من ان ينظر الله اليك فأنى لك ان تبلغ عهد الامان . الذي ماركن اليه في دنياه اشرف مخلوق وافضل انسان . أيليق بك أن يكون اسرافيل من مخافة ربه كما رآه النبي كالحلس البالي . وانت ياأخرق ياأحمق في مرحك ولهوك تقضي ايامك والليالي . ومع هذا تزعم ان العفو والرحمة اذ ذاك ستشملك . اوكأنك ظننت ان الذي امهلك الآن سيهملك (ولاتحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) ما أودنا لك هذه التذكرة القرآنية الا لتسترشد من المفسرين الى معناها . وتقيس حالك على مايبدوا لك من فحواها . فان الظلم ليس بقاصر على الشرك بالله ولا بمنحصر في اجحاف الملك بحقوق من ملك امره وتولاه . ولكنه يشمل كل ضعيف او قوي جاء بما لا يرضى الله ورسوله . أو التمس أمراً ليس له اهلاً وأبي الا ادراكه وتحصيله . وهاك فاستمع لي حتى أعدد لك ماأنت عليه من المظالم . غير الذي لا يعلمه منك الا السميع البصير العالم . ياهذا لايخلوا حالك من أمر من الامور . التي اتخذها سبباً لاصلاح المعيشه في هذا الزمن الجمهور . فاما ان تكون من أرباب المناصب السياسية . أومتولياً أمراً من متعلقات المحاكم الشرعية . أوممن لهم حق في مرتبات الروزنامه أوممن قضى في اتخاذ الحيل للحصول على القوت أيامه . اما الامر الاول فقد

حرم كالزنا على المؤمنين * الا من الجأته الضرورة وكان ممن تنسك وتمسك بالعروة الوثقى من المدين * وقليل ماهم * واما انت فما فاتك الظلم في جميع احوالك . لأنك لم تتبع الا الظن في جميع اعمالك واقوالك . سيما وقد التبست الأمور على المتبصرين في هذا الزمن . بافتراء المزورين وتمويهات ذوي اللسانة وأرباب الفتن * وانت عند التلبس بأعمالك لاتراقب العليم الخبير * ولا تتبرأ من حولك وقوتك في تعاطي هذا الأمر الخطير * بل تظن ان من سواك وسوى امثالك من الناس ضحايا الجوائم * وان من هفا هفوة أوما فوقها الى ثلاث فكأنما ارتكب جميع المآثم * فما تقابله الا بالاعتراض ونظرة الانتقاد * وتكون لنيران البلايا عليه بمقتبسات افكارك شر مثير ووقاد * حيث قلبك في أكنة الغفلة عن الحديث المأثور * عن الذي ارسل اليك ليبصرك بعواقب الأمور * قال عليه الصلاة والسلام مامعناه يأتي يوم القيامة برجل كثرت ذنوبه وقسى قلبه فيؤمر به الى النار فينادي ارحمني ياأرحم الراحمين فيقول له الحق تبارك وتعالى جئني من صحيفتك ولو برحمة عصفور فكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بعد هذا الخبر يشترون العصافير من الأطفال ويطلقون صراحها رجاء الرحمة الالهية وقس على ذلك جميع احوالك تجدك ظلوماً جهولا وجيد الفكر فتاش على نفسه واياك ان يغلبني الشيطان فيك فيقول لك لارحمة في الحدود ولا كرامة لأهل المظالم فان الحدود الآن ليست بشرعية ولربما تاب العاصي فصار مقبولا والراحمون أقرب للرحمة يوم فصل القضا واما أنت يامن انتصب لرفع أعلام الشريعة بتوليه القضا * غافلا عن كل مايصل اليه من ربه في حالتي السخط والرضا * اما تدري انك المعزول عند ربك * وما

أقامك حيث أقامك الا لينتقم منك يوم القيامة بذنبك * فان من تولى مناصب القضا عن رغبة دنيوية فهو في النار * لأنها مرتبة العزيز الجبار * وما تعاطاه الانسان الا من طريق الخلافة المذكورة في القرآن * وان فاتها القسط فما هي الا من عمل الشيطان * (ياداوود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) ومن ذا الذي ماغلب عليه الهوى في هذا الزمن العسير . وان ربك ليحاسب على الفتيل والنقير والقطمير . وكفى بك على نفسك حكماً وشاهداً . فقد اصبحت الى جهنم سائقاً لها وقائداً . ارشدنا الله واياك الى الصراط المستقيم . ووقانا شر الافتتان والغرور وعذاب الجحيم . وانت يامن تساق له الارزاق وهو غافل . وقد تيقظه في دياجي افتتانه وغفلته آفل . مانراك الا معتنقاً صحف الاخبار . ومضاجعاً للملاهي أناء الليل وأطراف النهار . كأن الله سبحانه وتعالى ماسهل لك الارزاق الا لتلهو وتلعب . وكأنه اعطاك الأمان مما هو اشد من الموت وأصعب . ناشدتك الله ماشأنك في استكشاف اخبار الأمم وقد خفيت عليك احوالك . وما تستفيد من غلبة احدى الطائفتين المتحاربتين وقد غلبك شيطانك وخابت آمالك . من ذا الذي خول لك ان تترك نفسك هملا ويتطاول عنقك تشوقاً لمصلحة الغير . الذي لا يصل لك منه مدى عمرك شيء من الخير . ومن الذي اغراك بمطالعة الصحف بالوقوع في غرض سلطانك . الذي جل عن ان يحيط علماً به مثلك يا أخس اقرانك . اما تعلم ان الفارق بينك وبينه كما بين السماء والأرض ووجودك معه كوجود المندوب اذا تحتم الفرض . قال عليه الصلاة والسلام اذا

اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة وحكم الحاكم يمنع الخلاف. سيما اذا كان معروفاً بالعدل والانصاف. فاترك سلطانك في هذا الزمن وشأنه لتكون من المفلحين. واياك ان تهلك كمن هلك من الذين مرقوا من الدين. فان محبة السلطان من اقوى ادلة الايمان. والوقوع في عرضه فساد وكفر وطغيان. فدع الاشتغال بما لا يعنيك. وقسم اوقاتك بين ربك وبدنك واهلك وذويك. فان مكنك ربك وأعانك على أداء حقوق هؤلاء الأربع فانت الامام وكنت قد فزت بسعادة الأبد وعلى الدنيا السلام. والا فراحتك في دنياك هي مقدمات العذاب في النار. ولذاتك التي تناولتها الآن مذرعة العناء والاكدار وما علمتك الصحف الفصاحة الا ليخرس عند السؤال لسانك. اذا قال لك ربك اين العمل الصالح الذي دعاك اليه إيمانك. فتبصر اخيّ فما خفي الحق على بصير. واياك ان يكون نصيبك من الدنيا الخزي وسوء المصير. واعلم ان اهل الصحف اول من يدخل النار من اهل هذا الزمن يوم القيامة. ويتبعهم القراء كالجنود الا من جعل القرآن قائده وامامه. والكريم الذي يكون خلقه القرآن لا يتتبع عورات المؤمنين. ولا يختار فضيحة انسان من المسلمين. فالاولى للعاقل الرشيد ان يترك الصحف واهلها. وان يتجنب تلك المشارب علها ونهلها (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) ويا من اجهد نفسه في التماس الارزاق من طريق الحيل، والجأه الى الاغترار بقصير العمر طويل الامل. قف معي في موقف التناصح وذر الجدال. فاني اعلم ان الدنيا بالاقبال وان الآخرة بالاعمال. وان ما قسم لك لابد ان يأتيك. وما لم يقسم لا تناله وان كانت الملوك تعاونك وتقويك فلماذا تركك الفرائض او اداءها في وقت واحد على عجل. وقلبك بما تتوهم فواته

من الرزق في اشتغال ووجل . ألك حول وقوة تجلب بهما الارزاق . ام لم تعلم بأن الخلاق هو المعطي الرزاق . كلا ان حرصك وجهلك قد جعلاك لاخوانك بغيضاً وحسوداً . وكان الاليق بك ان تكون سموحاً وودوداً . اذ الحرص والمشاحة هما من خصال الكلاب . وانهما لمذمومان في العبادة وفي آيات الكتاب . وانك ان كنت تاجراً لتترامي علي الغواني في الأسواق . عسى أن تظفر منهن بشيء من معجل الأرزاق . غافلاً عن الحكمة التى بها أقامك ربك هذا المقام . وما هي الا ان تكون سيء الادب باستعجال ربك في الرزق وان تتناوله من طريق حرام . فلا تكن يا هذا ألعوبة للشياطين . ومرمى سهام المسخ القلبي والخزي من رب العالمين . فلو لم يكن قلبك ممسوخا كلبا لما نبحت المارين . ولما تركت ربك وتعلقت بأذيال الفقراء والمساكين . وان كنت ياهذا من اهل الغش وارباب الخيانة . فما انت الانسان الذي حمله الله الأمانة . انما انت شيطان في صورة انسان . ومثلك قديرى جهنم من قبل ان يشعر بموته الجيران . وان كنت ممن تعود الزنا وتعاطي الخمور . فتضرع الى ربك أن يلطف بك في هذا القدو المقدور . فلقد وقعت من الطرد والوحشة في قرار مكين . وامتطاك الطيش وخدعتك النفس واستهوتك الشياطين . وما وراء ذلك الا مقت الدنيا والآخرة . والغم المديد الذي يؤاتيك في مبداء سفرك قبل حلول المقبره . وان كنت ممن تركوا الصلاة والصوم . وتهاونوا بالفرائض كشبان اليوم . فقد سقط عند التكليف لكفرك وطغيانك . وصار ابليس رفيقك الى جهنم ومن اعز اصدقائك وخلانك . وقد شطب اسمك من دفاتر الامة المحمدية . لافلاسك من صالح الاعمال

واخلاص النية . وان كنت ممن تعود وامسامرة الندمان . على قارعة الطريق وفي مجامع الشبان . وهجرت المساجد ومن فيها . وتلوي عنقك اذا مامررت على مبانيها . فاعلم ان ربك لم يخترك لمجامع القرب . ولم يصطفيك للخدمة لانك لاتصلح لكرامة الوداد والحب . وربما كان فقير العوام اقرب منك الى الله . لسلامة نيته وحسن توكله على مولاه . وانت ما ضرك الاطلاقة لسانك وظلمة قلبك . واشتغالك بدنياك ونسيانك لربك. وان كنت ممن تولعوا بالغواني والاغاني . ومماارتبطوا مع دينهم الا باكاذيب الدعوى والاماني. وقد جف لسانك لجفوتك عن ذكر مولاك . وغفل قلبك لقسوتك عن شكر ماسدى اليك من النعم واولاك . فعد نفسك في اعداد المجانين. واياك ان تدعى انك من المسلمين . (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكات فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون) (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) الى آخر السورة فالعبد الذي يبتغي النجاة عليه ان يبحث في كتاب الله عن اوصاف المؤمنين ويزن نفسه بمقارنة حاله بتلك الأوصاف ولا خير فيمن غش نفسه بنفسه ومن خفي عليه حاله فهو الاعمى (ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة أعمى واضل سبيلاً) الا قاتل الله القوم الذين اخرجوا الناس من حصن لااله الا الله . واضلوهم عن طريق الهدى التي مفتاحها محمد رسول الله . وزحزحوهم عن مراكز الانسانية التي هي باب الرضوان . ومفتاح الجنة وعروة علائق الغفران

فتاهوا بهم في أودية الإستغنى والاستقلال . وما حصلوا الا شؤم الاحوال وسوء المآل . فوجب علينا الآن أن نبين شرف الانسان وكمال الانسانية. لننشر اسرار البشرية من طوايا الاخلاق المحمدية فنقول . الأنسان الكامل أكبر دليل على الله وما قصدنا بالكامل الا الذي تحقق بحقيقة الانسانية التي سيأتي بيانها لأنه هو اكمل المخلوقات خلقاً واحسنها تقويما وما اتخذ الله من خليفة من خلقه غيره وما امر الملائكة بالسجود له الا ليذعنوا بثبوت خلافته لأنهم هم الذين قالوا (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) كأنهم يعنون بذلك أنهم احق بالخلافة منه فأجابهم الله بقوله (ني اعلم مالا تعلمون) لعلمه ان الانسان الكامل ليس بصالح للافساد لعدم قابلية استعداده له لأنه خلق لأن يكون خليفة مصلحاً واما المفسدون فليس لهم حق فى الخلافة بل هم ممن استخلف الله الانسان عليهم اذ لا معنى للخلافة الا نيابة المستخلف بفتح اللام عمن استخلفه في الاشياء التى استخلفه عليها وعينها له بتشديد الياء المفتوحة وما عين الله للخليفة من الاشياء الا الحكم بين الناس بالحق للخليفة الحاكم والارشاد الى الصراط المستقيم بالتبشير والتحذير للخليفة المرشد إما من طريق الرسالة للأنبياء واما من طريق التثبيت الوارثي بالأذن الاختصاصي للأولياء وفي كلتا الحالتين لا يكون الخليفة الا مظهرا لمراد الله سبحانه وتعالى في عباده فمن من الخلفاء اعانه الله على الاستقامة كما امر في التنزيل بالاوامر التبليغية التى هى الاحكام الشرعية والاخلاق النبوية فهو الخليفة الحق ومن لم يعتدل في سروج مطايا العدل فهو عند الله معزول وان طال مقامه بضم الميم في ذلك المقام بفتحها لأنه ما اقيم فيه الا لتنفيذ احكام

الهية اقتضت الحكمة العلية ابرازها على يديه حيث جعل مظهرا للانتقام لا للرحمة وذلك هو الذي يسمى ظالماً لتحمله الامانة التى لم يكن لها اهلاً وما حملها الا لقبول استعداده لأن يكون من الظالمين وعلى كل حال فقد اثبتت الخلافة للانسان حق الدلالة العظمى التى ذكرناها لأنه أظهر أثر ظهر عن المؤثر الحق فيما اختص الله به من شؤون خلقه وهو الحكم بينهم وارشادهم الى طريق السلامة ولتحقق الانسان الكامل بهذا المظهر الأكمل قال من قال انه هو اسم الله الاعظم اذ الاسم هو ما دل على مسمى ولا شيء اكبر دلالة من الانسان الكامل على ربه وما اعتمد من قال ان الاسم عين المسمي الا على شدة الارتباط والتلازم بين الاسم ومسماه بمعني انه لولا المسمي ما كان الاسم ولولا الاسم ما عرف المسمي فلذلك قال أنه عينه وما قصد الا عينية الاعتبار الذهنى لا عينية الوجود الحقيقى الذاتى فلا وجهة اذاً لمن قال لو كان الاسم عين المسمى لاحترق فم من قال ناراً وفر آخر من هذا الاعتراض فقال لا هو عينه ولا هو غيره فاختار الحيرة عن شبهة الاتحاد الذاتي والى تلك الحيرة انتهت مدارك الصديقين في وحدة الوجود فسموا العجز عن الادراك ادراكاً وهذه النقطة هى الحاجز بين مقام الصديقية ومقام النبوة لأن ذوق الأنبياء في هذا المقام فوق ذوق الصديقين وما دعا العارفين الى الاقدام على قولهم ان الانسان هو اسم الله الاعظم الا قرب التمكين وقوة التكوين التى تميز بها عن باقي الموجودات مع تحققه بوصفي العجز والضعف فكان للقوى القادر كالاسم المسمي اذ تقول لشخص من ضربك مثلا فيقول زيد وما ضربه الاسم ولكن الضارب هو المسمي فمن هنا صحت دلالة الانسان الكامل

على ربه فقالوا انه اسمه الاعظم لقوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) فتولدت الحيرة بين النفي في قوله وما رميت وبين الاثبات في قوله اذ رميت وما خلص للرامي الا وصف الدلالة على ان الله هو الرامي ومن هذه الطريق فهم القوم معنى الحديث القدسي الذي هو كنت كنزاً مخفيا فأحببت ان اعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني وهو حديث صحيح ايدت ثبوته آية (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) يريد يعرفوني وما عرفوه الا بالانسان الكامل وما عرفه الانسان الا بما تعرف به اليه من الشؤون التي يجدها من نفسه حيث كان عاجزاً ضعيفا لا قدرة له على الاتيان بها كما اشارت اليه آية (وما رميت) ولقد انكر الطبيعيون هذا الحديث بل وجميع الاحاديث القدسيه لضعف اذواقهم عن ادراك رقائقها الذوقية وحقائقها الكونية التي يتحققها البصير من فحوى قوله تعالى لنبيه (وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) وما سمع الا صوت النبي صلى الله عليه وسلم هكذا هي الاحاديث القدسية تجري على السنة الرسل فاثبتها العارفون اهل الاذواق وانكرها الذين لا ذوق لهم في هذا المشرب الهني ومعذور من ذاق ومعذور من لم يذق لأن اختلاف القوابل هو الذي جاء باختلاف المشارب وكل خزانة تنفق مما احرزت كما قال بعض العارفين

وفي عشق ذات الخال لامت عصابة * يظنون اني لست بالروح اسمح
يقيسون حالي فى الغرام بحالهم * وكل اناء بالذي فيه ينضح

ولا تتصور ايها المطلع النبيه اني اردت بقولي الانسان هو اسم الله الاعظم والاسم عين المسمى ان الانسان هو الله كما تصور الأغبياء كثيراً

من هذا القبيل في كلمات العارفين التى اصطلحوا عليها فيما بينهم كمن يقول أنا هو وهو إنا الى غير ذلك من العبارات التي التبست معانيها على غير اهل الطريق وان اهل الله لمنزهون عن ان يقصدوا تلك المقاصد التي تنادي على قاصدها بالجهل المركب واني لمرشدك الى طريق من الطرق التي سلكوها وكان في نهايتها تحققهم ببعض الحقائق التى وضعوا لها الاصطلاحات التي اصطلحوا عليها فاتبعني أهدك لذلك صراطا سويا واياك ان تعوقك عاهة الطغيان والجدل عن التسليم فان كل ذي عاهة جبار فتدبر واعلم أن الانسان ما وصل الى الدرجة التي بها كان هو اسم الله الاعظم كما ذكرنا الا بالمعرفة ولا تكون المعرفة الا بعد تودد وتردد واعني بالتودد الاتيان بما يحبه الله وبالتردد ملازمة الاعمال التى يجد الانسان ربه عندها كالصلاة حيث كان الله في قبلة المصلي ونتيجة التودد القرب والقرب ينتج الوصلة والوصلة تنتج اتحاد الارادات في المرادات وذلك علامة اتحاد الأخلاق الذي اوصي به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تخلقوا باخلاق الله وذلك الاتحاد ثمرته الخلة الصافية والخلة تنتج المحبة الجامعة التي ثمرتها الانوار الساطعة وتلك المقامات هي التي سألها الامام الشاذلي بقوله اللهم انا نسئلك التوبة الكاملة والمغفرة الشاملة والمحبة الجامعة والخلة الصافية والمعرفة الواسعة والأنوار الساطعة الى آخر ما سأل ولا يكون ذلك الا بعد رفع الحجب النفسانية ورفع الحجب لا يكون الا بعد فناء الانسان عن نفسه ولذلك اوقف النبي صلى الله عليه وسلم معرفة الرب على معرفة النفس بقوله من عرف نفسه عرف ربه وهل عرف نفسه الا الذي تقرب الى ربه بالنوافل حتى أحبه ومتى أحبه تعرف اليه كما في الحديث القدسي ه

تقرب الى عبدي بشيء أحب الي من اداء ما فرضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتي احبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الى آخر الحديث الشريف لان ذلك العبد يكون حقاً كله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حيث كان خلقه القرآن فتتولاه العصمة الاءلهية في جميع حركاته وسكناته هنالك يتفقد الانسان نفسه فلا يجدها بل يراها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حقوق التحية والترحاب ويؤتيه الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولوا الالباب فيتلقى ذلك العبد انفاسه بما يليق بحاله من آداب العبوذية التى تعامل بها الملوك عند ارسال الهدايا الى عبيدهم ويشيعها كذلك بالآداب هكذا حال فتيان الطريق في كل لمحة لتحققهم أن كل نفس ماهو الا هدية من الله لعبده ولو حبسه عنه لهلك هؤلاء هم القوم الذين لا تلحقهم الغلطات في العلم ولا في العمل ولا تخالطهم العبثيات وما ذلك على الله بعزيز وكان ذلك على الله يسيرا ومعنى قولنا انه يتفقد نفسه فلا يجدها ان ذلك العبد اذا ادركته العناية أخذ في اسباب الوصول والقرب وليس الوصول والقرب الا رفع الحجب الشهوانية كما يرفع الغامض عينيه جفنه عن بصره فيرى نفسه او جليسه وقد كان في حال الاغماض لا يبصر شيئاً فكذلك هي الحجب النفسانية متى رفعت عن القلوب ابصرت وماقلت او جليسه الا لعدم تمكنه من رأيتهما معاً هكذا حال الانسان مع ربه ان رآى نفسه لا يرى ربه وان رآى ربه لا يرى نفسه فاذا اراد الله بعبد خيرا شغل قلبه بذكره وفتح منه السمع والبصر فتحا ذوقيا فيفهم عن الله في كل مسموع

ومرئي ويأخذ في استكشاف الحقائق بنور ربه مصداقا لقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتي يتبين لهم انه الحق) فكلما نظر الى شيء من الاكوان وجد الله عنده أو ورائه حيث تتفاوت القوابل والاستعدادات من الناظرين بمعني انه اذا نظر الانسان الى نفسه وكان ممن يرى ربه وراء الاشياء يرى ان بصره مثلا كلما فقد الضوء لايبصر شيأ فيعلم ان الادراك لبصره ليس ذاتيا بل هو متوقف على وجود الاسباب وتلك الاسباب ماهي الا لمالكها ان شاء اعطاها وان شاء منعها وكذلك اذنه عند حبس الهوى لا يصل اليها من الاصوات شيء حتي وان كان الحابس للهوى شفافا ثم يرى ان الكلام الذي ينطق به اويسمعه ما هو الا هوى متقطع قطعته مخارج الحروف طوع البواعث التي تبعثه أوتبعث المخاطب له لاي معنى تمهيد ابرازه من الغيب الى الظهور ولولا صفير الهوى في حلقوم المتكلم ما سمع المخاطب بفتح المطاء خطابا ولولا تقطيع المخارج للهوى ما فهم كلاما ثم يري ان المطاعم المختلفة التي فضل الله بعضها على بعض في الاكل بضم الف اللام والكاف بعدها كما نطق بها الكتاب العزيز وهى تسقى بماء واحد هي التى تقوم اعتدال بنيته وتصيره قوي الجسم صحيح المزاج معافا من الضعف الذي يمنع الحس من الشعور وادراك الاشياء على حقائقها ولو انه منع من تلك الاغذية اياما قلائل لهلك لانها هى حاملة اليه اسرار الحياة من طريق امدادات سر القيومية الذي سبق الكلام عليه قبل ولولا مواهب الاحسان الربانى الذي تربي هو والمخلوقات في مهده ولم يزل فيه لما وصل اليه منها شئ ولو وصلت اليه واراد الله قلب المنفعة ضرا لفعل ثم اذا تتبع الشؤن التي وصل اليه ذلك

الغذا من طريقها لما وجد سبيلا الا ما امتن الله به على عباده في قوله (ان في اختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيي به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) فيتحقق اذ ذاك ان القدرة الالهية هي المسخرة لكل ماذكر الله تعالى ولكل ما تولد عنه بل وللعمال في ذلك كله حسا ومعنى فيتيقن صدق قوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) اي لا يغفل عن ذرة في ملكه طرفة عين ثم بعد ذلك ينظر الى نفسه ومرادنا بها هنا مجموع الحول والقوة منه وما يظن فيه وجود امتياز امتاز به عن الاشياء فلا يرى أنه امتاز عن سائر المسخرات بشيء مالان قوة الايمان وصدق اليقين ونور المعرفة التى تدعوه لأن يعطى القوس باريها تريه ان البواعث الارادية التي تستفز عزائمه القلبيه الى اي عمل او قول أواي حال تلبس به من الاحوال ما هى الا من وراء قلبه لا يدري من أين تأتيه وما مصدرها الا الحكمة مع الارادة والقدرة التي رتبت نظام هذا الوجود وما تركته لمتصرف آخر ولا لمتخير غيرها اذ لو وجد متخير يتخير أي عمل أو قول غير ما تقتضيه الحكمه العلية التي ربطت الاسباب بمسبباتها لفسد النظام وكان ذلك قادحا في مرتبة الألوهية كما سبق بيانه وبرهانه فيقول ذلك الناظر لنفسه من هذه الطريق اذ ذاك لمن الملك اليوم فيجيبه لسان الحال بقوله لله الواحد القهار فيتحقق بقوله القائل

نظرت فلم انظر سواك احبه * ولو لاك ماطاب الهوى للذي يهوي

اذا فلا حرج عليه ان غلبه حاله فقال أنا هو وهو أنا أو ما في الجبة غير الله أو قال انا الله فما هو الا شوق زائد وقلق وجدان شهودي من واجد أو

متواجد كما تقول لحبيبك الذي ما تمالكت قلبك منه يا روحي يا عقلي ولكن اكثر الناس لا يعقلون (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوا الفضل العظيم)

﴿ ياهذا ﴾

ان من شرف الانسان الكامل ان يسع قلبه مالا تسعه السموات والارض لانه بيت الرب كما نطقت بذلك الكتب السماوية ولقد ورد الحديث القدسي بمثل هذا قائلا ماوسعني ارضي ولا سمائي وانما وسعني قلب عبدي المؤمن وانما قيد السعة بالأيمان لأن المنكر المكذب صدره ضيق حرج لا يقبل توارد الأنوار ولا منازلات الاسرار لاحاطة الحجب النفسانية به وغلظة الطبع الذي طبع عليه وما هو الا ظلمة الاستعداد ووحشة القابلية التي لا تميل الا لتعاطي الشهوات وتناول المحرمات وأما المؤمن الكامل فبينه وبين ذلك تنافر طبيعي لأنه لا تحكم عليه الأغراض ولا تحول حول فؤاده الامراض بل ترك الشهوات واللذات وفني عن كل ما تقل الارض وتظل السموات لا يتناول من الدنيا الا مالا بد منه من يد ربه لا من أيدي الاسباب وقد وقف بين يدي مولاه في خلواته وجلواته حيث لا خلا ولا ملا في سعة فضاء الشهود الوجداني . وقطع اليه القواطع والموانع حيث لا صباح ولا مسا في ضياء مشكاة الوجود الرحماني . فاستنارت منه معالم الظهور بالمسابقة الى الخيرات . وعوالم البطون بعواطف التلطفات ولطائف التجليات واصبح ربانيا يقول للشيء كن فيكون حيث وصل الى مقام التمكين الذي تنتهي اليه همم السالكين وتوجهاتهم الاستعدادية اذا سارت بهم نجب العناية الصمدانية

في مسارب الهداية الربانية وكم ضربت دون ذلك المعراج اعناق . وتفتت حول حماه الأحمى كبد مشتاق . وما سهل الا على كامل الايمان الذي جذبته عواطف الاحسان . وهذبته طوارق الامتحان . والنشرح لك ما اغمض عليك بيانه مما ذكرناه حتى لا تظن أن ذلك امر مجهول . وانه وصف لأرباب العقول غير معقول . فنقول وبالله الاستعانة والتوفيق ان الله سبحانه وتعالى وان كان فرق النوع الانساني الى فريقين بقوله ففريق في الجنة وفريق في السعير ولكنه جعل المراتب في سورة الواقعة ثلاثاً ، رتبة أصحاب اليمين ومرتبة أصحاب الشمال وجاء بمرتبة أخرى وهي مرتبة السابقين المقربين فهذا دليل على أن في المؤمنين الخاصة ومنهم والعامة فعامة المؤمنين هم ماعدا ورثة الأنبياء من الذين تابعوا الأئمة المجتهدين حق المتابعه وشرح الله صدرهم للاسلام سواء كانوا من علماء النقوش الذين درسوا الفنون وأجهدوا نفوسهم في طلب العلم وتساهلوا في العمل أو من العوام الذين لا علم عندهم ولكنهم آمنوا بالله ورسوله وجاؤا بالمفروض عليهم وعملوا من القرب بفتح الراء وضم القاف بما حسنت لهم نياتهم أولئك هم المشار اليهم بقوله تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) وأما الخاصة فهم السابقون المقربون وماهم من هذه الأمة الا الذين ورثوا النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأحواله وأفعاله وهؤلاء هم ومن تابعهم محط نظر الله من خلقه ولولاهم ما أكرم الله النوع الانساني ولا جعل فيه الخلافة وهم المشار اليهم بقوله تعالى لملائكته (اني أعلم مالا تعلمون) عند ماقالوا له (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) وماهم الا أهل الخصوصية الذين ذكرهم سيدي علي وفا في مناجاته بقوله الهنا سبحانك أنت الذي

خصصت أهل العناية ومنحتهم خلع الهداية فما نالوا فضلك الا بفضلك ولا ولجوا حضرتك الا بنظرتك وما أحبوك حتى أحببتهم ولا اقبلوا عليك حتى ناديتهم فنسئلك بهذا الوداد السابق ان تقسم لنا منه قسمة بين هذه الخلائق الى آخر ماسأل وانك لتعلم علم اليقين من مطالعة الشؤون الكونية ان كنت ممن فتح الله سمعهم وأبصارهم ونور قلوبهم أومما ذكرناه سابقا مما يوصلك الى حق اليقين ان كنت من المؤمنين أن القدرة الالهية هي التي بيدها الرفع والخفض كما سمعناه من الآيات الواردة في الكتاب المجيد بتعداد منن الله سبحانه وتعالى على عباده المرسلين في مثل قوله (واذكر في الكتاب موسى) (واذكر في الكتاب ابراهيم) وفلانا وفلانا فقد ذكرهم بأسمائهم وذكر بعض مننه عليهم ثم قال (.أولئك الذين أنعم الله عليهم) فلو انهم نالوا مانالوه من طريق الكسب لما كان للحق تبارك وتعالى حق في ذكر تلك المنن ولكنه لما كان الأرتقاء الى حضرات الشهود واللقاء أمراً لايحصل بكسب ولا توجه ولا استعداد عدد الله منته على احبابه ليعلم المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تقريب العبيد وابعادهم وخلع الخلع السنية على بعضهم ماهو الا من شؤون الملوك لا باستحقاق العبيد لأن قوابل الاستعدادات لاتستدعي الا أحد أمرين اما الميل الى الخير بالانقياد الذي مقتضاه التحقق بوصف العبودية واما الميل الى الشر بالاباء الذي لامعني له الا المخالفة والعصيان ومزاحمة الرب في شؤون ربوبيته وأما المنح والنفحات ورفع الدرجات وإيتاء الحكمة وإفاضة الأسرار وهبة الأنوار فذلك وغيره من شؤون الحق سبحانه وتعالى ان شأ أعطى وان شأ منع اذ الرسل ماجاؤا الا لتطهير القلوب التي صلح استعدادها

كما تنظف إنائك بالغسل وتنتظر مايفرغ فيه من عسل أوزيت أوغير ذلك وصاحب الزيت أو العسل ان شآ أفرغ وان شآ لم يفرغ فان قلت لم لم يجعل المؤمنين خواصاً كلهم أقول ان سنة الله في خلقه ان يجعلهم درجات لأنهم مظاهره وآثار تجلياته وهو سبحانه وتعالى لايتجلى بصورة لاثنين ولا بصورة لواحد مرتين فلذلك امتنع التشابه في الخلائق من جميع الوجوه حتى في التوأمين لافي الخلق ولا في الخلق بفتح الخاء في الأول وضمها في الثاني فلوفتشت النوع الانساني من عهد آدم الى انقراض الدنيا لاتجد متشابهين خلقاً وخلقاً من كل الوجوه لأنه (ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير) وما خلق آدم الا على صورته أي أنه كصورة المرآة التي سبق الكلام عليها ولسنا نريد بالصورة الهيئة ولكنا نريد بها المظهر الذي لاهوعين الذي ظهر عنه ولاغيره وقد تقدم الكلام على هذا المعنى في الاشارات السابقة فمن كان من أهل الأذواق فلا حاجة للتكرار له ومن لم يكن هكذا فالاعراض عنه واجب لقوله تعالى (وأعرض عن الجاهلين) وكما ان الله سبحانه وتعالى جعل أفراد هذا النوع تتميز عن بعضها بالصور فكذلك تتميز مراتبها بالاعمال والأحوال بل بالاحوال التي هي بمعنى الاخلاق فقط لانه ربما كان العمل حسناً ولكن الحال سيئاً فمن شآ الله سبحانه وتعالى ان يجعله من ورثة الانبياء جعل قوله وعمله موافقاً لحاله فلا تراه الا مشغولا بربه ذكراً له خوفاً ورجاءً ومحبةً وشكراً حتى وان كان ممن لايحسنون النطق وزخرفة الكلام وتراه لاهم له الا أدآء الفرائض ولا يتعهد الا مهابط الرحمات كالمساجد ومزارات الصالحين أحياءً وأمواتاً لأنهم مهبط الرحمة الالهية وان كانوا في قبورهم كما قال القائل

مساكين اهل العشق حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين المقابر

وما اراد بالذل الا هيبة السكينة والوقار لأن الميت لا يقبر الا في التربة التي بينها وبينه مناسبة في حال من الاحوال اذ المناسبات الكونية من القواعد الاساسية في هذا الوجود كما سبق ذكره وهذا معنى قول العوام كل انسان تناديه تربته ولا تراه يهتم بأمر الدنيا ولا يتناولها الا من يدربه فان اقبلت عليه قابلها بنية صالحة وان ادبرت شيعها بفرح وبشر اكثر مما استقبلها به لعلمه ان الفاقة أعياد المحبين ومعنى قولنا يتناول دنياه من يدر به أنه لا يجعل في قلبه للأسباب وجوداً بحيث لو منعه مانع شيئاً يتيقن أن ربه هو المانع وما منعه الا لحكمة ربما كان المنع بسببها خيراً له من الاعطا وان اعطاه معط شيئاً يعلم علم اليقين انه لم يكن لذالك المعطي فيما اعطي الا أجر المناولة لأن الله هو المعطي بمعنى انه هو الموجد لكل شيء يتناوله الناس بأيديهم أو يتداولونه كيفما كان حال ذلك الشيء وهو الباعث على المنع أو الاعطا وما جميع المؤثرات في ايدي القدرة الالهية الا كالقدوم في يد النجار او العصا في يد الضارب كما قال صاحب الانسان الكامل سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله تعالى عنه

أراني آلات وانت محركي * أنا قلم والأقدار الأصابع
وما انا جبري العقيدة انما * محب فني فيمن خبته الاضالع

لأنه لا جبر فيما تميل اليه الطباع ولا ييسر عامل لعمل الا اذا كان مائلاً اليه بقابليته واستعداده كما سبق تقرير ذلك غير مرة ولا حق لمن يقول ان الطباع لا تميل الى النار والمسخر للعمل الذي يقرب الى النار ما هو الا

كالجابر للعامل على النار لأننا قررنا سابقاً أن الاستعدادات هي التي دعت العامل لقبول ذلك العمل الذي لا بد من وقوعه وما في الوجود من يقع ذلك العمل على يديه الا ذلك العامل كما لا ينبغي لك أن تركب بقرتك وتترك فرسك مسرجاً ماجما مثلا لأنك لو فعلت ذلك لكنت معتوهاً وكذلك لو نكحت امك وتركت زوجتك لكنت فوق المجنون درجات ولو نمت في بيت الخلا وتركت المقاصير لوضعوا في عنقك السلاسل وذهبوا بك الى البامارستان اذاً فما كان الله سبحانه وتعالى أن يحول حال النظام الذي أبدعه الى نظام آخر لأن ذلك لا يكون الا من طروء السهو أو العبث ولا أن يضع الشقي الذي لا يصلح الا للنار موضع السعيد الذي لا يمكنه ان يأتي بعمل أهل النار لعدم قبول استعداده لذلك والكلام فى هذا بعد ما سبق لا يفيد المنكر الا كفراً وطغياناً لأن من كان حاله الاصرار والعناد لا يميل الى الانقياد ولو جئت له بألف نبي مع كل نبي ألف آية وكذلك لو اقمت للانسان الكامل ألف دليل على ان من المخلوقات من يستقل بارادته واختياره وتدبير اموره لنادى عليك بالجنون فلذلك ترى كامل الايمان دائم الخوف من الله تعالى لا لأنه ظالم قوي ولكن لجهل العبد سابقة استعداده وقابليته ولأنه لم يطلع على مآله وما كتبه الله له في آخر عمره واعنى بآخر عمره الزمن الذي يعقب الوقت الحالى الذي ادركه فيه الخوف ولو كان الانسان مريدا مختاراً لما خاف الرسل من الله لأنهم أعقل الناس واكملهم استعداداً واقدرهم على نفوسهم وانورهم قلوباً واكرمهم خلقاً فلماذا الخوف وعلى م البكاء والحزن اذا كان الانسان أمير نفسه ومالك زمامها يصرفها للخير والشر بارادته

واختياره فسبحان من فتح أبصار المقربين واسماعهم حتى تحققوا بأوصاف عبوديتهم وأعمى ابصار آخرين وأصم آذانهم وطمس على قلوبهم فما احسوا الا بأنفسهم ولا تلمسوا الا ظواهر المظاهر لفقدهم النور وتحكم القضاء المقدور واما من حفته الألطاف وأدركته عناية الاسعاف فقد ملأ نوراً وسيلقى نضرة وسروراً لذلك لا تراه الا متحلياً بكمال الأدب يتناول ما قسمه له ربه من غير طلب واذا كان ممن اقامهم الله في الأسباب لا يفتر في جميع شؤونه عن قرع الابواب فيسهل عليه تعاطيها حيث لا يغفل عن ذكر ربه . وحيث لا يحوم خوفها او رجاؤها حول قلبه بل لا يرجوا غير مولاه . ولا يخاف الامن لو شاء لحرمه من كل ما ملكه واولاه ألا ترى كثيراً من الاغنياء يشتهون تناول ما بين ايديهم من الطعام ولا قدرة لهم على تعاطيه اذا حالت بينهم وبينه القدرة التي تحول بين المرء وقلبه ومعنى قولنا في وصف من اختاره الله انه لا يهتم بأمر دنياه أنه لا يشغل قلبه بما سيكون من امره غداً او مايتحصل عليه فى عامه من رزق او متاع أو فقر او غني الى غير ذلك مما يشتغل به ضعفاء الأيمان الذين استحكم جزعهم فتحكم فى عقولهم حتى فقدوا لذة التوكل وحلاوة اليقين وتكالبوا على الدنيا حتى لمن غالبهم ليضع ما ادخره من المال فى مواضع الربا ليربوا حيث لا يدري لمن هو صائر بعده ومعنى قولنا ان الفاقة اعياد المحبين أن الانسان في الغالب اذا كان محتاجاً لحاجة لم يطمع في قضائها من المخلوقين لا يكون الا قوي التوجه الى ربه شديد القرب منه اذ القرب من الله ليس له معنى الا شدة اليقين بأنه الفعال في كل شيء فيخافه العبد في كل شيء ويرجوه لكل شيء ولا يكون ذلك في الغالب الا

عند الفاقة فلذلك قلنا انها موسم الاقبال على الله لأن الله سبحانه وتعالى لا يذوي الدنيا عن احبابه الا ليستخلصهم له ولو كنت ذا ذوق سليم وأحببت ان تعرف الفارق بين من استعملهم الله سبحانه وتعالى في شؤون الدنيا وان كانوا فوق كل غني وبين من استعملهم في خدمته وان كانوا في ضيق من العيش فاقة واحتياجا واطلعك الله على منازلهم عنده لوجدت الفرق كما بين القمر والحجر اذ الذين قست قلوبهم اذا جاؤا يوم القيامة لا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيراً والآخرون هم اولياء الله في الدنيا وهو وليهم في الآخرة لان العبد اذا صرف الله قلبه عن حب الدنيا وجذب عنانه اليه واشغله بذكره عامله بمفهوم الحديث القدسي اذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت نعيمة ولذته في ذكري فاذا جعلت نعيمة ولذته في ذكري عشقني وعشقته فاذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بيني وبينه وصرت معالما بين عينيه لا يسهوا اذا سهى الناس وما اراد سبحانه وتعالى بالعشق هنا الا التعشق الذي يفهم من قوله في حديث آخر كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الى آخر الحديث ولا حق لمنكر هذه الشؤون وان كان قاصداً تنزيه الحق سبحانه وتعالى عما حكاه عن نفسه لأن هذه الشؤون في جانب ما ذكر في القرآن من محاربة الانسان لربه وأذاه والاسائة اليه ومعاداته لأرق معنى والطف عبارة فالايق بمن فقد الذوق العرفاني أن يسلم الامور لأربابها وأن لا يكون كالصبي الغير المميز اذ يخاف البعبع الذي لا وجود له ويسيء الأدب في حضرة ابيه القائم بشؤنه هكذا حال القوم الذين يثبتون للانسان الأعمال التي يجريها الله على يديه وينكرون ما اثبته الله لنفسه وهو الفعال لما

يريد ومعنى قولنا قبل ان العبد المراد يقف بين يدي ربه حيث لا خلا ولا ملا ولا صباح ولا مسا أنه يستوي عنده وجود الخلق وعدمهم لأنه لم يجدلهم في قلبه مكانا يسعهم حيث اضمحلت في عين عرفانه جميع الاكوان فرآها كأنها لم تشم رائحة الوجود فضلاً عن كونها موجودة اذ الوجود الحقيقي ليس الا للموجود الحق ومتى انعدمت في نظره الاشياء لا يشعر بمرور الأيام كما قال مجنون ليلي

أعد الليالي ليلة بعد ليلة   وقد عشت دهرا لا اعد لياليا

لفنائه في محبوبته عن كل شيء سواها وكذلك من تملك ربه قلبه لا مجال لغيره فيه كما ان من اطاع ربه لاملك أوسع من ملكه لأن الله سبحانه وتعالى يقول لعبده كما تكون لي اكون لك فان اطعتني اطعتك وان عصيتني عصيتك فلذلك قال ابوا يزيد البسطامي رضى الله تعالى عنه لربه ملكي اوسع من ملكك فقال له وهو اعلم بما في نفسه وكيف ذلك يا أيا يزيد فقال لانك تطيعني ومن انت تطيعه لا ملك أوسع من ملكه وكذلك قلب المؤمن الكامل لم يتسع هذه السعة الا لأن الله سبحانه وتعالى كشف له عن ذاته بالعلم النوري الذي معناه الرأية من طريق الحقيقة التي طلبها سيدي عمر ابن الفارض لا من طريق النظر التي طلبها سيدنا موسى عليه السلام وما العلم النوري الا الذي تحقق به على كرم الله وجهه حيث قال لو كشف عنى الفطأ مازددت يقيناً فلذلك قال ابن الفارض رضي الله عنه

واذا سألتك ان اراك حقيقة   فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

لأنه ما طلب الا ما يقتضيه مقامه وهو العلم النوري الذي ذكرناه لا

لرأية بالنظر والا كان غير ادوب لأن مقام الرسالة اكبر من مقام الولاية فكيف اذاً ان يطلب طلباً ما اجيب فيه نجي وكليم وهذه الرأية هي التى تجعل في القلب السعة اذ القلب الذي يهبه الله ثباتاً لذلك التجلي لا يعاد له في السعة معادل الا ترى ان الله سبحانه وتعالى لما تجلى للجبل جعله دكاً وهكذا يكون حال السموات والأرض لو تجلى الله لهن بالتجلى الذاتي لزالتا لعدم قبول الاستعداد الذي هن عليه لذلك كما اشار الحق سبحانه وتعالى لهذا المعنى بقوله (فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان) اذ الأمانة هي الخلافة ولا تتم الخلافة الا لأصحاب هذه التجليات الذاتية التي بها يتسع القلب سعة لا يضيق بها عن شيء ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى لنبيه (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) لأنه خليفة الخلفاء وهو صاحب تاجها ورافع لوائها الذي هو لواء الحمد يوم القيامة وما الرحمة الا اعطى كل ذ حق حقه ولقد بشر اهل الرفع بمكانة رفعتهم وانذر اهل الخفض بما سيلاقونه من الهوان في دركاتهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) وانه لأمين الله على خزائن الفواضل ومستودعها ومقسمها على حسب القوابل وموزعها وهو الطود الأشم الذي لم يزحزه التجلي عن مقام التمكين والبحر الخضم الذي تعكره جيف الغفلات عن صفاء اليقين وقد قال بعثت رحمة مهداة جئت برفع قوم وخفض آخرين وما اعطي كلاً الا مقتضيات الاستعداد والقوابل من طريق الخلافة الانسانية وما ذلك الا من شؤون الرحمة التي بها تصل الحقوق اربابها فافهم والا فسلم لتسلم فانك ما أحطت بكل شيء علماً وما قصرت البدائع الكونية وأسرار الحكمة الالهية على ما يسعه فهمك فلا تكن جريئاً ان لم تكن وضيئاً

وما غبنا أيها النديم عن بساط مسامرتك طائرين في جو هذه الشطحات التى اسمعنا كها الا لنأتيك من سبأ بنبأ يقين فان من ذاق معنى ما اوردناه ذوقاً حقيقياً لا ينكر على العارفين من اهل الخصوصية أحوالهم التي أمدهم الله بها ومقاماتهم التي أقامهم فيها اذ لو لم يكن للانسان ذلك الشرف الأسمى لما سخرت له العوالم ولما سجدت له الملائكه وما سجدت له الا لأنه ظل الله في ارضه وهل تعلم ظلاً استقل بنفسه لو وجد برهة بلا قائم يدور معه حيث دار فافهم الاشارات واستقبل ببشاشة القبول أنوار هذه العبارات قبل ان تقطعك القواطع وتمنعك الموانع فتصبح من النادمين. فان قلت كيف تدعي ان الانسان في كل اعماله مع ربه كالآلة التي يعمل بها العامل عمله ثم تقول انه خليفة وانه يعطي كل ذي حق حقة لانه تحمل الامانة التى عرضت على السموات والأرض أما في ذلك من تناقض أقول لك يا أيها الغلام الذي ما بلغ حد التمييز انما انت كصاحب الشاعر الذي بات يجر الرباب. ويذكر ماوقع بين الزناتي ودياب. وذاك سابح في لجة نومه. وما أقلقه الاطرطة طرطها بين قومه. فنادي ايها الشاعر هات لنا ما جرى بين دياب والزناتي خليفه ألم اقل لك ايها المرتاب الذي استهوته الشياطين ان الله سبحانه وتعالى بقدرته العلية وحكمته الصمدانية وارادته الربانية يدير شؤون مملكته العظمى من جميع جهاتها ونواحيها العلوية والسفلية مرتبطة ببعضها ارتباط الروح بالجسد او الجسد بالجوارح بلا معين ولا مشير وما كان الارتباط مثلاً بين الجمادات التي هي عقاقير الأطباء واعشاب النباتات و بين الحيوانات الا لمناسبة كونية لأن الأصل في الوجود واحد وهو الماء والله سبحانه وتعالى هو مربي كل مربوب

وله ملك السموات والارض يسخر ما شاء لمن شاء ويستعمل من شاء فيما شاء ويتجلى لمن شاء بما شاء لا تأخذه سنة ولا نوم وهو على كل شيء قدير فلو سلمنالك ان الانسان خالق لاعمال نفسه ومتصرف في شوونها ومدبر لمصالحها ومصالح من ولي عليه ومخير في اعماله مع علمنا انه هو روح هذا الوجود وواسطة عقده ثم انكرنا الجن والملائكة كالمصابين بعقولهم اذاً فلا يكون ربك رباً الا للبهائم والحشرات ولا متصرفا الا في النباتات فكأنه كالعامل عند الانسان المتصرف المالك إنك اذاً والله لفي ضلال مبين

﴿ يا هذا ﴾

حارت أفكار الجهلاء الذين ضلت عقولهم في معنى وحدة الوجود التي تحققها العارفون وجحدها المبطلون واني لموقفك على رأس الطريق الموصلة الى ذوق بعض من ثمراة الشهود الوجداني عسى ان تذكرني بخير عند ربك اذا ما وصلت اليه

فأقول قال سيدي عبد السلام بن مشيش في صلواته على المصطفى عليه الصلاة والسلام واحملني على سبيله الى حضرتك حملا محفوفا بنصرتك واقذف بي على الباطل فأدمغه وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من اوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس الا بها الى آخر ماقال فمعنى قوله واحملني على سبيله اي الطريق المستقيم التي بها هديته وهديت الذين أنعمت عليهم الى حضرتك اي الى معرفتك ومحبتك حيث لا يكون لي وجهة اتجه بها الى ما سواك واقذف بي على الباطل فأدمغه ما اراد بالباطل الا مفهوم الكلمة التي قالها لبيد وقال النبي انها اصدق

كلمة قالها وهي ألا كل شيء ما خلا الله باطل وقوله وزج بي في بحار الأحدية ما عنى بتعداد البحار الا مشارب السالكين ومناهج القاصدين التي سلكها الانبياء والمرسلون ليكون له وراء كل نبي قدم ولا معنى لقوله وانشلني من اوحال التوحيد الا انه يستجير مما وحلت فيه اهل الشبه من الورطات التى ما نجا منها الا المخلصون الذين اخلصوا دينهم لله بما تيقنوه من انه هو الواحد المختار الفعال لما يريد ولا شيء الا وهو صادر عن ارادته ثم قال واغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا اري ولا اسمع ولا اجد ولا احس الا بها فانظر الى حال هذا الاديب الظريف الذي ما طلب الإغراق الا لان الغريق المحاط به من جميع الجهات لا يشعر بشيء غير ما احاط به فطلب ذلك السيد الجليل من ربه ان يغرقه في عين بحر الوحدة وما البحر الا الكائنات باسرها ومه عينه الا الاسم ألله الجامع لحقائق جميع الاسماء والصفات وهذا معنى قول القائل الله قل وذر الوجود وما حوى ولا معنى لهذا الطلب الا انه يريد من ربه ان يخرج من قلبه ظلمات التدبير وينشر في سره نور التفويض ويرزقه سلامة القلب من علل الاغراض وبلاء الدعوى وانين الشكوى فيغدوا ويروح في الله وبالله ومن الله والى الله وعلى الله ويتحقق بلا حول ولا قوة الا بالله وما ذلك على الله بعزيز وانها والله لمذاقات عزبة المشارب لا يعسر ذوقها الا على من لم يكن لها اهلها لأن كل غريب دخل دارا أو بلدة لم يكن دخلها قبل ولا دراية له باصطلاح اهلها لا يطمأن الى عوائدهم واخلاقهم الا اذا مكث بينهم زمنا طويلا وما سن اهل الطريق الخلوة لمن اراد ان ينسلك في نظام عقدهم الفريد وما قدروا مدتها بالاربعين يوما الا لما عهدوه من ان هذا العدد هو

مقدار زمن التقلب في الاطوار في مبدأ وجود الانسان في الرحم حيث كان جنيناً في بطن امه من نطفة الى علقة الي مضغة الى ما بعد ذلك فكان رجائهم انه في تلك المدة ينتقل من نهاية اطوار الجهالة والسفاهة التي علق بها من الاختلاط بالخلق الي مبادئ العرفان الذي يكتسبه حال خلوته بربه فيتناسى ما كان عليه من الاخلاق المذمومة ويسهل عليه الدخول في دائرتهم التي هي دائرة الاقمار وحيطة الانوار والاسرار وما سلك هؤلاء القوم لوحدة الوجود طريقاً حينما شهدوها الا من مسلك شرعي لا تنكره العقول ولا يخالفه المنقول ألا وانه هو الطريق الى سلكها الامم المتدينون بالديانات السماوية اذ ما من امة الا وقد اتفقت عقائد افرادها على ان واجب الوجود بذاته واحد وان الوجود الحق الملطق ما ثبت الا له وان كل الكائنات ممكنات حقيقتها العدم لأن من كان وصفه العجز والضعف والذل والافتقار هو والعدم سواء وما كان هذا الوجود الصوري لها الا لباسة توارت به سوأة عدمها اذ لا يتصور متصور ان الوجود الحق المطلق مشفوع بوجود مثله أو منقسم الى قسمين احدهما باق والآخر فان بل الحق انه وجود واحد ثابت لذات واحدة فان قلنا إن الوجود عين الموجود فلا شك في انه هو الله وحده وان قلنا انه غير الموجود فما هو الا صفة إختصت بها ذاته العلية ثابتة كثبوت القدم والبقاء لاشريك له فيها وما حال منكرها الا كحال عابد الأصنام فمن أين جاء الوجود الثاني ومن اي طريق يكون الكفر الذي نسبه الهالكون لمن أثبتوا وحدة الوجود ومن أين يصل الضال الى ادراك الحلول والاتحاد الذي زعمه المبطلون أو توهموه من الفاظ العلماء بالله اذ يقول قائلهم أنا الله او ان كل شيء هو الله وهل يليق

انكار الجاهل الأعمى على العالم البصير ألا يتأمل ذلك المنكر الأحمق الذي توهم الحلول او الاتحاد في حال الشمس مع القطعة من البلور المستديرة على الشكل المخصوص كيف تحرق مقابلها عند استحكام التقابل حيث لا يدري هو من ايهما وقع ذلك الاحراق وما اتحدت الشمس مع القطعة ولا حلت فيها ولكنه أثر ضوء الشمس فعل به ما فعل وما نقص المضوء ولا زاد فاذا كان هذا حال الأجرام فكيف بمن لا يعجزه شيء ولا يشبهه شيء وما غاب عن شيء وما رآه شيء وهو محيط بكل شيء لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وما تحقق المتحققون وحدة الوجود الا لما شاهدوه من طريق الكشف الرباني والتجلي الرحماني ان الله هو الموجود الحق وانه هو الظاهر والباطن وان سر قيوميته هو الساري في جميع الموجودات كسريان ضوء الشمس في النجوم وما غاب شهود تلك الشمس عن أهل الأنوار فلذلك ماراوا النجوم الا من ورائها وأما أهل الظلمة فما رأوا الا النجوم فظنوا انها اصلية الضياء وليس كذلك وليتهم سلموا لأهل الأنوار حالهم ولكنهم تحملوا أوزارهم وأوزار الانكار مع أوزارهم ألا ساء ما يزرون ولقد لهج الغافلون بمعنى وحدة الوجود من حيث لا يشعرون ألا ترى المطرب ينادي يا ليلي يا عيني فيئن السامع ويجأر بلفظ الله طربا وتواجداً من حيث لا علم عنده بمعنى ما قال ذلك المطرب وما نادى المطرب الاربه لأنه ان كان مراده الليل المظلم والعين التي يبصر بها لكان أخا المجنون اذ لا معنى لنداء الليل والعين ولكنها كلمات قالها منشد القوم أي القوال الذي كان يقول عليهم في مجامع الذكر في زمن السلف الصالح لعلمه انها كلمة تعرب عن نهاية مسالك العابدين وتطرب اهل المكانة والتمكين من الواصلين لانه

ما أراد بقوله ياليلي الا ياغيبي وما عني بياعين الا ياشهادتي كأنه يقول لربه يامن هو الظاهر والباطن لأنك الحق وأنا الباطل وما عرفتك انك انت الموجود الحق حتى تحققت عدمي فأنت غيبي وشهادتي وأنت المعشوق لكل عاشق والمحبوب لكل محب كيفما عشق العاشقون وأحب المحبون شعر بذلك المحبون اولم يشعروا ووجهة ذلك المطرب في ذلك المعنى أنك ترى ان كل حسناء محبوبة تزهوا بين عشاقها بما ألبسها الله من حلل الجمال والحسن حتى اذا ادركها الموت فر منها كل من كان يهواها ونفر منها راهاها وذووها وما ذاك الا لمفارقة السر الالهي الذي به انجذبت القلوب لها ولربما أحبها قوم في حياتها وبغضها آخرون وما ذلك الا لان الله زينها في قلوب هؤلاء وقبحها لهؤلاء ولقد جا بهذا المعنى مجنون ليلى حيث قال

فيارب اذ صيرت ليلي هي المنا * فزني بعينيها كما زنتها ليا
والا فبغضها الي واهلها * فاني بليلي قد لقيت الدواهيا

فهل يكون التزيين والتقبيح الا من مفاعيل السر الالهي الذي به ظهرت المظاهر الكونية على اختلاف انواعها واجناسها اليس هذا امر معقول في الحيوانات والنباتات والثمار والأزهار بل وفي أرباب الولايات والمناصب اذ لولا السر الالهي الجلالي لما هابت الناس ملوكهم قبل العزل وساووهم في الدرجة اذا ما عزلوا ولولا السر الجمالي لما عشق محب حبيباً ولما اشتهى آكل مأكولاً ولا ازدهى منظور فى مرائي الناظرين أليس هذا كله دليلاً على ان الوجود واحد وأن هذه المظاهر التي هى كالاوهام الباطلة والخيالات الزائلة لا حكم لها عند ارباب العقول العارفين ألا يتعقل المتعقلون معنى قوله

تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ويطابق بين هذا وبين قوله تعالى في وصف الدنيا (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً) الا يتأمل مطالع هذه الآيات تعاقب فناء الأقوات بعد نموها في كل عام ويعلم أن الانسان بل وجميع الحيوانات مثلها وان طال امدها عن عام أو اكثر اذ لا فرق بين الذي يفنى في يومه وبين ما يفنى من عامه وبين ما يدركه الفناء بعد اعوام فمن ذا الذي يحكم لمن كان هذا حاله بالوجود الا صورة ولا بد لهذه الصورة من سر قامت به وهذا السر هو سر الوجود الواحد الذي ما رآى العارفون الا هو وكما بداهم يعودون ولقد انقسم الناس فى اثبات هذا المبحث وانكاره الى ثلاثة اقسام وهم الذين ذكرهم الحق سبحانه وتعالى في سورة الواقعة الذين سبق الكلام عليهم فأما السابقون المقربون فقد اذاقهم الله ذلك المشرب الهني بتعرفه اليهم ثم تواصوا بكتمانه أدبا مع ربهم اذ جعلهم امناء على الأسرار التي يضر افشائها بحال القاصرة عقولهم فكانت وصاياهم في هذا المعتقد بمثل ما اوصى به سيدي عبد السلام ابن مشيش تلميذه الشاذلي رضي الله عنه بقوله ليكن الجمع في قلبك مشهوداً والفرق على لسانك موجوداً وما اراد بالجمع الا رأية الله من طريق قوله تعالى (الله نور السموات والارض) وما اراد بالفرق الا ملاحظة معنى قوله (له ما في السموات وما في الارض) فأهل الأدب عند الآية الاولى لا يرون غيراً ولا سوى وعند الثانية يقولون بالسوى والأغيار موافقة لمراد الله سبحانه وتعالى واما فاقدو الذوق والآداب فقد سلكوا مسلك التوحش والهمجية حيث لا يحسن قائلهم مع ربه كلاماً ولا يخشى عقابا ولا ملاما الا

يرون أنه من طريق هذا المشهد جاءت الشرائع بتحريم ازدراء الخلق وشهادة الزور والسب والغيبة وغير ذلك من المحرمات التي من فعلها فقد انتهك حرمة الأدب مع ربه لأنك فى شهادة الزور مثلا لا تتكلم الا بين يدي الحق الذي هو مقلب القلوب الآخذ بزمام قلب ذلك الحكم بفتح الكاف ليغطلق لسانه بما اراد فما افتريت الكذب الا على الله ولو أحسست بحالك اذ ذاك لذبت حياء وخوفا لأن الله ما انطقك بما تخلقته من الكذب الذي لم يكن خلقه الله قبل نطقك به الا ليفعل بك ما يقتضيه استعدادك وما كان فى الوجود من يصلح لهذا المقت الا انت وامثالك كما انك لو اذدريت مخلوقا مثلك لكنت جاهلا ممقوتا لأنه مظهر من المظاهر الكونية ما ظهر الا لحكمة أو حكم تخفى على امثالك وربما كان فيه سر لم يكن فيك وقس على ذلك جميع شؤونك لتهدي ان كنت ممن تدلهم الاشارة على مواضع الحاجة وان كنت غليظ القلب فاسئل الله التوفيق لمتابعة اهل الأذواق السليمة المنزهين عن الاعتراض والانتقاد والقسم الثاني أصحاب اليمين وهؤلاء هم الذين ما انكروا وحدة الوجود ولا أثبتوها ولكنهم أسلموا قياد عقائدهم الى اهل الطريق مجرد تسليم ومتابعة لان حالهم مع الاسباب حال الصبي الذي أسلمته أمه الى المراضع فاما ركونه فالى من ترضعه ولكنه لا يجهل امه ولا ينساها وما على هؤلاء من حرج في السير مع الاسباب وطلبها لأنهم تحققوا ان الله هو واضعها فو ان كان المؤمن يطمئن عند وجود السبب ولكنه يعلم انه في يد مسببه ان شاء قطعه وان شاء وصله واما القسم الثالث فهم اصحاب الشمال وهم الذين انقسموا الى قسمين او اكثر فمنهم من اغتر بزهرة وجوده وعمي عن مطالعة شهوده فحجبه الطيش والغرور

وتوهم انه هو البيت المعمور فما عرف ربه الا بمجرد السماع وقطعته القواطع التى سبق ذكرها عن مفاوز الاتباع فهذا هو الذي يتلاعب به الشيطان عند المات وهيهات ان ادرك النجاة هيهات وأما الباقون من أهل الشمال فأمرهم مشهور وحالهم في كتاب الله مذكور ومسطور وبقدر ماذكرناه من الدرجات في ذوق ذلك المشرب قسمت حظوظ المتوكلين وما كملت أحوال التوكل الا للسابقين اذاً فيكون ونقص حال المتوكل تابع لنقص يقينه وايمانه وكفي الشرود الآبق ماتكبل به من قيود كفرانه وطغيانه الاترى ان الله اللطيف الخبير ما اوصي نبيه من محاسن الأخلاق باكثر منما اوصاه بالتوكل ولو علم ان فى التوكل مذمة ما اوصاه به ولقد قال لموسي عليه السلام يا موسي سلنى ولو في شراك نعلك وما هذا الا قمة رأس التوكل الذى من تركه فقد ضل سواء السبيل ولقد جاء كل انسان غير المارقين من الدين يدعي هذا المقام بلسانه ولكن شواهد الاحوال تكذب كل مدع اذالمتوكل لا يجتمع مع الدعوى والشكوى في قاب واحد وما أردنا بالدعوى الا اتباع الهوى ورأية النفس والانقياد لها في مزاحمة الله سبحانه وتعالى في شؤون التدبير والاختيار وما اردنا بالشكوى الا القلق عند ازدحام الشدائد والاسترسال مع الفكر في سبيل الاعتراض بقول الانسان لو كان كذا لما حصل كذا ولو فعل فلان كذا لتحصل على كذا وكيف يكون كذا ولم كان كذا كل هذه شؤون تكذب كل من يدعي التوكل عند التلبس بها وما الشأن الا كما تقول الغواني ياقاب ياكتاكت اسمع وخليك ساكت اذالمتوكل الصادق لا يبرح عن حضرة الشهود ومقام الادب طرفة عين وهذه مواهب ربانية وموارد احسانية حرمت على اهل الدعوى (والله يهدي

من يشاء الى صراط مستقيم) انظر الى كمال اقتداره جل شانه كيف جعل
الإنكار يتزاحم مع الإعتراف في القلوب المظلمة من حيث لا يشعر اهلها
وذلك لانهم لم يدعوا وجودا حقا لغير واجب الوجود ولم يقل قائل منهم
بوجود موجود من الممكنات باسرها بغير الموجد المرجح والمخصص وما كذبوا
ان بقاء فرد من افرادها طرفة عين بغير قيومية موجدها محال وما هذا كله
الا المعنى الذي قصده اهل الله من وحدة الوجود لانهم لا نظر لهم الى
الوجود الصوري الذي اذا تأمله المتأمل لوجده كالأوهام الباطلة ولا تحققوا بمقام
التوكل الا من هذا المشرب تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه اعملوا
فكل ميسر لما خلق له عند ما ذكر لهم ان كل انسان له سابقة تتبعها اللاحقة
فقالوا اونترك العمل ونستريح فأجابهم بماذكر فما نهاهم عن العمل لأنهم مسخرون
له من حيث لايشعرون وما أمرهم به الا أمر عالم بان خالق العمل هو الله اذ
التيسير ما هو الا اعانة القدرة الالهية العامل على العمل وترجيحه وتخصيصه
بالزمان والمكان ومن علم ذلك ادرك معنى التوكل ووصل الى حقيقته التي هي
ملاك التوحيد وليس التوكل هو التكاسل عن العمل كما زعم السفها الذين جعلو
التوكل ضربا من ضروب الجنون ولا جنون فوق جنونهم اذ لو كان الاجتهاد
في العمل يجدي نفعا بغير تيسير وتخصيص وترجيح الهي وباعث غيبي لتسابق
زعماء السفهاء الى كرسي الخلافة ولو كان الكسل والراحة من موانع الارزاق لما
وجد المترهفون مايا كلون ولولا التسخير الالهي لما اختلفت درجات القوم
ومنازلهم وشوءنهم ومشاربهم ومآربهم وحرفهم وصنائعهم كما سبق الكلام على ذلك
وما تبصر في ذلك المقام الا الأدباء الذين وهبهم الله المواهب الاحسانيه

واوردهم الموارد العرفانيه (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

زيادة ايضاح

اذا كانت وجهة اولياء الله تعالى في اعتقاد الوحدة هي ما ذكرناه وما استندوا الا الى ركن شديد فما وجهة المنكرين عليهم ايدعي مدعيهم ان الله سبحانه وتعالى رضي بالانسان شريكا له في الوجود الحق والتصرف الحق بمعني تخصيص الأعمال بالزمان والمكان والعلم بنتائجها قبل وجودها او اوجده وجودا مستقلا مضاه لوجوده ووهبه قدره غير قدرته وارادة غير ارادته وجعله هو مالك الارض وما فيها يتصرف فيها كيف يشاء ثم تحيز الى جهة لينتظره عند الحساب كما فهم الاغبياء ذلك من قوله تعالى (لننظر كيف تعملون) أو انقسمت القوي الفعالة التى زعمها اهل الزيغ بين العبد وربه أو انها هي الموجدة لكل أثر كما زعموا فلئن كان هـذا هو معتقدهم فقد خسروا خسرانا مبينا لأنه لو سأل سائل أهكذا هو الانسان فقط أم كذلك كانت الموجودات بأسرها فبما ذا يجيبون فان قالوا ان الله اختص الانسان بوجود خاص يقول ذلك السائل كلا ان عالم المواليد جميعه لعلي وتيرة واحدة في الوجود بالتناسل لا فرق بين البهيم والانسان وان قالوا هكذا الكل يقول اذا كان هذا الوجود الذي اتصفت به هذه الموجودات وجوداً مستقلاً بنفسه فأين وجود الله والى أي جهة تحيز واجب الوجود أفوق هذه الموجودات أم تحتها أم عن يمينها أم عن شمائلها ولم كان مآل هذا الوجود الى الفناء وذلك الوجود متصف بالبقاء ولماذا خرج الانسان من بطن امه لا يعلم شيئاً اذا كان موهوب القوى ليستقل بها واذا كان الله سبحانه وتعالى لم يهبها له عندما خرج من صلب

أيه ففي أي طور من اطواره أعطاه اياها وصيره مستقلا بنفسه وفي اي حال من احواله تم له الاستقلال حال كوننا نشاهد عجزه وضعفه في جميع احواله كما ترى ، الا ترى ان العتل الذنيم الجبار مثلا ربما وضع ما فوق رأسه ودار مكشوف الرأس لضعفه عن حمل هذا المجوف الخفيف فان قلتم أنه مجرد زهو واعجاب نقول ان الزهو بمثل هذا كالزهو بطول الشارب الذي لا يقاوم شارب الحوت مثلا او بالملابس التي لا تضاهي ملابس الغواني او بالجسم الذي جسم العذراء الين وانعم منه او بقوة الجسم التي ربما لم تقاوم قوة الكلب العقور وما كل هذا الا من علامات الجنون وخسافة الرأي وما كان الله ليولي مجنوناً شيئاً من مملكته حيث لا يحسن التصرف ولا ليؤاخذ من لا عقل له بما فعل وما كان لينتظره حتى يوفي اعمال جنونه وقد علم منه الجنون بادي بدئ ولو تأملت لوجدت الجنون بهذه الصفة عاماً سيما هذا الزمن الذي كل أعمال أهله لهو ولعب اذاً فلا يدور الامر الا بين امرين اما ان تثبت الهاً ومألوهاً والاله هو المتصرف في مألوهه بالطريق التي سبق ايضاحها غير مرة واما ان تقول لا اله وكل المخلوقات مستقلة باعمالها وكل منها مخصص لشؤنه واعماله لا فرق في ذلك بين العالم العلوي والسفلي وهذه الدعوى الثانية هي دعوى المجانين الذين مرقوا من الانسانية مروق الحية من جلدها في الزمن الذي بين الشتاء والصيف حيث لا هي حية ولا ميتة ومن اراد السلامة فليتابع اولياء الله في عقائدهم واعمالهم ويعمل بمثل العوام حيث قالوا الباب الذي يأتى منه الريح سده واسترح والياتمر بقول الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) ليكون من الناجين

﴿ ياهـذا ﴾

ما اوقفناك على شواهد ما أريناك من كمالات الانسان واختصاصاته التي امتاز بها عن باقي الموجودات الا لتلقي سمعك وتتوجه بقلبك الى ما سأبينه لك من الكشف عن حقيقة الانسانية التى هي أكمل مظهر تعرف به الحق سبحانه وتعالى الى خلقه واتم صورة رآى نفسه بها في مرآة الوجود الصوري وانها لحقيقة من وهبه الله سبحانه وتعالى التحقق بها كان له الطف أنيس. واقرب جليس وكان ممن خلقهم الله ليربحوا عليه ومن لم يأتنس بربه. ولم يحظ بملاطفات قربه وحبه فهو من الفريق المحروم الذي ما خلق الا وقوداً النار السموم ومعنى قولنا ليربحوا عليه أنهم اكتنفهم الفضل الواسع والكرم الشائع فوهب لهم اعمال الحسنات وادخرها عنده لتربوا اضعافاً مضاعفة في الجنات وهاك البيان والتحقيق وبالله الهداية والتوفيق زعم الجهلاء وكثير من مقلدي العلماء أن الانسانية هي آداب الحضارة والتمدن التي تخلق بها القوم الذين لاخلاق لهم وذلك كاقتفاء آثار القانون المدني مثلاً والسير على منهاجه وتجنب ما يوقع الانسان في قيود بنود قانون العقوبات وبعضهم زعم انها الاحاطة بعلم ما يحتاج اليه الانسان في اصلاح المعيشة من دفع المضار وجلب المنافع وقال آخرون انها الاخذ في اسباب سعة الجاه والملك والرفاهية في العيش الى غير ذلك مما ذهب اليه المبطلون وانطلقت به ألسنة الضالين وطارت به في جو المدنية صحفهم حتى امتدت اليها أعناق المغترين وتعلقت بأذيالها أفئدة اللاهين وما غرست هاتيك التمويهات الشيطانية في قلوب القوم الا أصول شجر المشاحنات والفتن والتباغض الذي ليس له من سبب الا المزاحمة على

تلك الموارد المهلكة فتقطعت من بينهم علائق المودة وانتزعت من قلوبهم الرحمة وصار بينهم وبين الانسانية الأمد البعيد وهذا كله من عمل الشيطان وليست هكذا الانسانيـــة كما زعموا ولكن الانسانية حقيقة هي روح المملكة الالهية في الدنيا وفي الآخرة اذ العوالم التي تراها لولا وجود الانسان لكانت كالجسد النائم الغائب عن احساسه وشعوره وما اقام الله قوائم الملك الدنيوي والأخروي الا على الانسان لأنه واسطة عقد نظام الموجودات وما كان الانسان هكذا الا بحقيقته التي لا تحيط بوصفها العبارة ولا تغني عن الوصول الى مداركها الاشارة ولكن ربما جام حولها المتبصر من طريق الاعتبار الذهني اذا اعتبرها جسما ذا قلب وقالب وروح أما قلبها فهو التخلق بأخلاق الله تعالى واما قالبها فهو متابعة النبيين في جميع الاقوال والافعال والاحوال ماعدا دعوى النبوة ومخالفة الشياطين في كل ذلك ما عدا الاعتراف لله بالوحدانية واما روحها فما هي الا العدل الذي هو اساس قواعد الخلافة التي خلق الانسان لها وانها لهي الأمانة التي ذكرها الله في القرآن وليس العدل الا اعطا كل ذي حق حقه من أرباب الحقوق التي ذكرناها في الأبيات التى أولها اذا المرؤ لم يرزق من العدل مركبا وهاك بيان بعض من تلك الحقوق على وجه الأجمال ومن اراد أن يحيط بها علماً فعليه بكتب القوم الذين هم رجال هذا المجال فأما حقوق الله سبحانه وتعالى علي خليفته وما هـــو الا كل مؤمن استخلفه بعد ما اكمل دينه وطهر قلبه ولو علي نفسه وشيطانه وماقلنا وشيطانه الا لما أجاب به صلي الله عليه وسلم السائل له عند ما قال ما من انسان الا وله شيطان فقال له ذلك السائل حتى انت يا رسول الله فأجابه بقوله حتى أنا ولكن الله أعانني عليه

فأسلم فيالها من نصرة ينصرها الله لعبده على عدوه فيكون له تابعاً ومحباً فمنها ان يكون راضياً عن الله في كل شيئ ليكون الله راضيا عنه في كل شيئ بدليل قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ومنها إن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب اليه من ماله وولده لأن ذلك من شروط الايمان بالله الذي هو أول واجب على العبد ومنها أن يخلي قلبه من كل ما سوى الله حتى لا يلهج لسانه الا بذكر الله ومنها أن يرى الله عند كل عمل يعمله او قول يقوله أو حال يتلبس به فانه يعلم علم اليقين أن الله معه أينما كان وفي وجهته كيفما توجه ومنها انه اذا عادي عدواً أو خاصم خصما أو نازعه منازع شيئاً يتبصر بدقيق التأمل ليرى ربه مع خصمه أو معه فيكون مع ربه في أي حال رآه فان كان هو المبطل يعلم ان ربه مع ضده فيأتيه طائعاً مختاراً قبل أن يهلك بطغيانه وإن كان هو المحق فليتبرأ من حوله وقوته الى حول الله وقوته ويقاوم من قاومه بربه لا بنفسه وحقوق الله كثيرة لا تتناهي مادامت السموات والارض ولا يتمكن الانسان من آدائها الا بمعونة ربه ولذلك علمه أن يقول اياك نعبد واياك نستعين ومن حقوقه سبحانه وتعالى على عبده ان يعادى الشيطان طاعة لأمره ويسد في وجهه جميع المنافذ التي يحب ان يتودداليه منها كمخالطة السفهاء واهل الغرور ومتابعة الهوى والانكباب على الشهوات ومحبة الدنيا الى غير ذلك من المهالك وتندرج في حقوق الله تبارك وتعالى حقوق الأنبياء والمرسلين وورثتهم من الأولياء لقوله تعالى في الحديث القدسى من آذى لى ولياً فقد اذنته بالحرب فعلى من أراد النجاة وأحب أن يرفعه الله تعالى الى أعلى عليين حتى يكون ربانيا يقول للشيئ كن فيكون فاليتخذ لنفسه

الى هـذا المقام معراجا وما معراجه الامخالطة الصالحين واجتناب المفترين لأن مجالسة أهل الأدب الرباني تورث القلوب حياءً وخشية إذ لاحديث لهم الا فيما يعنيهم من هموم الأخرة ومحاربة النفس والشيطان والتفكه بالأحاديث النبوية وإشارات الآيات القرآنية ولا معنى للخفض والرفع الذي جاء لأجلهما النبي صلى الله عليه وسلم الاثمرات الأخلاق التي تنتجها هذه المجالسة فان من خالط السفهاء لا يتفكه الا بفكاهات المزاح وذكر تواريخ الامم واخبار اهل الدنيا والغيبة وغير ذلك مما يجعل الانسان في مهواة الهوان لا فرق بينه وبين بهيمة الانعام التي كلما قدرت نطحت وتعاضت أو كالحمار الذي لا يرفع رأسه الا للنهيق او شم رائحة البول الكريهة وهذا هو الخفض الذي لا مأوى لصاحبه الا دركات جهنم واما مجالسة الاتقياء فلا تكسب الجليس الا انواراً واسراراً ورقيا الى معارج المقامات القدوسية أي الكمالية التي لا يتمكن منها راق الا من تحقق باوصاف عبوديته وتزحزح عن مشارب مآرب بشريته فخلع عليه ربه خلعة القبول ورزقه سطوة من جلاله و بسطة من جماله ونشطة من كماله فاتسع وجوده واجتمع شهوده وما فوق ذلك رفعة ألا ترى الحق سبحانه وتعالى لما جمع لنبيه شتات مكارم الاخلاق التي جاء ليتممها سماه باسمائه فى قوله (بالمؤمنين رؤف رحيم) لنزاهته عن الميل الى لغو الحديث وسفاسف الامور التي يكرهها ربه وذلك كالاشياء التي وان كانت مباحة ولكنها تفسد الاخلاق فقد نهي النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن كثير من هذا القبيل كقوله لهم جنبوا مجالسنا ذكر الطعام والنساء وكنهيه عن الكلام فيما لا يعني وكقوله من كان يؤمن بالله

واليوم الآخر فليقل خيراً أو يصمت الى غير ذلك من الآداب التي علمها له ربه ليرقى بها الى مقام الوسيلة فمن تتبعه فيها ترقى ورائه الى أعلى عليين ومن تتبع هوى نفسه فهو في أسفل سافلين وان احتل كرسي الخلافة الظاهرية واما حقوق النفس فمنها ما ذكرناه من حقوق الله تعالى لان من أدى حقوق ربه فما أحسن الا الى نفسه اذ طاعات العبيد لملوكهم لا تعود منافعها الا اليهم سيما اذا كان المعبود المطاع هو ملك الملوك الغني عن العالمين الذي ما خلق الانسان الا ليعبده فيعرفه بكمال اوصاف ربوبيته فيكون مهبط رحماته ومسقط هباته واحساناته وما سميناها حقوق الله الا ادبا مع الشرائع التي جاءت لإصلاح الظواهر والبواطن ومن حقوق النفس ايضاً ان لا يلقى بها الى التهلكة وليست التهلكة هنا الا ان يوردها موارد الحرص والطمع بمجارات أهل الدنيا في طلبها مع اعانتها على ما به تكون طاغية باغية أمارة بالسوء حتى تتناسي اوصافها التي خلقها الله عليها وما أمرها بالسوء الا استرسالها في الملاهي والتردد على مجامع اللهو ثم الزهو بما لو شاء الله لسلبه منها او حرمها منه ليعطيه لغيرها كما نشاهده في ملابس الموتى واوانيهم وامتعتهم وبيوتهم وغير ذلك وما اوصافها التي خلقها الله عليها التى قلنا انها تتناساها الا الاوصاف التى ذكرها صاحب ورد السحر بقوله ياغني انت الغني وانا الفقير من للفقير سواك يا عزيز انت العزيز وانا الذليل من للذليل سواك يا قوي انت القوي وانا الضعيف من للضعيف سواك يا قادر انت القادر وانا العاجز من للعاجز سواك لأن النفوس لا تهلك الا اذا ادّعت غير هذه الأوصاف ومن رأى نفسه على غيرها فقد خسر خسراناً مبيناً ومن سلط الله عليه الشيطان فآخاه وتتبع

خطواته وملكه زمام قلبه فقد هلك من حيث لا يشعر ومنها ان يتبع بها وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إصلاح شؤونها بالإعتدال في شهوتي البطن والفرج بل وفي جميع الوصايا التي ما اوصى بها النبي عليه الصلاة والسلام المؤمنين الا لتطهير النفوس ونجاتها من غوائل الرذائل البشرية فقد نهى عن الامتلا بالطعام بمثل قوله ما ملأ ابن آدم وعاء شرّ من بطنه ووصف دواء هذا الداء بقوله أذيبو طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم ونهى عن كثرة النوم بقوله كبر مقتا عند الله النوم من غير سهر ثم أوصى بقيام جزيء من الليل بقوله افضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل وافضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وما قصد به الا شهر رجب لما ورد في الحديث الآخر رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي وكنهيه عن الجلوس على قارعة الطريق ثم وصف دواء ذلك اذا تحكم الداء بالأمر بغض المنظر وملاقات الضيف بالبشر وترك الاعتراض والانتقاد ووصايا رسول الله في تهذيب النفوس كثيرة محكمة من عمل بها فاز بخيري الدنيا والآخرة لأنه ما من مخلوق قام باداء الحقوق لمستحقيها حيث لم يفته منها شيء الا هو ولهذا قيل له (وانك لعلى خلق عظيم) فطوبى لمن وفقه الله لمتابعته والويل لمن اخطأ هذا الطريق فكان من الضالين وان أحاط به الخوف من الله واكتنفه الرجاء اذ الخوف بلا أدب لا ثمرة له والرجاء بغير عمل ماهو الامن مقدمات الطرد والحرمان فمن مال بنفسه عن متابعة هذ النبي الكريم الذي هو نور كله عيناً وآثراً الذي خلق من النور وهو النور فما اوردها الا موارد تهلكة وما وفا لها حقاً من حقوقها وما كان الا ظالماً لها وان اظلم الظلماء من

ظلم نفسه ومافي الاشرار أشر استعداداً من مثل هذا المفتون وأما من تابعه فى أعماله وأحواله وأقواله فقد وفاها حقوقها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وجميع الرسل ما جاؤا الا لبيان الحقوق التى يلزم الانسان الوفاء بها لربه ونفسه والخلق اجمعين وما اهمل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من هذه الحقوق ولا اغفل شيئاً فلا نجاة للانسان الذي هو كادح الى ربه كدحاً فملاقيه الا من هذه الطريق ومن ظن السلامة دونها أو ادعى النجاة بغيرها فهو شيطان وأما حقوق الخلق فمنها استعمال الأدب مع الفقراء من الطريق التي أوصى بها الله رسوله في مثل قوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) فكان بعد ذلك اذا صافح فقيراً لا يأخذ يده الا اذا استل ذلك الفقير يده من يد ذلك النبي الكريم ومنها مراعاة المقامات التي عاتب الله فيها رسوله بمثل قوله (وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى) واتباع الاوامر التي أمر الله بها حبيبه في مثل قوله (فأما اليتيم فلا تقهر) الى غير ذلك من الاوامر القرآنية التى صدرت في معاملة الخلق والوصايا كثيرة لا يسع المقام ذكرها ولا بيان ما فيها من الحكم النورانية فعلى من أحب ان يسلك صراط الذين أنعم الله عليهم ان يتفقد آثارهم ويقتفي أنوارهم فانهم اطباء القلوب والارواح بل والابدان ومن أهمل نفسه غروراً بسعة الحلم وطول أجل الامهال فلا يلومن الا نفسه اذا احاط به الندم من جميع جهاته وان من اكبر حقوق الخلق على الانسان لانزال الاشياء منازلها باستعمالها فيما خلقت لاجله لان كل شيء له مرتبة وجودية ولتلك المرتبة حقوق وضعية الهية الله سبحانه وتعالى نائب عن ذلك الشيء في المطالبة بتلك الحقوق وهذا أمر

من دقائق الامور التي لا يحيط بها علماً الا اهل البصائر ألا ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرتض اتخاذ الوطاء لانه لا يكون الا من صوف او قطن او حرير وما جعل الله هذه الاشياء الا لأن تكون لباساً فقال أفلا اكون عبداً شكوراً فيستعمل جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله فانظر الى هذا الأدب الكمالي والكلام الجامع ولقد كان أخوه عيسى ينام على التراب واما الناس الآن فقد اخرجوا الاشياء عن مواضعها حتى انهم ليستعملون المسبحة في ايديهم مكان المروحة أو ما يذودون به الذباب زهواً واعجاباً الى ما لانهاية له من الشؤون التي تخرج المتلبس بها عن طور الانسانية فالواجب على كل انسان أحب ان يكون له عند الله منزلة أن يراعي منازل الخلق التي انزلهم الله فيها وينصفهم من نفسه قبل ان ينتصفوا منه بين يدي الله تعالى

فان للأب منزلة غير منزلة الأم وللأم منزلة غير منزلة الزوجة وللزوجة منزلة غير منزلة الولد وللولد منزلة غير منزلة الأخ وللأخ منزلة غير منزلة الصديق وللصديق منزلة غير منزلة الخادم وللخادم منزلة غير منزلة الجار وللجار منزلة غير منزلة أبن الوطن ولابن الوطن منزلة غير منزلة الضيف وللضيف منزلة غير منزلة النزيل ثم أن للشيخ المربي منزلة تضاهي منزلة الأب بل فوقها اذا كان من ورثة الانبياء وللأخ في الله منزلة تضاهي منزلة الأم ثم لولات الأمور منازل تتفاوت بتفاوت رتبهم وما هم عليه من الايمان والكفر كل هذا بموازين شرعية ماوقف عليها الا اهل الطريق العلماء بالله وان للمتخاصمين حقوقاً على الحكم بفتح الكاف، وللشهود حقوق الى ما لا يمكن الاحاطة به الا عند استدعاء الحاجة له ولا يتمكن من علمه متعلم الا من طريق التقوى التي

أوقف الله امثال هذه العلوم عليها وما ذلك العلم بشاق الإدراك والتحصيل الا على من لم يستعملهم الله تعالى في ذلك العمل الذين هم في طغيانهم يعمهون واما اهل الموازين الشرعية فلا يعسر عليهم سلوك هذا المسلك الذي هم أهله اذ الحق سبحانه وتعالى اذا استعمل عبداً أو اي حيوان أو أي مخلوق فى عمل من الاعمال لا بد أن يهبه استعدادا وقابلية لذلك العمل قبل استعماله فيه واذ ذاك لا يعجز ذلك العامل شيء من ذلك العمل اذ كل عامل لا يهتدي الى عمله الا بباعث غيبي وهو المعبر عنه بالوحي والالهام كما تقرر ذلك سابقا طبقا لما ورد في الكتاب المجيد في مثل سوة النحل ولا قدرة له على القيام بواجباته الا بتيسير مدد الهي وبذلك هانت صعاب الأعمال على عمالها من طريق الاستعدادات والقوابل والتيسير الذي ذكرناه لا من طريق الاعتياد والتدرب كما يزعم ضعفاء الايمان وخسفاء العقول ومستندنا في ذلك من طريق العقل خلق الاستعدادات في الحيوانات للأعمال التي خلقت لها والشؤون التي تلزمها ومتى اراد الله اعانة عبد على آداء الحقوق التي ذكرناها أيده بما لم يكن للقوم عناية في ادعيتهم الا به كقول الشاذلي رضي الله عنه وافتح أسماعنا وابصارنا وقوله وعلمنا من لدنك علما نصير به كاملين فى المحيا والممات وقول آخر اللهم انى اسئلك شوقا يوصلني اليك ونوراً يدلني عليك وروحا قدسيا ينفث في روعى كل لمر انعجم على فهمه أو عزب عني علمه وايدني بروح منك واكنفنى بنور من نورك أوضح به طرق الرشاد للسالكين وابين به رتب الوصلة للقاصدين وافتح لي بابا من الافق الاعلى والأفق المبين الى آخر ما طلب وما قصد بهذا كله الا المعونة على اداء الحقوق المطلوبة منه وكقول صاحب ورد السحر الهي صرفنى في عوالم

الملك والملكوت وهيئني لقبول اسرار الجبروت وافض علينا من رقائق
دقائق اللاهوت فما اراد برقائق الدقائق الا ادراك خفايا الحقوق التي من
عادة النفوس التغافل عنها لاشتغالها بما اهمها من امر دنياها التي تبرأ العارفون
منها وتنصلوا من وبالها فويل يومئذ للمكذبين ومن تأمل خلق الانسان بلا
وبر لأنه مستعد لاتخاذ الملابس وخلق غيره من الحيوانات بأشعار واوبار
تناسب شؤون استعداداتها وقوابلها وخلق ما تحتاج له بعضها من آلات الدفاع
التي تقاوم بها من خلق عدوا لها كالجري للغزال وقوة الضرب للأسد والنزع
للعقرب والأظافر للسنور الى مالا يتناهي يعلم علم اليقين صحة كل ما اشرنا اليه
ومن لا ذوق له لا حاجة لنا بمعرفته واذا كان الله سبحانه وتعالى هو الواهب
للقوابل والاستعدادات فلا يعسر سلوك هذه الطريق الاعلى من لم يرد الله بهم خيراً
وكذلك من حقوق الخلق على الانسان أن لا يعطيهم في التبجيل والاحترام
فوق مراتبهم التي أمره بها الشارع لأنه لو تماق لغني أو أمير أو سلطان أو عالم
أوذي جاه وأعطاه فوق ما يستحق فقد قصم ظهره وأهلك نفسه إذ السلطان
أوما دونه من الأمراء والأغنياء اذا توهم أحدهم أنه ضار أونافع كان من
أهل الطغيان الذين قال الله فيهم (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى)
وكذلك إن احتقرت فقيرا فقد ظلمته وظلمت نفسك لأنك لا تدري أيكما
أكرم على الله وأيكما يحسن في الآخرة مآله ولربما كنت في عينه أصغر مما
هو في عينك وما غفل عن هذا كله الا اهل الغفلة الذين فرحوا بالحياة الدنيا
واطمأنوا بها والذين هم عن آيات الله غافلون الذين لا يخفى ظلمهم الا عند
العجز ولا تظهر مكارم أخلاقهم الا اذا أذلهم الله الذين سهوا عما وراء الموت

من الكرب والشدائد التي مابينهم وبينها الا نفس خارج لايعود حيث لايدري أحدهم متي ينقطع ذلك النفس فلربما أصبح في القصور وأمسي في القبور كما قال القائل

يا راقد الليل مسرورا بأوله ٭ إن الحوادث قد تطرقن أسحارا

وهؤلاء هم الذين لايشعر أحدهم باحتياجه لربه حتى يأخذ مافي يديه ولا يرى ذل نفسه وضعفها الا اذا أدبه بسوط الانتقام أوأسقطه من أعين الناس بما جنت يداه أوسلطه اوصب عليه المصائب ومن العجب العجاب غرور المغترين بعد مشاهدة العبر في أمثالهم ٭ وطغيان الطاغين مع ماشاهدوه من شواهد أحوالهم ٭ ان ربي على كل شيء قدير ولقد جئناك ياهذا من البيان والكشف عن حقيقة الانسانية بما به تتم الفائدة ويشتفي المريض الذي أضر به مرض القلب من مرضه

والعبد يقرع بالعصا ٭ والحر تكفيه المقاله

﴿ يا هذا ﴾

ان الحق سبحانه وتعالى لينفع بالمعصية أحيانا كما تكون الطاعة من أسباب الضرر اذا صدرت من غير اديب محبوب وذلك لأنك ترى ان عبدا من العبيد الذين تعودوا ذل المعصية ربما أدركته العناية بالمتاب فكان ذله بين يدي ربه فوق ماتعود من ذل المعاصي فيتبدل الذل عزا بأنوار القبول وأسرار الرضا وترى آخر أطاع ربه زمنا بغير مرشد يذود عنه وساوس النفس حتي أضر به الغرور فلما لم تفده الطاعة في حاله فائدة ظن ان احوال الطائعين كلها كهذا فأصبح من الجاحدين الزائغين كما أشار الى ذلك حديث رب معصية أورثت

ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا وحديث لأنين المذنبين عند الله أفضل من زجل المسبحين اذ المذنب لا يئن الا اذا أحاط الندم بقلبه وتاب وتوجه الى ربه توجه العبد الآبق اذا اضطر الى سيده وقد قال الله تعالى للغوث الجيلاني في مناجاته ياغوث أنا بعيد من عبدي اذا فرغ من الطاعة قريب منه اذا فرغ من المعصية وما ذلك الا لانه لافراغ من المعصية الا بالتوبة والانابة ولا توبة الا عن حال مسبوق بعناية ربانية ولا فراغ من الطاعة الا من غفلة ولا غفلة الا من طرد وحرمان او حال شيطاني فمن لم تفده طاعته حالا مع ربه فاليعلم أنه محروم ومن تاب من معصيته ورزق الانابة والبكاء فاليتحقق ان حبل وده بربه موصول

(يا هذا)

أما يخجلك من مولاك تواتر نعمه عليك ام لم تتذكر تقلبك فيها بتمتعك وتلذذك بما بين يديك . أما تستحي من دوام احتياجك له فترجع اليه من هذا الاباق الذي هو أضر الموبقات بحالك . ام كيف تزهو بنفسك وانت مكبل بقيود العجز والضعف في جميع ضرورياتك واعمالك . أما تخاف ممن انت في قبضة قهره اذ كنت مرمى سهام انتقامه . اما يردك عن مبارزته بالعصيان ما وهبك من جزيل فضله وانعامه . أما احسست بحالك الذي يسر العدو و يحزن الحبيب . وقد استفحل مرض قلبك وما الفيت له من طبيب ثم اذا وصف لك الطبيب الدواء لاتستعمله . بل كلما سولت لك نفسك ما يهيج عليك المرض سريعاً تفعله . أما آن لك ان تترك الغرور بأيامك القلائل التي تمر كطيف الخيال . أما آن لك ان تتبصر فتتذكر ما اختطفته

من عمرك أيدي الأيام والليالي . ثم ما بقي سيلتحق بما مضى . وكأني بك وقد جاء اجلك وامدك قد انقضى . وناداك ملك الموت على بعد و بصرك أذ ذاك قوي وحديد . وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد . اتكذب يا مغرور سرعة حلول طوارق المنون . أما سمعت قوله تعالى في حق امثالك (قال رب ارجعون) أما آن لك ان تتذكر الموت وما بعد الممات . تالله ان للموت لسكرات وان في القبر لحسرات . اظنك تنكر ذلك لما تراه من استحالة الابدان ترابا . وتقول كما قال الكفار أئذا متنا وكنا ترابا كيف نذوق عذابا . كل ذلك أزال ربك عن المتبصرين الشكوك فيه والاوهام . بما أنزله في كتابه من قوطع البراهين و بلاغة الكلام . اليس القادر على اخراج الحشايش من غير ما بذر بقادر على ان يعيد الانسان ام انت ممن اختطف ابصارهم وبصائرهم الشيطان . يا هذا لقد أغفلتك دنياك التي ما حصلت منها الا مشاقا اهرمتك وقاربت ان تذهب بقواك : عن يوم عرضك ووقوفك وانت مفلس بين يدي مولاك . وليتك كنت حبيبا كسولا ولكنك ما واجهته في مدة حياتك الا بما يكره أن يراه من عباده فبأي وجه تطلب المغفرة و باي حال تلتمس العفو وعلى أي عصا تتوكأ وقد وهنت قواك من هول ذلك الموقف الهائل و باي جواب تجيبه اذا ما سئلك عن سوء عملك مع احسانه اليك واي علاقة تدعوك لان تتشفع باي شفيع اذا كنت حليف الشيطان وما صاحبت فى دنياك الا الاشرار وأعني بالاشرار الذين لا يدخلون المساجد ولا مأوى لهم الا مجامع اللهو وهم قرناء السوء وكلكم هنا لك في ورطات الخبال مكبولون تالله انك لتموت على ما عشت عليه وتبعث

على ما مت عليه وما ربك بظلام للعبيد وبقدر نسيانك لربك هنا سينساك هناك واما حسابك فملي أعمالك وبمقدار دعواك واما عقابك فلا يتعدى بأزارك الذي أحكمته على طولك وعرضك سواك وما إزارك الا آثامك وأوزارك وما مطيتك الى احدى الدارين الا أعمالك فانظر مطية أي دار أنت لها الآن من الراكبين وان ارتكبت الكبائر فلا تلومن الا نفسك هناك يا أيها المسكين أتظن ياهذا أن معشوقتك الزانية تتركك يوم القيامة وتتعلق بمخنق من لا عشق ولا تعشق . أم تطمع مع اسرافك في بذل مالك في الملاهي أن تهمل ويغدوا رهين الحساب المسكين الذي انفق بعض ما ملكه وبالباقي تصدق . لأي داع ايها المغرور لا يأخذ منك العدل نصيبه . وماهو السبب الذي به يرحمك ربك وقد عاديته وعصيت رسوله وحبيبه . اما احسست ببلاء ظلمك للفقراء العمال في نقص اجرتهم التى استحقوها بعرق الجبين . وما ادخرت ذلك الا لعميلك الجزار او الخمار اللعين . اتنسى حرصك على درهم طلبه منك المعدم المحتاج . وقد انفقت ألوفا في مرضاة ذوات الأزواج . أيليق بمثلك ان يترك زوجته للخادم تشتهيه ويشتهيها . ويذل لزانية ربما مل الجم الغفير ركوبها من قبل ان تصطفيها . ياهـذا الجنة ليست اصطبلا للحمير والبغال ولكنها دار للفواضل من النساء والأفاضل من الرجال . ودركات النار ما أعدت الا لأهل العمل الذي انت متعاطيه . ولا سبيل لها الا البحر المظلم الذي انت سابح فيه ولا يدخل الجنة الا من حاز مزايا الانسانية . وقد بيناها لك حتى لا تفوتنك الفرصة وبلوغ الأمنية . وهذا هو ميزانك يا عبد فيما بين يديك . فتأمل لتعرف مآلك من سابقة حالك وما قدره الله عليك . فان كنت ممن هدوا

الى الصراط المستقيم . فلا شك انك من سكان جنات النعيم . و'ن كنت من الذين تتبعوا خطوات الشيطان . فاعلم انك من اصحاب النيران . وان لم يلج قلبك بالتوبة والح الحياء والوجل فاعلم انك المسرع الطارق أبواب الجحيم على عجل . وان الهمك الرحيم الودود المتاب والرجوع اليه . فبادر بدقة البحث عمن من عباده الصالحين يدلك عليه . فانهم حجاب هاتيك الأبواب . وما من باب من ابواب ربك الا وله حاجب وبواب . فلايغرنك علمك أو عملك في تلك الحضرة القدوسية . فان الحجاب لاتقبل من الوافدين الا من استكمل أوصاف العبودية وهذه نصيحتى لك يا مكسور الجناح ولأمثالك . عسى ان تبلغ بها صلاح حالك ومآلك . ان ربك بالناس لرؤوف رحيم

﴿ يا هذا ﴾

افترق مدعوا الانسانية في تلاوة القرآن وسماعه الى أربع فرق وما كان اختلافهم في ذلك الا لاختلافهم في التحقق بحقيقة الانسانية اذ هي بالتعريف الذي سبق بيانه لاتكون الا الاخلاق التي جاء بها القرآن وتخلق بها النبي صلى الله عليه وسلم ولكن القوم مافهموا ذلك فافترقوا في إنزال القرآن منزلته الى الفرق التي سنذكرها الواحدة أهل التأويل والثانية اهل التفصيل والتحويل والثالثة اهل الترتيل والرابعة اهل التنزيل وما تحتم الفوز والنجاح الا لاهل الفرقة الرابعة

اما اهل التأويل فهم الذين خسروا انفسهم وأولئك هم المبطلون لأنه لايعلم تأويل ماتشابه منه الا الله والراسخون فى العلم أي العلم الذوقي الذي لم

يؤذن لصاحبه في الافصاح عنه ولو كان ذلك مباحاً لأفصح النبي صلى الله عليه وسلم عن كل متشابه فى القرآن وذلك لم يكن لأنه وان كان أنزل بلغة العرب ولكن له اهل هم حفظة اسراره ومكامن انواره اذ هو جامع شتات الحكمة التي لاتعطى الا لاهلها ومن ادعى الوصول اليها بغير التقوى فهو كذوب ومن ادعى علم القرآن بغير عمل ولا حال يوصله الى ذلك العلم فما هو الا كناقل الأخبار التي لاسند لها او كالاعشى المتصور حال ما بعد عن نظره من قبل ان يصل اليه وهذا هو مجلبة الضرر وجرثومة الداء الذي لادواء له الا الكي على أم ناصية المصاب به لأن الله سبحانه وتعالى ما أراد بالراسخين فى العلم الا الذين استفتحوا أبواب فتوحه بأنامل الخشية والتقوى ولا معنى للرسوخ فيه الا طهارة القلب من الشكوك التي تحوج المتعلم الى طلب الدليل والبرهان اذ العلم الرباني ما هو الا نور فوق كل دليل و برهان يهبه الله لمن اختاره من عباده وما عدا هؤلاء هم الذين لم ينالوا من تناول القرآن الا نكالاً ووبالاً فما كان حالهم الا كحال خالط الحلوى بالملح وهذا خاط لا يعمل بتناوله الا التقايي حتى اذا اخرج ما في جوفه لا ينفعه ولا ينفع غيره واما اهل التفصيل والتحويل فهم الذين لا يحترمون القرآن الا لانه حوى رقائق البلاغة ودقائقها وقد زعموا انهم هم أهلها وجيرانها وانهم احق باكنافها فما لوا الى محبة القرآن من هذا الطريق ليس الا فما كان همهم الا تفصيله ملابس لما توهموا نزوله لاجله منما قصرت عن تجاوزه افهامهم فحولوه اليه تحويلاً حسبما يدركه أي متصور ومتخيل منهم كل على قدر استعداده وقابليته متجهاً للوجهة التي سنح اليها فكره وهؤلاء يعاملهم الله بالنوايا حيث لاثواب لعامل منهم فيما عمل ولكن المعاملة تنحصر فيما بين عقاب وعتاب وصفح .

اذ القادم على عمل لم يؤمر بعمله ولا نتيجة له الا اشغال القلوب بما لا يعني لا يستحق أجراً على ذلك العمل وأما اهل الترتيل فلا يحرم مرتلهم الأجر الا اذا عرض له عارض يستجلب له العقاب كالريا أو التغني والتلاعب وغير ذلك مما ينتهك به القارئ أو السامع حرمة القرآن المجيد واما اهل التنزيل فهم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم الذين يتنزل القرآن على قلوبهم في كل تلاوة تنزلا جديداً يوافق حال القاري او السامع من طريق الوراثة المحمدية بمعنى انه يجد من الاشارات في كل آية من آياته ما يناسب حاله الذي هو متلبس به وقت التلاوة او ما يناسب حالا كان إليه لم يكن من الاحوال الكمالية فترجعه آداب القرآن الى خطة الأدب الكمالي أو يرشده الى ما يستفتي قلبه فيه الى غير ذلك من الشوءن التي تلازم اهل القرآن الذين هم اولياء الله عند كل تلاوة وهؤلاء هم الذين اشار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بان لله ملائكة يطوفون في الارض يلتمسون مجالس اهل الذكر وبقوله ما معناه ان اهل السماء ليرون البيوت التي يتلى فيها القرآن كما ترون النجوم في السماء واولئك هم اهل الانسانية اهل القرآن اهل الايمان اهل الاحسان اهل التقوى اهل المغفرة اهل اليقين اهل التمكين اهل الجنة مواقع المنة مهابط الرحمة غمرنا الله ببركاتهم ونفحنا من نفحاتهم ومتعنا بصحبتهم ومحبتهم وحشرنا في زمرتهم انه على كل شيء قدير

﴿ يا هـذا ﴾

بعد ما حمدت الله تبارك وتعالى على اتمام ما أجراه على لساني من هذه النصائح وصليت على حبيبه المختار وآله الأفاضل الأبرار اضطجعت مستريحاً حتى اذا كنت ما بين اليقظة والنوم تخيلت انى في ملاء من الناس وقد قام

من بينهم خطيب كانه شيطان في صورة انسان جاء يقبح ما حسنت لهم ويحسن ما قبحته باقوال تسحر الالباب وتفرق ما بين الاحباب فأخذ مني الغضب حده وقمت مشيراً اليه بجدة وشدة غضب قائلا

تمهل قليلا قاصر الباع واليـد فـا أنت ان حم القضا بالمؤيد

وقد اتبعته بعد اليقظة بما سيأتي وما عنيت بقولي تفرق ما بين الاحباب الا انها تمويهات شبهات تزحزح قلوب ضعفاء الايمان عن مراكز اليقين و بذلك تنقطع علائق الاخاء الذي بينهم و بين المؤمنين التي اشار الله تبارك وتعالى اليها بقوله (انما المؤمنون اخوة) وما الاخوة الا الحقيقة الانسانية التى ذكرناها لان من تحقق بها لا يكون مبغوضاً لاحـد ولا يكون أحد مبغوضاً له لان الله ما جعل رابطة اخاء للانسان بعد الاخاء العصبي الا من وجهتين وجهة الايمان وهى الرابطة التي وصف الله بها اهل الجنة بقوله (ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) وليس الغل الذي نزعه الله من قلوبهم الا حب الدنيا الذي هو اقوى سبب للتباغض والتحاسد وما انتزع من قلوبهم الا بالاخلاق التي ذكرناها والوجهة الثانيه وجهة العصيان المذكورة في قوله (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) وقـد وصف حالهم بقوله (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) وما هى الا أخوة التمدن التى بها يتنادون اليوم لتحكم داء الملوخليا في القوم الذين ما جعل الله لهم نصيباً من الدنيا الا زخرفة المنطق وخراب القلوب وظلمة الاسرار وفتنة العقول وسجن الارواح وكان الله على كل شيء مقتدراً وهاك مبدأ القول الى الخاتمه تبصرة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا

تمهل قليلا قاصر الباع واليد   فما أنت أن حم القضاء بالمؤيد
مريك ذوا حلم ولكن بطشه   شديد يبيد الملك بالأمس في الغد
قوي متين لا يقاوم بأسه   وهل للذي يرديه غوثة منجد
وما انت ذوا بطش ولا انت قادر   ولا أنت جبار تصول وتعتدي
ولا أنت ذو عرش يرجى نواله   ولا لك ارض كالبساط الممدد
ولا لك غيث ينعش الارض قطره   ولا لك بحر إن حما الصيف يمدد
ولا لك شمس بالضياء منيرة   ترينا مدى الايام بشر التودد
ولا لك سر ينبت الحب والنوى   ولا أنت بدر في الدجا بك نهتدي
ولا انت مبعوث ولست برسل   ولست بياسوع ولا بمحمد
وما أنت فرعون الاله الذى مضي   وان كنته فالصرح أعدل شاهد
فهاك فنادي اليوم هامان قائلا   ألا فابن لي صرحا وللرب فاصعد
وان كنت لا هذا ولا ذاك يافتى   فما لك لم تصفع قفاك بمحتدي
تماديت فى الطغيان جهلا كانما   تحاول هدم الدين ياشر معتدي
فان كنت ممن هددوا اليوم ديننا   فما وهنت اركانه بالتهدد
وان كنت ممن يدعي الهدى مرشدا   لما يغدو غوي القوم في زي مرشد
عهدناك ضالا اهل ترجيك ناصحا   وما ان نسينا قرب تلك المعاهد
وهل عائب الاموات والقوم كلهم   من الملة العظمى به الناس تقتدى
ألا فاستقم يا ناقص الدين والحجا   فغيبتك الاموات اقبح مورد
لئن كان اصلاح العباد بما ترى   فبلانة الحمام أهدى لمهتدي
اذ الدين دين الله يسطع نوره   من أودعوه الصحف خوف التبدد

وهاهي كتب الدين في كل قرية ... وفي كل مصر تزدهي بالتجدد
تداولها الأخيار شرقاً ومغرباً ... وجلت عن الاحصا ونقص التعدد
وتالله في طول البلاد وعرضها ... سواك لها ما ان علمنا بجاحد
خزيت ويخزي كل من شان دينه ... بسفسطة شينا وفكر مبدد
فهل بعد ألف ثم ثالث ماية ... تعيب مواليد البغا كل ممجد
أجدد رب الدين ديناً سوى الذي ... علي[illegible]رام القوم من عهد احمد
أم اليوم قد اصبحت زب بالارضنا ... ألا غبت في است[illegible]

زب الارض شيء يصنع من خشب خفيف ويوضع في اسفله قطعة الرصاص فلايزال قائما كلما رمي وهو من ملاهي الصبيان

الا فاترك الدين القويم واهله ... فما سيف اهل الدين عندك بمغمد
ولكن لهم صبر طويل على الأذى ... وهل قيل نسرهم يوماً بهدهد
ألا فترقب بطشة الله إنها ... ورائك ترنو للزمان المحدد
هنالك يجفوك الخليل ولا ترى ... مجيراً اذا ما صحت يأخذ باليد
فخذ عن خبير الأقدمين نصيحة ... لعلك باستطرادها اليوم تهتدي
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود
فياقومنا دوموا على حفظ دينكم ... وايمانكم من زيغ باغ وملحد
فأشراط يوم الدين ياقوم قد بدت ... وأشراركم منها على كل مورد
وهذا رسول الله اصدق قائل ... أبان لنا عن غيب تلك المشاهد
ألم تبصروا في الناس كم ألف فتنة ... تثير لظاها ثورة المتباعد
ألم يكن هذا اليوم يزداد شره ... وبعد غد في الشر أصعب من غد

أم اليوم ياغفل القلوب قلوبكم ... لها في مجال الشك سبق التعود

أم اليوم أنتم كالحمير ركوبكم ... يهون على المجذوم او كل مقعد

فمالي أراكم كل غرّ يقودكم ... الى ما اليه موئل المتمرد

الى النار بل والعار والخطة التي ... لها ينتهي سير الطروب المعربد

الى سلعة ما سامها قبل سومكم ... من الناس مبتاع بنقودنا قد

الى حيث يمتاط اللعين قلوبكم ... الى شر مأوى قاعه شر مقعد

ولا تلك بنو بالجدال على العمي ... ولا تستجيروا من لظاكم بموقد

ولا تهتدوا بالملحدين وغيهم ... الى غاية ما أمها قبل مهتدي

فما حالكم في الغى الا كفتية ... قد افتتنوا عشقا بذات مؤصد

وما حصلوا منها سوى الوجد والضنا ... وما فطنوا حتى دهوا بالمهند

يغار عليها اهلها فدعتهموا ... حميّتهم للبطش من غير موعد

كذلك انتم لاتزالون هيما ... بعشق الحماره واللوا والمؤيد

وساهون عما قال ربي ورسله ... وما نشر الأقوام طي المجلد

الى ان يوافيكم من الموت طارق ... بما خلفه من مزعج ومهدد

وتلحدكم ابنائكم في قبوركم ... فيا شؤم ذاك المرقد المتوقد

به يشهد المغرور باب جهنم ... ويأتي نكير بالعصا للمعاند

ومن بعده هول القيامة واللقا ... ويوم حصاد الزرع ياشر حاصد

بماذا يجيب العبد في الحشر ربه ... اذا ما اتاه فارغ الجيب واليد

وما عنده الا تواريخ من مضوا ... واخبارهم من ذي صلاح ومفسد

الاهل لهذا من مثيل من الورى ... سوى من تغني بالوحيد ابن معبد

أفي مثل ذاك اليوم تغني فكاهة ... وصقلة شعر فوق خد مورد
أفي مثل ذاك اليوم يربح عالم ... بلا عمل جيء يا مدعيها بمسند
أفي مثل ذاك اليوم ربي وربكم ... يقول اكرموا من مزقوا دين أحمد
لك الله ذاك اليوم يوم مطول ... شديد البلا صعب على كل جاحد
الا فانصتوا لي واسمعوا لمقالتي ... فاني بكم بار كأشفق والد
ذروا كلما يطغى ويلهي قلوبكم ... عن الموت او ما بعده من مشاهد
وقوا النار أهليكم وانتم فانما ... مواعيدها بالموت أقرب موعد
أما قام فيكم هادم الدين ناصحا ... يدس لكم سم الهلاك المؤبد
يقول أوربا فاتكم من بهائها ... وزخرفها الفتان أجمل مشهد
بها معمل البلور والعدد التى ... لدي الحرب تردي كل جمع مجند
وأنتم كسالى ما لكم من خليقة ... سوى العز بالتقوى وذل التعبد
فهذا هو الشيطان يرصد حتفكم ... له فاقعدوا يا قومنا كل مرصد
أيوم يلاقي الله يأتى مدرعا ... ويأتي بخرطوش وسيف مجرد
وان قال رب العرش ألقوه في لظى ... يقول اورباوي وهانوت منجدي
أبي الله ان يرمي بخير عبيده ... على ما يسوق الهم للمتعبد
وان يشغل القلب الذي هو بيته ... بتلك الملاهي من متاع وعسجد
ويدخل من صافاه في ظلمة العمى ... ويخرجه من نور تلك الموارد
فيا أسراء الطيش يا عصبة الخنا ... ويا حلفاء الزيغ والمذهب الردى
طعنتم بلا رمح وجذت رقابكم ... بلا مدية كلا ولا بمهند
ولكن سمّاوي الصغار اتاكموا ... لغرتكم يحتال في زي مرشد

فخادعكم حتى رماكم بمخدع   وراء مباني الدين في شر مرقد
سقاكم شراب الزيغ حتى سكرتمو   وغبتم عن الرشد السديد المحمدي
وأقصاكمو في البعد عن كل موقظ   وكحلكم كحل العمي لا باء ثمد
جهلتم امور الدين حتى كأنكم   على فترة ترجون عهد المعاهد
وما الدين خافي النور حتى يبينه   أخوا الجهل أعرف احتياج لقائد
ولكنما الشيطان ارسل جنده   اليكم بأنغام الصفا والتودد
وانتم اساري غرة وسفاهة   حياري بوادي سيآت المقاصد
فهل غير دين الله تبغون شرعة   وقد اكمل الله الهدى بمحمد
فلا خير في عيش يسرك حاله   بيومك لكن يأت بالحزن في الغد
ولا خير في الدنيا ولا في بنيها   فما وردوا الا بها شر مورد
خذوا حذركم من ربكم وعذابه   فما من شقي من عذاب بمفتدي
ولا تهتكوا ستر الصيانة بالخنا   فهتاكه ما ان يغاث بمنجد
ولا تفعلوا ما حرم الله فعله   فلا يرتوي الا بما نحر الصدى
ولا تغفلوا عما امرتم بفعله   فما حبب المفروض الا لمسعد
وماقام يبكي في الداجي سوى الذي   دعاه مربيه الى خير مشهد
وما بات سكرانا وأصبح زانيا   سوى مستهام بالنساء مقيد
فما من فتى يرتاح للفسق قلبه   وفي قلبه لله وفزة قاعد
وما من فتى اضحى المزاح شعاره   ويهنأ في دار الوقار بمقعد
فما خلقت دار النعيم لغافل   سرى من بوادي الغي في كل فدفد
ولا لشقي دأبه الطيش والأذى   ولا لأخي الدعوى ولا المتمرد

وما ازلفت الا لكل مكمل — تقيّ وفي مصقل كالمهند
الا فاقرعوا أبوابها بمتابكم — فما فاز غير التائب المتعبد
ولا تطرقوا باب الجحيم جهالة — ولا تشتروها ان عقلتم بعسجد
فما بابها الا مجامع لهوكم — ولا قرعه الا دوام التردد
وهذي وصاياي اليكم جعلتها — مطية آمالي الى يوم موعدي
أرجي بها ممن رجوت قبولها — ولست أرجي غير اكرم مقصد
كريم العطايا واسع الجود من اذا — دعوت يلبيني بكل مقاصدي
وأزكي صلاة ينعش الكون عطرها — على خير مبعوث واكمل عابد
وتعقبها في كل حين تحيـة — على الآل والاصحاب آل محمد

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

غلبنا التصحيح عند الطبع فصححنا الآيات القرآنية وأوكلنا غيرها لأذواق المطالعين ومعارفهم

هذا هو الصحيح

	صحيفة	سطر
وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر	١٨	١١
قل الروح من أمر ربي	٣٠	١
أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً	٣٥	١٥
ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً ويجعله في جهنم	٥٦	١٥

آخر الملزمة التاسعة

ولذلك أزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين